سلطنة عمان

المنتدى الأدبي

وزارة التراث القومي والثقافة



ندوة العلاقات العمانية المصرية

من ٢ إلى ٤ مارس ١٩٩١م

إشراف

سالم بن محمد الغيلاني

رئيس المنتدى الأدبي

إعداد

محمد علي الصليبي

مساعد مشرف المنتدى الأدبي

الجزء الثالث

فبراير - ١٩٩٢م

سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة



ندوة العلاقات العمانية المصرية

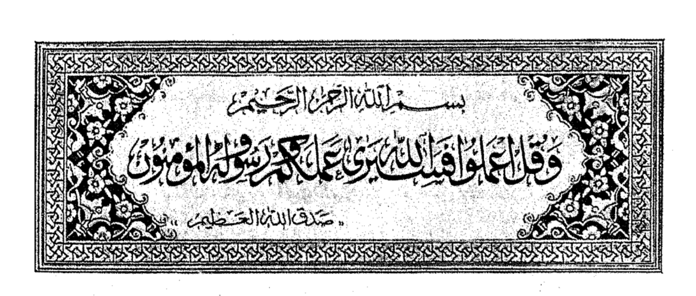
من ٢ إلى ٤ مارس ١٩٩١م

إشراف
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى الأدبي

إعداد
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى الأدبي

الجزء الثالث

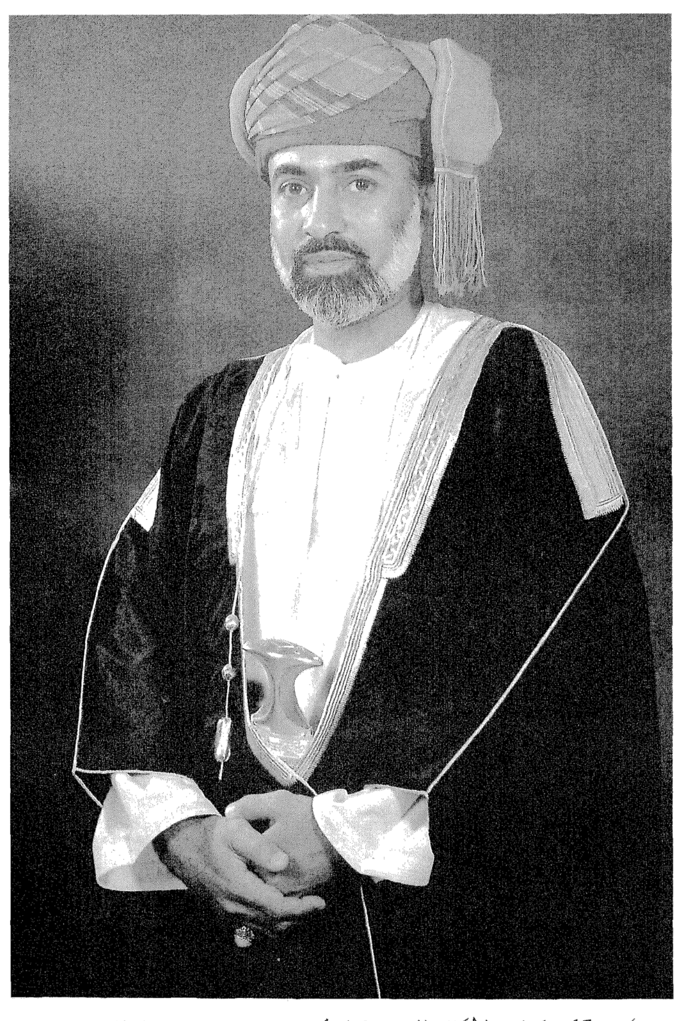
فبراير - ١٩٩٢م مكتوبة


بسم الله الرحمن الرحيم
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
« صدق الله العظيم »

كلمات مضيئة

ان عمان قد دأبت باستمرار على أن تقوم بدورها كاملا على المسرح العالمي بالتعاون مع كل الدول الصديقة في سبيل الدفاع عن حرية الانسان وعزته وكرامته ، وقد واصلنا أيضا العمل بالتعاون الوثيق وبروح تتسم بالوفاق الأخوي في إطار جامعة الدول العربية دفاعا عن القضايا العربية ، ان هذا الدور الذي يقوم به بلدنا سيبقى دائما حجر الزاوية في سياستها الخارجية .

قابوس بن سعيد



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم



إهـــــداء

إلى المقام السامي لحضرة صاحب الجلالة السلطان
قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ

إن ما تحقق على أرض عمان من انجازات يعتبر ملحمة رائعة سوف يسجلها التاريخ بأحرف من نور في سجل المجد ، وأن اسمكم يا صاحب الجلالة سيبقى عالقا في عبقرية الخلود ، ذكرى عطرة تطل من كوّة الدهر تذكرنا بهذا العهد الزاهر وتلك المنجزات العملاقة التي أضحت مضرب المثل للقاصي والداني .

وأن أسرة المنتدى الأدبي إذ ترفع هذا ا الاهداء إلى مقامكم السامي لتدعو الله من أعماق القلوب أن تظل ذخرا لعمان ومعينا لا ينضب لأمتنا العربية والاسلامية ، وأن يحفظك رب البرية برعايته ، ويكلأك بعنايته ، وأن يتحقق على يديك كل ما تصبو اليه عمان من عزة وسؤدد وأمن ورخاء وطمأنينة .

أسـرة المنتدى



« جانب من فعاليات ندوة العلاقات العمانية المصرية »

دور عمان ومصر
في التصدي والدفاع عن أرض العروبة والاسلام
منذ صدر الاسلام وحتى النصف الثاني من القرن
السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي

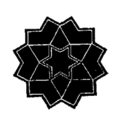
تقديم :
عبدالله بن ناصر بن سليمان الحارثي
المدرس المساعد بكلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس

تقديم

كان بودي أن أكتب عن جميع التصديات التي قام بها الشعبان العربيان المسلمان المصري والعماني في الدفاع عن أرض العروبة والاسلام لكونها وسام شرف معلقا على صدر كل منهما .

ولكن لضيق الوقت ولأن الموضوع واسع ومتشعب الجوانب ومتعدد المجالات لذا فضلت أن أحدده في النقاط البارزة في الفترة منذ صدر الاسلام وحتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وفي الحقيقة ان هذه الفترة هي الأخرى ليست بالقصيرة . ومن جانبي أعترف بأن هناك قصورا في بعض النقاط لذا أرجو المعذرة . كما أرجو المعذرة لما بدر مني من هفوات لغوية إن كانت نحوية أو غيرها ، أو نسيانا لكلمة قد تسقط مني من غير قصد .

والله هو الموفق والمعين والهادي لخير السبيل .



الأزد ودورهم في طبع عمان ومنطقة الخليج بالهوية العربية :

قبل حادثة سيل العرم في اليمن كانت عمان ومنطقة الخليج خاضعة لسلطة الفرس ، وكانت القبائل العربية القاطنة في هذه المنطقة تعيش حياة هامشية ليس لها سلطة تذكر في هذه المنطقة .

لكن وبعد انهيار سد مأرب المشهور في بلاد اليمن اضطرت قبيلة الأزد العربية القحطانية الى ترك منازلها الواقعة بمدينة مأرب حول السد المذكور ، فتفرقت بطونها في شبه الجزيرة العربية وأطرافها أرض الحيرة وبادية الشام .

وبعد تنقل في أرض السر بشمال شبه الجزيرة العربية وأرض الحيرة ثم برهوت بحضرموت انتهى المطاف بمالك بن فهم الازدي ومن معه من أتباعه من قبيلتي الأزد وقضاعة الى عمان التي كان الفرس مسيطرين على السلطة فيها ، وكان يحكمها آنذاك « المرزبان » وتعني الرئيس ، وهو عامل للملك الفارسي دارا بن دارا بن أردشير بهمن .

فتصدى الفرس بقيادة المرزبان للأزد بقيادة مالك بن فهم لمنعهم من الاقامة بعمان خوفا من تشكيلهم خطورة على الوجود الفارسي في عمان ، فوقعت بين الطرفين عدة معارك ، ناصر العرب الموجودون في عمان من قبل اخوانهم الأزد ، مما كان له أثره في ترجيح كفة العرب على الفرس ، فكان لهم الغلبة عليهم ، فقتل المرزبان وكبار قادتهم وعدد كثير من رجالاتهم . فطلب الفرس الصلح بين الطرفين على أن يوقف العرب القتال ، بشرط بقاء الفرس مدة عام واحد فقط ، ليرحلوا بعده من عمان هم وأبناؤهم وذرياتهم على أن يتركوا في عمان كل ما يملكون من أموال منقولة وغير منقولة .

وعندما أخبر الفرس ملكهم دارا بن دارا بما حل بهم من هزيمة من قبل العرب ، وعن قتل عامله المرزبان ، وعن الصلح الذي تم بينهم وبين زعيم العرب ، مالك بن فهم ؛ غضب غضبا شديدا ورفض ذلك الصلح ، وأرسل حملة كبيرة بلغ عدد أفرادها ثلاثة آلاف مقاتل أوكل قيادتها الى أحد كبار قادة جيشه ، ولما علم مالك بن فهم بوصول تلك الحملة الى عمان أرسل الى الفرس يذكرهم بالعهد الذي بينه وبينهم فكتب اليهم « إني قد وفيت لكم بما كان بيني وبينكم من العهد وتأكيد الأجل وأنتم بعد حلول بعمان وبلغني أنه قد أتاكم من قبل الملك مدد عظيم وأنكم تستعدون لحربي وقتالي ، فاما أن تخرجوا من عمان طوعا والا زحفت عليكم بخيلي ورجالي ووطئت ساحتكم وقتلت مقاتليكم وسبيت الذراري وغنمت الأموال » .

وكان الفرس خلال المهلة التي طلبوها للبقاء في عمان وهي عام واحد لتصريف امورهم والرحيل الى بلادهم فارس قد نكثوا العهد فقاموا بهدم عدد من الأفلاج والآبار وذلك لحرمان العرب من أهم موردين مائيين تعتمد عليهما الزراعة والثروة الحيوانية في عمان ، ولما علم مالك بذلك تأججت نار الحرب بين الطرفين فقامت الحرب بينهما مرة ثانية ، وقد انتهى ذلك الصراع بانتصار العرب بقيادة مالك بن فهم وتم لهم اجلاء الفرس من عمان ، وهكذا اعيد لعمان وجهها واسمها العربي القديم بدلا من الاسم الفارسي « مزون » .

وأصبح مالك بن فهم سيد الموقف ، وصار ملكا على عمان كلها « وما يليها من الأطراف ، وساسها سياسة حسنة وسار فيها سيرة جميلة » .

وحكم مالك بن فهم عمان مدة سبعين عاما لم يكن له منافس وعمر مائة وعشرين عاما .

وعندما سمعت القبائل العربية من يمن ونزار بخبر هذه الانتصارات التي حققهـا العـرب على الفرس في عمان ، أخذت جموعها تتوافد الى عمان وعلى مر الأعوام أدت تلك الهجرات العربية الى صبغ عمان بصبغة عربية خالصة ، فلم يكن هذا وحسب بل وقلبت موازين القوى ليس في عمان وحدها ، بل شملت منطقة الخليج بأسرها مثل منطقة البحرين وهجر والساحل الشرقي للخليج وبلاد الحـيرة وبـلاد كرمان فعززت الوجود العربي في هذه المناطق مما جعل لهم ثقلهم السياسي والعسكـري فيما بعد وهذا ما سنلاحظه من خلال دورهم الهام الذي سيقـومـون به خلال حركة الفتوحات الاسلامية ان كان في بلاد العراق وفارس والسند أو غيرها من المناطق الأخرى .[1]

الاسلام وصداه في نفوس العمانيين :

بعد أن استجاب جيفر بن الجلندى ملك عمان وأخوه عبد لدعوة رسول الله ﷺ لهما إلى اعتناق الاسلام ، فأسلما وقاما بتبليغ دعوته عليه الصلاة والسلام الى كافة قبائل عمان حضرها وبدوها .

---

(١) عن الموضوع انظر :
- الدنيوري ، أحمد بن داود : الاخبار الطوال ص ٣ .
- اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب : تاريخ اليعقوبي جـ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ و٢٣٤ .
- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية جـ١ ص ١٢ و ٩٠ .
- ابن حزم الاندلسي ، علي بن أحمد : جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٩ .
- العوتبي ، سلمة بن مسلم الصحاري : الأنساب ، جـ٢ ص٢٠٧ـ٢١٨ و ص٢٦٥ـ٢٧٨ . طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ، تحقيق محمد علي الصليبي .
- الازكوي ، سرحان بن سعيد : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ص ٢٥ـ٣٧ .
نفس المرجع تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢١١ـ٢٣٠ .
- السالمي ، عبدالله بن حميد : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان جـ ١ ص ٢٠ـ٤٧ .
- مؤلف مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٢٥ـ٢٩ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٢١ـ٣١ .
- نفس المؤلف : مقدمة في دارسة مصادر التاريخ العماني ص ٢٨ـ٢٩ .
- انظر أيضا ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . . الخ . المعروف بمقدمة ابن خلدون جـ ٧ ص ١٩٨ .

كما بعث جيفر رسله إلى مهرة والشحر ونواحيهما والى دبا وما حولها وما يليها الى آخر عمان ، فاستجابت القبائل العربية بأسرها لهذه الدعوة الكريمة فاعتنقت الاسلام ، الا الفرس المقيمين في عمان فقد رفضوا اعتناق الاسلام ، وعند اصرار الفرس على هذا الرفض لعقيدة التوحيد اجتمع أعيان عمان الى الملك جيفر وانتهت مشاوراتهم على اخراج الفرس من عمان .

ودعا جيفر أساورة الفرس ومرازبتهم وخاطبهم « انه قد بعث نبي من العرب فاختاروا منا احدى حالتين : اما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا فيه ، واما أن تخرجوا عنا بأنفسكم » . فأبوا أن يعتنقوا الاسلام ، ورفضوا الخروج من عمان . وهنا اضطر العمانيون إلى اخراجهم من بلادهم .

ويبدو أن سلطة الفرس قد عادت الى المناطق الساحلية بعمان في عهد الاسرة الساسانية في فارس وقبيلة معولة بن شمس في عمان فقامت الحرب بين الطرفين كان النصر فيها حليف العرب العمانيين حسبما أوردته المصادر العمانية ، فقتل « مسكان » عامل الملك الفارسي وكثير من قادته وأساورته وجنوده ، وتحصن من بقي منهم على قيد الحياة بمدينة صحار ، فحاصرهم العرب مدة طويلة ، وضيقوا عليهم الخناق حتى اضطروهم إلى طلب الصلح والمهادنة فكان الصلح ، ان يخرج الفرس من عمان بأهلهم وذراريهم على أن يتركوا في عمان كل أموالهم وممتلكاتهم .

وبهذا يتضح لنا ان الاسلام قد نفخ في العمانيين روحا جديدة من التضحية والفداء وحب الشهادة في سبيل الله والوطن فبذلك تحققت لهم السيادة التامة على أرض بلادهم **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** .[1]

---

(١) آية ١٦٩ سورة آل عمران .

هناك عدة أبيات شعرية لثابت بن قطنة العتكي الازدي مخلدا فيها انتصار العمانيين على الفرس .[٢]

دور العمانيين في الفتوحات الاسلامية :

لم ينحصر تأثير الاسلام في نفوس العمانيين كما سبق القول وتصديهم للفرس داخل بلادهم بل تعداه الى خارجها فقاموا بالجهاد واشتركوا في الفتوحات الاسلامية التي حدثت بعد ذلك .

فتذكر المصادر التاريخية العمانية[٣] انه بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ الى الرفيق الأعلى ، ومبايعة أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) خليفة لرسول الله ﷺ ، قدم الى المدينة المنورة وفد عماني برئاسة عبد بن الجلندى لمبايعة أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) بالخلافة . وخلال وجوده والوفد المرافق في المدينة المنورة كلفه أبو بكر الصديق بقيادة حملة من المسلمين الى بلاد الشام لتأديب آل جفنة ،

---

(٢) ألم تنبئك عن سكانها الدار ... وعندها من بيان الحي أخبار
كأنهم يوم راحوا تاركين لها ... من جدهم بجناحي طائر طاروا
صادفت «مسكان» وسط النقع منجدلا ... أثوابه بعد تاج الملك أطمار
ويل أمة «فارسا» ما هو يعنبله ... كأنما ناظراه في الوغى نار

(٣) عن الموضوع انظر :
العوتبي ، سلمة بن مسلم : الانساب جـ ٢ ص ٢٦٢ .
عن الموضوع انظر :
- الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٣٨-٤٢ .
- العوتبي : الأنساب جـ ٢ ص ٢٦١-٢٦٢ .
- كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، تحقيق ودراسة أحمد عبيدلي ص ٢٣٧-٢٣٩ .
- مؤلف مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤١-٤٢ .
- المعولي ، محمد بن عامر : قصص وأخبار جرت في عمان ص ٣٩ .
- ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٤ ص ١٨٧-١٨٨ .
- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ص ٢٦٣ .
- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ص ٧٧-٧٨ .
- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٨٣-٨٤ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٤١-٤٢ .

وكان ضمن تلك الحملة حسان بن ثابت الانصاري شاعر الرسول ، ﷺ ، وقد حققت هذه الحملة هدفها وبعد عودتهم الى المدينة المنورة وامام ابي بكر الصديق قام حسان بن ثابت واثنى على حسن قيادة وبلاء عبد بن الجلندى في هذه المعركة ووصفه بالحزم وحسن التدبير في مهمته تلك .

وقد ثنى ابو بكر (رضى الله عنه) على مديح حسان بن ثابت لعبد بن الجلندى فقال « هو يا أبا الوليد كما ذكرت والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله »[1].

وفي عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وعندما بدأت حركة الفتوحات الاسلامية بالتوسع خاصة في بلاد فارس ، وبعد معركة جلولاء سنة ١٦ هـ/٦٣٧ م ، والتي انتصر فيها المسلمون على الفرس اجتمع الفرس بقيادة ملكهم يزدجر في السواحل الجنوبية من بلاد فارس الواقعة على الساحل الشرقي للخليج وذلك لتطويق الدولة العربية الاسلامية الناشئة من الشرق والجنوب ، ولكسر ذلك الطوق أمر الخليفة عمر رضي الله عنه عامله على البحرين وعمان عثمان بن أبي العاص الثقفي باعداد جيش من العرب المسلمين وكان عثمان في تلك الفترة في عمان فنادى للجهاد فلبى العمانيون دعوة الجهاد فاجتمع له نحو ثلاثة آلاف مجاهد اجتمعوا في صحار ثم عبر بهم عثمان مياه « الخليج » من منطقة الصير « جلفار »[2] الى جزيرة بني كاوان .[3]

---

(١) الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ص ٤٣-٤٤ نفس المرجع تحقيق ودراسة أحمد عبيدلي ص ٢٤٠-٢٤٢ .

(٢) جلفار : بالضم ثم الفتح والتشديد ، وفاء آخره راء ، بلدة بعمان عامرة كثيرة الغنم والجبن والسمن يصدر منها الى ما جاورها من البلدان انظر الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص١٥٤ ، وهي بلاد الصير وقد حلت محلها الآن مدينة رأس الخيمة بدولة الامارات العربية المتحدة .

(٣) جزيرة بني كاوان ، أو ابن كاوان ، وتسمى ايضا جزيرة لفت : يصفها الحموي بأنها جزيرة عظيمة تقع في بحر فارس « الخليج حاليا » بين البحرين وعمان معجم البلدان جـ ٢ ص ١٣٩ .

وهناك أجبروا قائد الحامية العسكرية الفارسية المرابطة بها الى الاستسلام فلما علم الملك الفارسي يزدجر بذلك غضب غضبا شديدا وأمر عامله على اقليم كرمان بأن يعد حملة كبيرة يتوجه الى تلك الجزيرة لاجلاء الجيش الاسلامي منها ، فالتقى الجيشان الاسلامي والفارسي في جزيرة « جاش »[1] القسم ، وكانت الدائرة على الفرس حيث قتل قائد الحلمة الفارسية شهرك . وبذلك يكون العمانيون قد قضوا على محاولة الفرس الأخيرة هذه وفكوا ذلك الطوق الذي فرضوه على الدولة العربية الاسلامية ، وكانت مشاركتهم هذه بداية لدور العمانيين في الفتوحات الاسلامية اللاحقة على الجبهة الفارسية منها فتح توج الثانية ، التي وقعت في سنة ٢٣ هـ .

وعندما أمر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بانشاء مدينة البصرة لتكون قاعدة انطلاق للجيوش الاسلامية لغزو بلاد فارس أصبح لأزد عمان حيّ خاصّ بهم في البصرة ، وذلك لكثرة مشاركتهم في تلك الجيوش الفاتحة ، وكان لقبيلة الأزد العمانية وعلى رأسها أسرة آل المهلب العتيك خير من مثل العمانيين في تلك الأدوار .

وكان أبو صفرة ظالم بن سراق والد المهلب بن أبي صفرة ، أحد قادة فرق الجيش العماني الذي غزا به عثمان بن أبي العاص الثقفي بلاد فارس ، وبعد فتح مدينة توج أقام فيها ثم غزا مع عبدالرحمن بن سمرة القرشي بلاد خراسان في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم ما قام به ابنه المهلب وأبناؤه وأحفاده من بعده وغيرهم من العمانيين ليس في فتح بلاد فارس وانما

---

(١) جزيرة جاش « الفارسية » : وقد عربها العرب الى القشم ، تقع عند مدخل الخليج بالقرب من جزيرة هرمز انظر العوتبي جـ ٢ ص ٣٢٥ .

السند وغيرها . (*)

دور العمانيين في استتباب الأمن والاستقرار في الدولة الاسلامية الناشئة :

لم يكتف العمانيون بالتصدي والدفاع للخطر الخارجي الذي تعرضت له بلادهم عمان خاصة والدولة العربية الناشئة عامة بل تعداه الى دور بارز ومهم ألا وهو استتباب الأمن والاستقرار الداخلي في الدولة العربية الاسلامية الناشئة .

فعندما اشتط نافع بن الازرق وأتباعه في أفكارهم المتطرفة وغلوهم حيث أحلوا سفك دماء المسلمين وسلب أموالهم وسبي ذراريهم ، ولشدة وعنف حروبهم تغلبوا على كثير من القرى والمدن في بلاد فارس والاهواز حتى وصلوا الى سواد البصرة حيث هزموا أهلها ما يقرب من ثلاثين هزيمة وقد وصف العوتبي حال أهل البصرة بقوله : « فكان أهل البصرة على حالتين : اما أهل القوة منهم فتحملوا ابناءهم وذراريهم الى البوادي ، واما أهل الضغف ، فوطنوا أنفسهم على القتل وسبي الذراري ، وكانت الازارقة ترى السبي والقتل » .

وفي هذا الوضع غير الآمن الذي يعيشه أهل البصرة فقد اجتمعوا مع عامل البصرة من قبل عبدالله بن الزبير ، الحارث بن عبدالله بن ربيعة المخزومي ورأوا انه ليس هناك من يتصدى لتعسف وعنفوان ابن الازرق الا المهلب بن أبي صفرة وكان وقتها قد عينه ابن الزبير ليكون عاملا له على خراسان ، وانتهت مشاوراتهم

(*) عن الموضوع انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٧٤-٣٨٠ و٤٠٣ و٤١٦-٤٢٩
- الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك ، جـ ٣ ص ٢٩٥ ، جـ ٤ جـ ٣٢٣ و٤٤٣ وجـ ٥ ص ٧٥-٨٤ .
- العوتبي : الأنساب ، جـ ٢ ص ١٢٥-١٢٨ و ٣٢٤-٣٢٦ .
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ٣ ص ٤١ و١٠٠ و٤٤٦ ، السالمي ، عبدالله بن حميد : تحفة الأعيان جـ ١ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٤٣-٤٤ .
- سعيد عاشور وعوض خليفات : عمان والحضارة الاسلامية ص ٢٧ .

على أن يكتبوا للمهلب كتابا على لسان ابن الزبير « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله بن الزبير الى المهلب بن أبي صفرة ، سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا الـه الا هو ، أما بعد ، فإن الحارث بن عبدالله كتب إليّ أن الأزراقة المارقة أصابوا جندا للمسلمين كان عددهم كثيرا وأشرافهم كثيرا ، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البصرة وقد كنت وجهتك الى خراسان ، وكتبت لك عليها عهدا ، وقد رأيت حيث ذكر أمر هذه الخوارج أن تكون أنت تلي قتالهم ، فقد رجوت أن يكون ميمونا طائرك ، مباركا على أهل مصرك ، والاجر في ذلك أفضل من المسير الى خراسان ، فسر اليهم راشـدا ، فقـاتـل عدو الله وعدوك ، ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك ، فإنه لن يفتوك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله » .[1] فقبل المهلب ذلك بشروط هي « فاني والله لا أسير اليهم الا أن تجعلوا إليّ ما غلبت عليه ، وتعطوني من بيت المال ما أقوي به من معي ، وأنتخب من فرسان الناس وجوههم وذوي الشرف من أحببت » فوافق أغلب أهل البصرة إلا بنو بكر بن وائل وبنو تميم ، فعندما أمر المهلب الاخماس على جيشه أمر عبـدالله بن زياد بن ظبيان على خمس بكـر بن وائـل ، وأمّـر الحريش بن هلال السعدي على خمس بني تميم .

فانتخب المهلب من قبائل البصرة شجعانها وأهل البأس والنجدة فيها ، وكـان أكثر من انتخب من بطون قبيلة الأزد العمانية خاصة العتيك وعند نزوله لمقابلة الأزارقة ضرب حول سرادقه اثني عشر سرادقا لبنيه واخوته ثم أمر كل واحد منهم أن يتولى بنفسه يوما كاملا قيادة المعركة على ان يتولى الآخر قيادتها في اليوم

---

(١) عن الموضوع انظر : ـ
- الطبري : تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبري) جـ ٥ ص ٣١٠-٣١٣ .
- العوتبي : الأنساب جـ ٢ ص ١٣٠-١٣٦ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٧٥-٧٦ .

التالي وهكذا دواليك .

وعندما يحس المهلب أن الغلبة للأزراقة كان يقوم بنفسه بقيادة سير المعارك « ثم انه نادى الناس : إليَّ إليَّ عباد الله ، فثابت إليه سرية عمان ، فاجتمع اليه منهم نحو ثلاثة آلاف ، . . ثم قال . . ولعمري ما بكم الآن من قلة ، إني لجماعتكم لراض ، وانكم أنتم أهل الصبر وفرسان أهل المصر ، وما أحب أن أحدا ممن انهزم معكم ، فانهم لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ، عزمت على كل امرىء منكم لما أخذ عشرة أحجار معه . . » .

فلما التقى أصحاب المهلب بالازارقة بقيادة عبدالله بن الماحوز وعليهم الدروع والسلاح كاملا ، فقام أصحاب المهلب يرمونهم بالحجارة حتى اثخنوهم ثم يطعنونهم برماحهم أو يضربونهم بسيوفهم ، فقتل قائدهم وهزموا شر هزيمة وقد كتب المهلب الى الأمير الحارث بن عبدالله عامل البصرة بكتاب يخبره فيه نتيجة نصره على الازارقة ، فقام الاخير بارسال الكتاب الى ابن الزبير ، فقرىء على الناس بمكة ، ورد عليه الحارث « أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله إياك وظفر المسلمين ، فهنيئا لك يا أخا الأزد شرف الدنيا وعزها ، وثواب الآخرة وفضلها » .

« فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال : أما تظنونه يعرفني الا بأخي الأزد » .

وكان ابو علقمة اليحمدي قد قاتل يوم سلى وسلّبرى قتالا شديدا لم يقاتل مثله أحد من الناس . فقد كان ينادي في شباب الأزد وفتيان اليحمد « أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار » فلما ظفر المهلب كافأه وأصحابه من اليحمد بمائة ألف

دينار لما أبداه من بلاء في القتال ، وكان ذلك الصراع سنة ٦٥ هـ وهكذا كان للعمانيين دورهم البطولي هذا الذي سجلته المصادر التاريخية وقد عرفت البصرة بعد ذلك ببصرة المهلب .(١)

إذا كان العمانيون قد تصدوا لغلوّ الأزارقة وتطرفهم خارج بلادهم ، فكان أحرى بهم أن يتصدوا لمثل تلك الافكار المتطرفة من أن تتسرب الى بلادهم ، فقد تصدوا للنجدات ثم للصفرية من بعدهم .

ففي العهد الأموي وعندما سيطر عبدالله بن الزبير على الأجزاء الشرقية من الدولة الاسلامية ، وقوي أمر النجدات بزعامة نجدة بن عامر الحنفي في المناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية خاصة منطقتي اليمامة والبحرين ، أراد نجدة أن يخضع عمان لنفوذه وكان ذلك عام ٦٧ هـ/٦٨٦ م ، فأرسل قائده عطية بن الأسود الحنفي على رأس حملة كبيرة من جيشه ، فتصدى له العمانيون بقيادة زعيمهم عباد بن عبد بن الجلندى ، الذي استشهد في ساحة المعركة التي هزم العمانيون فيها ، لكنهم لم يستسلموا لهذه الهزيمة فجمعوا صفوفهم تحت قيادة سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندى منتهزين فرصة غياب عطية خارج عمان فهجموا على جيشه وهزموه وقتلوا قائده أبا القاسم الذي أنابه عطية عنه ، فلما حاول عطية استرجاع عمان مرة ثانية فشل في ذلك وبذلك لم يتحقق حلم النجدات في الاستيلاء على عمان .

---

(١) عن الموضوع انظر :
- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٣ و ٣٣٩ .
- الطبري : تاريخ الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٣٣ .
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٤٥١ السالمي ، عبدالله بن حميد : تحفة الاعيان جـ ١ ص ٩٤ .
- الأزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٤٧ .
- نفس المرجع تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢٤٨-٢٤٩ .
- سعيد عاشور وعوض خليفات : عمان والحضارة الاسلامية ص ٢٨-٢٩ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية .

وفي أول عهد الدولة العباسية والامامة الاباضية في عمان قدم الى عمان ابو الدلفاء شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، زعيم الصفرية ، وذلك في عام ١٣٤ هـ ، فتصدى له ولاتباعه العمانيون بقيادة الامام الجلندى بن مسعود أول امام اباضي لعمان فهزم الصفرية وقتل شيبان ومن معه . وبهذا النصر يكون العمانيون قد صانوا بلادهم من تغلغل تلك الافكار .[١]

التصدي للقراصنة الهنود :

في عهد الامام غسان بن عبدالله الفجحي اليحمدي (١٩٢-٢٠٧ هـ/ ٨٠٨-٨٢٣ م) اشتد خطر القراصنة من كفار الهند بما شنوه من هجمات على شواطىء عمان وموانئها حيث أخذوا يغيرون عليها بين فينة وأخرى ، فيقتلون الابرياء وينهبون ما تصل اليه أيديهم مهددين بذلك الطريق التجاري الهام في مياه الخليج وبحر العرب ، بما كانوا ينشرونه من رعب وفزع في نفوس السكان والعاملين في التجارة والملاحة البحرية ، الأمر الذي حدا بالامام غسان بن عبدالله باتخاذ اجراءات سريعة لردع هؤلاء القراصنة ، فأمر بانشاء اسطول بحري مسلح يتكون من قوارب خفيفة سريعة الحركة تسمى الشذاءات التي تعرف محليا بالزوارق .

وتأتي صناعة هذه القوارب بدلا من تلك المراكب الكبيرة الثقيلة التي يتكون منها سابقا الاسطول البحري العماني وذلك لتتمكن من مطاردة تلك البوارج ، لكونها أكثر كفاءة لملاحقتها . وقد تكللت جهود العمانيين بالنجاح ، حيث لم يكتفوا بهزيمة أولئك القراصنة والقضاء على قرصنتهم في الشواطىء العمانية بل

(١) الزواريق (جمع) مفردها الزاروق أو الزاروقة . عن صناعة السفن العمانية انظر عمان وتاريخها البحري ص ١٤٧ .

تعقبوهم حتى شواطىء بلادهم ، حتى لا تسول لهم أنفسهم العودة لممارسة عملياتهم الاجرامية تلك ، وقد خاطب الامام غسان الأمة بقوله « أنا اريد حرب الهند ، وبيت المال لا يكفي فقدم له التجار قرضا يتم سداده من بيت المال (المقصود بالبوارج التي وردت في المصادر التاريخية العمانية هي السفن التي كان يستخدمها هؤلاء القراصنة ، وليس اسماءها كما ورد في التحفة وقد ذكرها الحموي بقوله : « وكان يأوي اليها موارج الهند الذين يقطعون على المسافرين من التجار » وربما قلبت الميم باء في التحفة) .[2]

هذا فقد تحقق للعمانيين في عهد الامام غسان بن عبدالله ومن بعده السيطرة الكاملة على الطريق التجاري الهام . فبذلك ازدادت ثروة عمان وأصبحت عمان قوة مهابة الجانب في المنطقة كلها ، ونتيجة للأمن والاستقرار اللذين شهدتهما عمان في عهده حيث سميت عاصمتها نزوى « بيضة الاسلام » .[3]

---

(٢) السالمي .
عبدالله بن حميد : تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان جـ ١ ص١٢٣ والحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٢٧ في حديثه عن سقطرى .

(٣) عن الموضوع انظر أيضا :
- الازكوي ، سرحان بن سعيد : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة ص ٥١
- نفس المرجع تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢٥٧ .
- ابن رزيق ، حميد بن محمد : الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٣٥-٣٦ يقول ابن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٢٧ في كتابه الشعاع .

وغسان الهمام ، امام عدل ... بنار وغى أعاديه أذابا
وقد قطع البوارج عن عمان ... فما منهم لها بالشرّ آبا

- السالمي : محمد بن عبدالله وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٤ .
- مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ترجمة محمد أمين عبدالله ص ٨٢ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٢١٦-٢١٨ .
- سعيد عبدالفتاح عاشور عمان حصن العروبة والاسلام بحث في ندوة الدراسات العمانية جـ ١ ص ٢٧٨ .

انظر ـ الهمذاني ، الحسن بن أحمد : صفة جزيرة العرب ص ٩٣-٩٤ .
الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٢٧ ، فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٢٩٦-٣٠١ .
الموسوعة العربية الميسرة مج ١/ ص ٩٨٦ مادة س .

التصــدي للأحبــاش :

في عهــد الامــام الـصلت بن مالــك الخــروصي (٢٣٧ ـ ٢٧٣هـ/ ٨٥١-٨٨٧م) قام نصارى جزيرة سقطرى[١] التابعة لعمان في تلك الفترة بنقض العهد المبرم بينهم وبين العمانيين ، وقد شجعهم على ذلك نصارى الحبشة ، الذين قاموا بغزو جزيرة سقطرى فقتلوا القاسم والي الامام العماني عليها وقضوا على القوة العمانية المرابطة في الجزيرة ، وذلك لحقدهم على العرب والمسلمين الذين يمثلهم العمانيون في نشر الاسلام وتوسعهم التجاري في شرق افريقية . واستنجدت فتاة عربية تدعى الـزهـراء بالامـام الصلت بن مالـك بقصيدة مؤثـرة استنهضته بها همته .[٢]فما كان من الامام الا ان لبى دعوتها فهب لنجدتها وأمر بتجهيز حملة

---

(١) سـقطرى :
بضم أوله وثانيه ، وسكون طائه ، وراء ، وألف مقصورة ، اسم جزيرة عظيمة كبيرة تبلغ مساحتها ٣٦٢٦ كم٢ ، فيها عدة مراسي ، تتوسطها الجبال . فيها عدة قرى ومدن تقع جنوب عدن في المحيط الهندي ، وهي الى بر العرب أقرب منها الى بر الهند ، وكانت مركزا للقراصنة « وكان يأوي اليها موارج الهند الذين يقطعون على المسافرين من التجار » وفيها يبدو أن العمانيين قد احتلوها بعد قضائهم على القراصنة الهنود في عهد الامام غسان بن عبدالله (١٩٢-٢٠٧هـ/ ٨٠٨-٨٢٣م) ثم اتخذوها قاعدة لهم وذلك لوقوعها على الطريق التجاري الهام الواصل بين شرق افريقية والبلاد الواقعة إلى جنوب المحيط الهندي وبحر الصين من جهة وعمان من جهة ثانية ، ثم لوجود مجموعة من الاباضيين من أهلها على الرغم من أن غالبية سكانها من نصارى العرب خاصة قبائل مهرة وبها ما يقارب عشرة آلاف مقاتل منهم .

(٢) قالت الزهراء في قصيدتها :ـ

قل للامام الذي ترجى فضائله ... ابن الكرام وابن السادة النجب
وابن الجحاجحة الشم الذين هم ... كانوا سناها وكانوا سادة العرب
امست سقطرى من الاسلام مقفرة ... بعد الشرائع والفرقان والكتب
واستبدلت بالهدى كفرا ومعصية ... وبالأذان نواقيسا من الخشب
وبالذراري رجالا لا خلاق لهم ... من اللئام علوا بالقهر والغلب
جار النصارى على واليك وانتهبوا ... من الحريم ولم يألوا من السلب
إذ غادروا قاسما في فتية نجب ... عقوى مسامعهم في سبسب خرب
ما بال صلت ينام الليل مغتبطا ... وفي سقطرى حريم بادٌ بالريب
يا للرجال اغيثوا كل مسلمة ... ولو حبوتم على الأذقان والركب
حتى يعود عماد الدين منتصبا ... ويهلك الله أهل الجور والريب
وثم يصبح دعا الزهراء صادقة ... بعد الفسوق وتحيا سنة .الكتب

انظر السالمي عبدالله بن حميد : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان جـ ١ ص ١٦٧-١٦٨ .

بحرية كبيرة بلغ عدد قطع اسطولها ما يزيد على مائة سفينة مجهزة بكل ما يحتاجه هذا الجيش من معدات الحرب والقتال والمؤن ، وأوكل بقيادته الى خمسة من خيرة قادة جيشه في الحزم والعزم والنزاهة .

وأوصاهم بأن يقوم التالي منهم مقام الأول إذا ما أصيب ، وينقل الشيخ السالمي ذلك بقوله « فجمع الامام الجيوش ، وجهز المراكب وولى عليهم محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شلال ، فإن حدث باحدهما حدث ، فالباقي منهما يقوم مقام صاحبه ، فإن حدث بهما جميعا حدث ، ففي مقامهما حازم بن همام ، وعبدالوهاب بن يزيد ، وعمر بن تميم ، وكتب لهم كتابا بين فيه ما يأتون وما يذرون ، ويقال ان جملة المراكب التي اجتمعت في هذه الغزوة مائة مركب ومركب » .

وليس بامكاننا في هذا البحث المختصر أن نورد هذا الكتاب فهو يربو على خمس عشرة صفحة ، يشتمل على عدة وصايا وتعليمات وضح فيها الامام مهام كل فئة من هذا الجيش من قادة وجنود وربابنة سفن والعاملين عليها والعلاقة فيما بينهم ، وكيفية تعاملهم مع أهل سقطرى ، المسالم منهم والمحارب ، وأن يكونوا حريصين في اتباع تعاليم الاسلام ومبادئه في غزوتهم هذه .

فساروا على بركة الله وتوفيقه ، مستقلين تلك السفن من الموانىء العمانية وعند وصولها الجزيرة أحاطت بها احاطة السوار بالمعصم ، ولم تذكر تلك المصادر شيئا عن عدد أفراد تلك الحملة ، لكن فيما يبدو لنا أنها كانت كبيرة خاصة وانها حمولة مائة مركب ومركب وان يتولى قيادة أمورها بالتتابع خمسة من خيرة القادة العمانيين ، الذين كانوا فعلا عند حسن ثقة الامام بهم ، فقد قادوا تلك الغزوة بكل كفاءة واقتدار هم ومن معهم . فلا غرو أن حققوا الظفر والانتصار على

أعـدائهم ﴿ وكـان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾[1] وأعادوا جزيرة سقطرى مرة ثانية للحكم العماني وطردوا منها الغزاة الأحباش .

المحافظة على سيادة عمان وعروبة المنطقة :

ابتداء من مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وحتى الربع الأخير من القـرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي تعرضت عمان لهجمات شرسة استهدفت سيادتها ومعتقدها وعروبتها ، فقد خضعت لنفوذ القرامطة[2] الغلاة في الفترة الممتدة من (٣١٧-٣٧٥هـ/ ٩٢٩-٩٨٦م) ، حيث تم طردهم من قبل العمانيين لكن لم يمض وقت طويل حتى وقعت عمان تحت سيطرة البويهيين[3] الفرس ابتداء من أواخر القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، وتم للعمانيين بقيادة الامام راشد بن سعيد اجلاؤهم ، ثم رضخت عمان لحكم السلاجقة[4] لمدة طويلة من الزمن يتغلب عليهم العمانيون في حالة وحدتهم ، بينما

---

(١) الآية ٤٧ من سورة الروم .
عن الموضوع انظر :-
- السالمي ، نفس المرجع ص ١٦٦-١٨٣ .
- السالمي ، محمد بن عبدالله وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٦-١٣٧ .
- فاروق عمر : نفس المرجع السابق ص ٢٩٨-٣٠١ .
- سعيد عبدالفتاح عاشور : بحث بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٢٨٠ .

(٢) القرامطة :
مؤسس دولة القرامطة ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي وقد سيطرت هذه الدولة على أجزاء كثيرة من جنوب وشرق شبه الجزيرة العربية منها الاحساء والقطيف والبحرين واليمامة وعمان . ومن غلو أفكاره انه أبطل الصلوات والصوم والحج والزكاة وكان الجهلاء منهم يتألهونه ، وفي سنة ٣١٧هـ استولى أبو طاهر القرمطي على مكة واقتلع الحجر الاسود ونقله الى عاصمته المؤمنيه في الاحساء محاولة منه لنقل الحج اليها .

(٣) البويهيون :
يقول ابن خلدون فيهم هم اخوة ثلاثة تولوا الوزارة في عهد الخليفة العباسي الراضي وتلقبوا بعماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ، وقد احاطوا بأعمال الخلافة العباسية بنواحي بغداد من شرقها وشمالها جـ ٧ ص ٩٠٩ ، ص ٩٢١ .

(٤) السلاجقة :
ينتسبون الى سلجوق وهم من الغز التركية ظهروا في ايران في القرن السادس الهجري - العاشر الميلادي - ، استنجد بهم الخليفة العباسي القائم ، ضد البويهيين الفرس فدخل زعيمهم طغرلبك بغداد ومنحه الخليفة لقب ملك الشرق والغرب . الموسوعة العربية الميسرة مادة سلاجقة .

في حالة تفرقهم يعاود هؤلاء فرض سيطرتهم على عمان .

وفي عهد بني نبهان في عمان في الفترة الواقعة من منتصف القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي والتي عرفت بالفترة الأولى لحكم بني نبهان تعرضت عمان لهجمات من قبل الفرس .

اولى تلك الغزوات التي ذكرتها المصادر العمانية كانت في عهد الملك النبهاني معمر بن عمر بن نبهان في منتصف القرن السادس الهجري ، وانتصر فيها العمانيون على الغزاة الفرس ، وقد أشاد بذلك الانتصار شاعر النباهنة المشهور الستالي .[5]

أما الغزو الثاني فكان في عهد الملك النبهاني ابي المعالي كهدان بن نبهان ، ففي عام ٦٦٠ هـ (١٢٦١م) ، قام محمود بن أحمد الكوشي ، ملك هرمز[6] بهجوم ساحق على عمان فوقعت المناطق الساحلية في عمان تحت وطأة واضطهاد جنوده القساة من سلب ونهب لكن وبعد ان توحدت جهود العمانيين ابتداء من ظفار وانتهاء بقريات وقلهات استطاعوا أن ينزلوا بجيشه المتغطرس شر هزيمة ، حيث ابيد معظم جيشه وكان هو نفسه ضحية لسوء تصرفات جنده تجاه العمانيين .

---

(٥) بيمنك رد الله عن أهل دينه ... مناوئهم إذ حاول الظلم جائر
أعاجم جاءت في لفيف من العدى ... جموعهم في شدة والعساكر
أرادوا اضطهاد الحق بغيا وحاولوا ... إزالته والحق مذ كان ظافر
وردوا على ادبارهم فتبددوا ... عباديد طراً جمعهم متطائر
ديوان الستالي ص ٢١٤ـ٢١٥ .

(٦) مملكة هرمز :
أسسها محمد الدغستاني على ساحل كرمان ثم صارت للغز التركمانيين حكام كرمان ثم نقلت الى جزيرة هرمز على مدخل الخليج ، وملكها محمود المذكور وهو الثاني عشر في سلسلة ملوكها بدأ حكمه عام ٦٤١هـ . مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ص ١٤٠ والحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٠٢ .

غزو مغول شيراز : (٧)

كان الغزو الثالث الذي تعرضت له عمان من قبل بلاد فارس في عهد بني نبهان كان عام ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م) ففي عهد الملك النبهاني عمر بن نبهان قام الاخوان فخر الدين أحمد وأخوه شهاب الدين ابنا ملك شيراز المغولي بغزو عمان على رأس حملة قوامها أربعة آلاف وخمسمائة فارس . . نزل الغزاة بمدينة صحار والتقى بهم الملك النبهاني بحي عصام بها فحلت الهزيمة بالعمانيين فزحف الغزاة الى مدن الداخل واحتلوا مدينة نزوى عاصمة عمان آنذاك ، وقاموا بعمليات سلب ونهب على نطاق كبير ، ولم يكتفوا بذلك بل طردوا سكان قرية العقر بمدينة نزوى من منازلهم وحلوا محلهم فيها ، ثم دمروا سوق نزوى . بعد ذلك زحفوا الى مدينة بهلاء العاصمة الثانية لملوك بني نبهان وحاصروها مدة طويلة ، وقتل قائدهم أثناء الحصار مما فتّ من عزيمتهم وانهزموا وتم طردهم من عمان .(٨)

وبهذا نكون قد أوفينا ولو بصورة مختصرة للدور الذي قام به العمانيون في التصدي والدفاع عن ارض العروبة والاسلام في الفترة التي حددناها لبحثنا

---

(٧) شيراز : بكسر الشين ، بلد عظيم كانت قصبة ايران تقع وسط ايران أسسها محمد بن القاسم بن ابي عقيل ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي في القرن الأول الهجري ـ السابع الميلادي ـ ، الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٨٠ والموسوعة العربية الميسرة .

(٨) عن الموضوع انظر :
- الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، جـ ١ و ١١ عدة صفحات وأبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر جـ ٢ ص ١٦٢-١٦٣ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٧ وجـ ٨ وجـ ٩ وجـ ١٠ في عدة صفحات .
- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٧ ص ١٨٨-١٩٩ ، جـ ٨ ص ٩٤٤-٩٤٦ .
- الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٦٢-٦٣ ، ص٧٠ ، ص ٧٣ .
- نفس المصدر تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢٧٨-٢٨٠ وص ٣٠٨-٣١١ ، وص ٣١٥-٣١٧ .
- السالمي ، عبدالله بن حميد التحفة جـ ١ ص ٢٨٨-٢٩٩ ، ص ٣١٨-٣٢٠ وص ٣٥٣-٣٥٤ .
- السالمي ، محمد بن عبدالله وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٩-١٤٠ وص ١٤٢-١٤٥ وص ١٥٠ .
- عن القرامطة انظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٦١-٦٣ و ٨١ و ١٠١ .
- مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ترجمة محمد أمين عبدالله ص ١٠٠-١٤١ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٣٣٣-٣٣٤ .

المختصر هذا منذ صدور الاسلام وحتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

لكن لا يعني هذا أن دور العمانيين قد انكمش فيما بعد في القيام بمثل هذا الدور ، فلم يكن دورهم في العصر الحديث بأقل مما كان عليه في السابق ، فقد كانت لهم صولات وجولات أبهرت أعداءهم قبل أصدقائهم فعلى يد الائمة اليعاربة الأشاوس تم طرد البرتغاليين المحتلين ليس من الموانىء العمانية فحسب بل تعقبوهم في الموانىء الواقعة على الساحل الشرقي لافريقية ، فتم لهم طردهم منها . كذلك تم على يد البوسعيد خاصة الامام احمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيد الذي قام بدور بطولي بارز في توحيد البلاد والتصدي للفرس لفرض سيطرتهم على عمان عمل للمحافظة على عروبة المنطقة وذلك بانقاذه مدينة البصرة العراقية من الوقوع في قبضة الفرس .

مصر ودورها في التصدي لغارات البزنطيين :

بعد أن تم للعرب المسلمين فتح مصر في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعلى يد القائد العربي السياسي البارع عمرو بن العاص ومنذ هذا الحدث التاريخي الهام أخذت مصر دورها الطبيعي في الدفاع عن أرض العروبة والاسلام .

فقد أصبحت مصر قاعدة انطلاق للفتوحات العربية الاسلامية نحو افريقية وبالذات الشاطىء الشمالي لافريقية بما يعرف اليوم بالمغرب العربي ، وليس هذا فحسب بل وأصبحت خط الدفاع الأول عن أراضي الدولة العربية الاسلامية الناشئة عن خطر الدولة البيزنطية . وهكذا شاءت الظروف بل الحكمة الربانية

بأن تهيىء كلا من مصر وعمان في الدفاع عن الدولة العربية الاسلامية الناشئة فعمان من الجنوب والشرق تصدت لدولة الفرس بينما تصدت مصر لخطر الدولة البيزنطية ، هذا الخطر تمثل في غالبيته من جانب البحر .

فكان أول رد فعل بيزنطي للفتوحات العربية الاسلامية لبلاد الشام ومصر هو الهجوم البحري الذي قام به البيزنطيون عام ٢٥هـ/٦٤٥م على بلاد الشام والاسكندرية وقد فشل الأول وذلك للتحصينات التي أقامها معاوية بن أبي سفيان والي دمشق ، بينما تمكن البيزنطيون من الاستيلاء على الاسكندرية حيث فاجأوا الحامية العربية بها ، وكان وقتها والي مصر عمرو بن العاص غائبا وبعد عودته من مكة المكرمة ، قاد حملة كبيرة متصديا لهم قاطعا عليهم طريق تقدمهم نحو بقية أرض مصر فهزمهم ثم تقدم لمحاصرتهم في الاسكندرية ، فنصبوا المجانيق على اسوارها ، وأخذ الروم يرمون المسلمين بالسهام ومع هذا تمكن المسلمون من اقتحام المدينة وابادة القوة البيزنطية بها ، وقتل قائدها مانويل وهدم سورها وقلاعها .

ان هذا الغزو الذي شنه البيزنطيون على بلاد الشام ومصر في آن واحد حتم على كل من والي الشام معاوية بن أبي سفيان وعبدالله بن سعد بن أبي السرح ـ والي مصر ـ بعد عمرو بن العاص التعاون في انشاء أول اسطول حربي بحري عربي فقدمت بلاد الشام الأخشاب بينما قامت دور صناعة السفن بمصر بتصنيع السفن الحربية .

فكان أول تعاون بينهما هو فتح جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ/٦٤٩م ، وذلك لما شكله من خطورة على الوجود العربي في بلاد الشام ، لقربها منها ولتحكمها في الأجزاء الشرقية من البحر المتوسط ثم لكونها محطة للبيزنطيين يلجأ اليها اسطولهم

للتموين والانطلاق .

وكان أهم تعاون في هذه الفترة هو ما حدث عام ٣٤هـ/٦٥٤م ، عندما قاد الامبراطور البيزنطي قسطنطين أكبر تجمع للروم منذ العهد الاسلامي في بلاد الشام ومصر وكان هدفهم القضاء على الاسطول العربي واسترجاع الاسكندرية ومصر وكان عدد سفن اسطوله خمسمائة سفينة حربية مزودة بالآلة الحربية وفي رواية للطبري عن شاهد عيان قوله « كنت معهم فالتقينا في البحر ، فنظرنا الى مراكب ما رأينا مثلها قط » وقاد الحملة المسلمة والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح باسطول بحري يتكون من مائتي سفينة حربية والتقى الجيشان قرب جزيرة رودس الحالية وقد خير المسلمون البيزنطيين بين القتال في البحر أم على الساحل « إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأجل منا ومنكم ، وإن شئتم فالبحر » .

فاختاروا البحر ظنا منهم بأن الغلبة ستكون لهم ، لكن الله خيب آمالهم فلما رأى المسلمون أن مهامهم قد نفذت وان الاحجار التي حملوها في سفنهم قد نفذت هي الأخرى ، سحبوا سفن الاعداء بالخطاطيف والتحمت السفن ببعضها فصار القتال على سطوح السفن كأنه على البحر بالسيوف والخناجر فكان النصر حليف المسلمين ، وقد قتل فيها معظم رجال الجيش البيزنطي البالغ عدده عشرين ألفا ، وقد سميت هذه المعركة باسم « ذات الصواري » لكثرة الصواري التي اشتركت فيها ، وفر قسطنطين جريحا .

ولم يكتف المصريون بالتصدي لهؤلاء المعتدين من الروم البيزنطيين فقد تصدوا لردع هجمات أخرى متتالية كان منها عام ٥٣هـ/٦٧٣م بالبرلس وعام ٩٠هـ/٧٠٩م على دمياط وعلى تنيس سنة ١٠١هـ/٧١٩م ، ثم سنة ١٢١هـ/٧٣٩م على دمياط عليها مرة ثالثة عام ٢٣٨هـ/٨٥٢م في عهد الخليفة

العباسي المتوكل إذ اجتاح البيزنطيون دمياط واستولوا عليها وقتلوا كثيرا من رجالها وسبوا النساء والأطفال وأعطى الخليفة اهتمامه بالاسطول حيث انشئت الشواني « وصار من أهم ما يعمل بمصر » وهذه الحادثة شبيهة لما حدث في عمان في عهد الامام الصلت بن مالك الخروصي عندما أرسلت حملة بحرية كبيرة لانقاذ جزيرة سقطرى من نصارى الحبشة ، ويبدو أن هناك تنسيقا بينهم وبين البيزنطيين لمهاجمة أرض العروبة والاسلام .(١)

الاخشيديون ودورهم في التصدي لنصارى النوبة :(٢)

بعد أن فتح العرب المسلمون مصر بقيت بلاد النوبة الواقعة جنوبا حيث لم يتم فتحها وظلت محتفظة بوضعها كمملكة مسيحية ، وعقد والي مصر ـ في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ عبدالله بن سعد بن أبي السرح اتفاقية مع ملكها عرفت باتفاقية اليقط الشهيرة ، وان لم يتم التقيد بما جاء

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ٤٣٥ ، ص ٤٥٤ـ٤٥٦ .
- البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٠ـ٢٢٠ وابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٨١ ، ص١١٧ـ١١٨ وجـ ٨ ص ٥٨٩ .
- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص١٤٨ ، ص ١٥٤ ، ص ١٦٤ .
- عبدالرحمن الرافعي وسعيد عبدالفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ص ٢٤ـ٢٩ ، ص ٧٣ وص ١٥٤ـ١٥٥ وص ٢٤٤ـ٢٤٦ .
- د. عبدالعظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية ص ٥٦ـ٧٤ ، ص ٢٢٦ـ٢٢٧ .
- أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ـ النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة ص ٧٩ـ٨٠ .
- ابن كثير : البداية والنهاية

استدراك :
كذلك تصدى للبيزنطيين كل من الطولونيين والاخشيديين والفاطميين .

(٢) مملكة النوبة أو بلاد النوبة :
بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وباء موحدة ، بلاد واسعة ، في جنوبي أسوان بمصر ، يسمى الجزء الواقع منها بمصر بالنوبة السفلى ، والجزء الواقع بالسودان بالنوبة العليا . وكان أهلها نصارى وهم أهل شدة في العيش ، أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها . وتم الصلح بين ملكها وبين المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه على أن يدفع النوبيون للمسلمين أربعمائة رأس في السنة . وقد قامت بها عدة ممالك مسيحية ، أهمها مملكة دنقلة التي استمرت حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، بدأ الأسلام ينتشر فيها منذ ظهوره ، وانتهت دولة المسيحيين واعتنق أهلها الأسلام .
انظر الحموي : معجم البلدان والموسوعة العربية الميسرة مادة نوبة .

فيها فكان هناك نقض لها بين فترة وأخرى من الجانبين فكان النوبيون يغيرون على حدود مصر الجنوبية فينهبون ما يحتاجون اليه من غلال وغيرها ، بينما يقوم حكام مصر باستيراد الرقيق من بلاد النوبة حتى ان جيوش الطولونيين والاخشيديين ثم الفاطميين من بعدهم كانت تضم فرقا كثيرة منهم .

وفي عام **٣٣٩هـ/٩٥١م** في عهد ارنوجور بن الاخشيد أغار النوبيون على الواحة الخارجة ، فدمروا ونهبوا وقتلوا عددا من أهلها .

وفي سنة **٣٤٤هـ/٩٥٦م** ، قام ملك النوبة بغارة كبيرة على مدينة أسوان بجنوب مصر فقتل عددا من المسلمين ونهب عدة قرى فيها ، فأرسل كافور الاخشيدي[٣] حملة بقيادة محمد بن الخازن وأخرى بحرية بقيادة عمارة وسارت محاذية لساحل البحر الأحمر ونزلت جنوبي الحدود بين مصر والنوبة قاطعة طريق العودة على النوبيين وبذلك تمت هزيمتهم .

وهكذا ظلت الجيوش الأخشيدية تطاردهم حتى قلعتهم إبريم ، وقام محمد الخازن بسبي أعداد كبيرة منهم وساقهم إلى مصر .

وفي عهد أبي الحسن علي بن الاخشيد قام النوبيون بالاغارة على أسوان وأخميم فقاموا بعمليات السلب والنهب والقتل ، منتهزين بذلك ما تعرضت له مصر من القحط ، واغارة القرامطة على بلاد الشام التابعة للاخشيديين ، ثم

---

(٣) كافور الاخشيدي :
هو أبو المسك كافور ، كان عبدا حبشيا اشتراه محمد الأخشيد حاكم مصر فنسب اليه . أعتقه ، وترقى عنده . حكم كافور مصر (٢٩٣-٣٥٨هـ/ ٩٠٥-٩٦٨م) ، وكان فطنا ذكيا حسن السياسة ، وقد رعى الشاعر المشهور أبا الطيب المتنبي مدة ، ثم أهمله وقصته معه مشهورة . انظر الموسوعة العربية الميسرة مادة كافور .
انظر أيضا ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ٥٨١ .
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ص ٧ ص ٦٧٢-٦٧٣ .
ابن كثير : البداية والنهاية ص ١١ ص ٢٦٦ .

التهديد الفاطمي لمصر ويرى بعض المؤرخين انه لا يستبعد أن تكون غاراتهم هذه بتحريض من الفاطميين بهدف اشغال الاخشيديين في أكثر من موقع واضعاف قوتهم .[٤]

التصدي للقرامطة وشرورهم :

بعد ان توسع نفوذ القرامطة في بلاد الشام الخاضعة للطولونيين فقد حاصر القرامطة مدينة دمشق عام ٢٨٩هـ (٩٠٢م) ، وهزموا والي الطولونيين على دمشق ، لولا وصول جيش إلى دمشق أرسله هارون بن خمارويه ، ومع هذا لم يتمكن الطولونيون من القضاء على نفوذ القرامطة في بلاد الشام مما حدا بالخليفة العباسي المكتفي بارسال حملة للتصدي للقرامطة وفي نفس الوقت القضاء على الطولونيين أنفسهم واسترجاع مصر وبلاد الشام من أيديهم .

أقول إذا كان الطولونيون قد فشلوا في التصدي للقرامطة وغلوهم فقد تحقق ذلك التصدي على يد الخلفاء الفاطميين في مصر ، الذين كانت تربطهم بالقرامطة علاقة طيبة وبالذات في منتصف القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ قبل أن ينتقلوا الى مصر ، ولكن وبعد أن تحقق لهم ما يصبون اليه في قيام دولتهم في مصر وأصبحوا في غنى عن خدمات القرامطة ، ثم للأعمال المشينة التي ارتكبها القرامطة من قتل وسلب ونهب وأخيرا لقلعهم الحجر الأسود من الكعبة وقتلهم الحجيج في مكة المكرمة هذه الأعمال حتمت على الفاطميين تبرئة ساحتهم من هذه الأعمال فتبرأوا من القرامطة . ونتيجة للانقسامات الداخلية التي دبت بين

---

(٤) عبد الرحمن الرافعي وسعيد عاشور ـ مصر في العصور الوسطى ص ١٥٦-١٥٧ .
نقلا عن المقريزي : المواعظ وأبي المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

القرامطة وكراهية المسلمين لهم فقد ضعفت دولتهم في أواخر القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ .

وردا على هذا الجحود الذي تلقاه القرامطة من الدولة الفاطمية ، فقد تعاونوا مع العباسيين ضدها فقاموا بغزو أراضيها في الشام ومصر نكاية لها ، ولكن وان حقق القرامطة نجاحا مؤقتا على الجانب الشامي عام (٣٦٠هـ/ ٨٧٤م) ، فإن غزوهم لمصر لم يحقق لهم نصرا .[1]

دور الايوبيين في التصدي للصليبيين :

بعد أن أصبح للصليبيين السيطرة على بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي ـ، طمعوا في احتلال مصر وشجعهم على ذلك الحالة التي وصلت اليها الدولة الفاطمية من تمزق وصراع على السلطة بين وزرائها وقادتها ، ثم تخوف الصليبيين من أن تقع مصر في يد نور الدين محمود زنكي الذي وحد المدن الشامية حلب وحماه وحمص ودمشق .

ولتولى عموري الأول الملك في مملكة بيت المقدس الصليبية ، الذي اشتهر بالشجاعة والدهاء ، وقد انتهى الصراع بين الطرفين بوصول صلاح الدين إلى الحكم في مصر والقضاء على الخلافة الفاطمية قبل وفاة الخليفة الفاطمي العاضد سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) بثلاثة أيام . وبعد أن استتبت الأمور لصلاح الدين في مصر وقضى على كل منافسيه والمشاكل التي واجهته فيها من داخلية (بزعامة بقية كبار نظام الحكم الفاطمي) وخارجية (من صليبية وباطنية وزنكية) قام بتحصين مصر ثم توجه نحو الجهاد ضد الصليبيين وهذا لا يتم الا بتوحيد صفوف

الأمة الاسلامية خاصة المناطق المحيطة بهم في مصر وبلاد الشام وشمال العراق وكانت الاخيرتان في يد الزنكيين ، بزعامة نور الدين محمود زنكي وبعد وفاته تنازع أفراد أسرته على الحكم ، فقام بعض الأطراف المتنازعة باستدعاء صلاح الدين لتسلم دمشق فتسلمها عام (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) ، وبخطوته هذه رأى الصليبيون أن وحدة المسلمين في المنطقة تشكل خطورة على وجودهم فيها .

لما فشلت خطة المتغلبين على أمور حلب في قتل صلاح الدين بواسطة جماعة من الحشيشية الباطنية ، استعانوا هذه المرة بموند الثالث أمير طرابلس الصليبي والوصي على عرش مملكة بيت المقدس ، وهذا ما كان يتمناه الصليبيون وتعاون معهم الزنكيون حكام الموصل انتصر صلاح الدين عليهم في موقعة بين حماة وحلب ، ثم قطع الطريق بين الموصل وحلب باستيلائه على المواقع الهامة بينهما ، وبعدها عقد هدنة معهم لمدة ستة أعوام ، تفرغ خلالها لتصفية الباطنية فحاصرهم في قلعتهم في بلدة مصياف بسوريا وقتل منهم كثيرين ، وبانشغال الصليبيين وصراعهم في وراثة عرش مملكة بين المقدس بعد وفاة ملكها بلدوين الرابع ، واختلال أحوال امارة انطاكية الصليبية في الشمال ، استطاع صلاح الدين الاستيلاء على مدينة حلب سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) وسلمت له الموصل وأصبح أميرها عزالدين مسعود الزنكي تابعا له ، وهنا أصبح صلاح الدين متهيئا لمواجهة الصليبيين .

ولا يسعنا في هذا البحث الحديث عن جميع المواقع والمعارك الحربية التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين ، ونكتفي بالاشارة اليها دون الخوض في تفاصيلها .

إن تصرفـات ارناط الصليبي صاحب حصن الكرك[1] اللا مسئولة والتي تتنافى مع سلوكيات وأخلاق شرف الامارة والقيادة التي يجب أن يتحلى بها الرجل المسئول . حيث درج ارناط على ارتكاب جرائم السلب والنهب وقتل الابرياء من المسلمين .

فلم يكتف بقطع طرق القوافل التجارية بين مصر والشام والحجاز ، بل قام بتهديد الحرمين في الحجاز ، وبدأ في تنفيذ مخططه الجهنمي هذا بالاستيلاء على أيله « ايلات الحالية » عام (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) (ميناء هام يقع على رأس خليج العقبة) ، ثم فكر بصناعة السفن التي حملت ألواحها الى هذا المكان فتم صنعها هناك ، ومن هذا المكان أيضا تم شحنها بالمقاتلين والعتاد واتجه بهم الى الموانىء الاسـلامية في البحر الأحمر ، وأغار على ميناء عيذاب ، الميناء الرئيسي للتجارة المصرية الدولية بين الشرق والغرب . فقام بتخريبه ونهب ما به من متاجر وقوافل وسفن تجارية . ثم رحل الى الجانب الآخر وهو ساحل الحجاز فنزل بالقرب من ينبع ـ الميناء الرئيسي للمدينة المنورة وعلى بعد يوم واحد فقط منها ـ وبعد ذلك أبحر بسفنـه الى رابغ أحد موانىء مكة المكرمة وهناك ارتكب جرائم السلب والنهب والتخريب كعادته ثم عاد بسفنه المحملة بالغنائم .

وفي طريق عودتـه تصـدى له الاسطول الذي أرسله العادل أخو صلاح الدين فتمكن من تدمير اسطول ارناط وأسر كثيراً من رجاله ، وفر ارناط باعجوبة .

ورد صلاح الدين على تصرف ارناط هذا بأن حاصر حصن الكرك مرتين في عامي (٥٧٩هـ و٥٨٠هـ/ ١١٨٣ و١١٨٤م) ، لكنه لم يوفق في

القضاء عليه .

وليهيىء نفسه للموقف الحاسم عقد هدنة مع الصليبيين لمدة أربع سنوات ابتداء من عام (٥٨٠هـ/ ١١٨٥م) ، نظر فيها دولته وكانت فرصة ذهبية أيضا للصليبيين فقد استفادوا منها لتصفية كثير من مشاكلهم الداخلية الناتجة بعد موت بلدوين الرابع ملك مملكة بيت المقدس .

لكن ارناط بتصرفاته الهوجاء لم يدع الصليبيين ينعمون بتلك الهدنة ، فتعجل في اثارة فتنة الحرب مع صلاح الدين ، التي جاءت بكارثة على الصليبيين جميعا .

موقعة حطين (سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) :

المرحلة الأولى :

تعتبر موقعة حطين هي الفيصل في حروب صلاح الدين ضد الصليبيين ، فما وقع قبلها كان تمهيداً لها وما حدث بعدها كان نتيجة لها . والسبب المباشر لوقوعها هو اعتداء ارناط كعادته التهورية قوافل المسلمين وقطع الطريق على المسافرين فقد انقض على قافلة كبيرة للمسلمين قادمة من القاهرة ومتجهة الى دمشق ، فساق رجالها أسرى الى حصن الكرك واستولى على كل ما لديهم من بضاعة . كانت هذه الخطوة بمثابة الشرارة الأولى التي فجرت الصراع من جديد في المنطقة وقد دفع الصليبيون ثمنه غاليا ، فقد أحسوا بخطورة الموقف فحاولوا ثني ارناط عن عناده بأن يفك الاسرى ويعيد اليهم أموالهم ، لكنه ركب رأسه وتمادى في غيه فتهجم على الاسلام ورسوله الكريم ﷺ .

فكان لابد من ردعه ووضع حد لهمجيته ، وأعلن صلاح الدين الحرب واستنفر المسلمين في مصر وبلاد الشام والموصل وديار بكر وأربيل وغيرها للجهاد ، واجتمعت له الآلاف المؤلفة من المجاهدين .

وبعـد أن استكمل استعداداته تحرك من دمشق مبتدئا بالكرك والشوبك معقل ارناط فدمرهما وقطع أشجارهما وهكذا تتابعت الأحداث موقعة تلو الأخرى كان النصر فيها حليف المسلمين .

فلما رأى الصليبيون هذه الهزائم عليهم قرروا التجمع في صفورية استعدادا للانتقـام من المسلمـين ، لكن صلاح الـدين كان أبـرع منهم فقد وضع خطة لاستدراج الصليبيين فهاجم طبريه ليجرهم اليها وذلك لترك مواقع تجمعهم في صفوريه ثم ليوقع بهم الهزيمة الفادحة بعد أن يبلغ التعب والارهاق منهم مبلغه لطول الطريق وحرارة الجو .

وفعلا تحقق ما أراده صلاح الدين ونجحت خطته فقد زحف الصليبيون للدفـاع عن طبريه وانقاذه من المسلمين ، لكنهم واجهوا في زحفهم هذا ظروفا قاسية لارتفاع درجة حرارة الجو وقلة الماء ومشقة الطريق ، وعلى الجانب الآخر كان المسلمـون قد تمركـزوا لهم في حطين(٢) واضعـين بحيرة طبرية ذات المياه العذبة ورائهم ، مدخرين قوتهم لوقت القتال بعد أن نالوا قسطا لا بأس به من الراحة ، وصل الصليبيون في حالة من الارهاق والتعب والعطش ووجدوا أن المسلمين قد حالوا بينهم وبين الماء ، فباتوا ليلتهم تلك في حال يرثى لها ولم يكتف صلاح الدين بهذا بل استغل ظلال الليل فأحاط بهم من كل جانب وشدد قبضته عليهم وفي الصباح الباكر من عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م ، كانت موقعة حطين الشهيرة .

تم خلالها القضاء على معظم الصليبيين ، وفر ريموند الثالث أمير طرابلس وبصحبته القلة من رجاله الى مدينة صور الساحلية . وكان من بين القتلى حامل صليب الصلبوت[٣] وهو أسقف عكا فاستولى المسلمون عليه . فكانت هذه النتيجة بمثابة كارثة حلت بالصليبيين فأيقنوا الهلاك . وبقي من زعمائهم على قيد الحياة ملك القدس يحيط به مائة وخمسون من الفرسان الاشداء تم اسرهم جميعا . فعاملهم صلاح الدين بالحسنى الا ارناط برا بوعده فقد توعده مرتين انه سيقتله بيده ان هو ظفر به وذلك لما غزا الحجاز مهددا مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والثانية لما أخذ القافلة القادمة من القاهرة الى دمشق غدر فضرب صلاح الدين عنقه ثم أجهز عليه الحاضرون .

أجل صلاح الدين فتح مدينة القدس فزحف بجيوشه نحو مدن الساحل وذلك لمنع الامدادات الخارجية عنها فحاصر عكا التي سلمت بدون قتال شريطة تأمين أهلها على أرواحهم وممتلكاتهم فوافق صلاح الدين مخيرا اياهم بين الاقامة أو الهجرة ، وبذلك احتفظت عكا بنشاطها التجاري . نعم لقد ساعدت تلك السياسة الصالحية من قبل صلاح الدين على الاسراع في فتح كثير من المدن الصليبية الساحلية ، مثل الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ويافا ونابلس التي تم فتحها بمقاومة لا تذكر . بينما سلمت كل من صرفند وصيدا دون مقاومة . ثم سقطت بيروت وسلمت طبرية مقابل اطلاق أميرها من الأسر .

بعدها توجه صلاح الدين لفتح عسقلان التي اتخدها الصليبيون قاعدة لتهديد مصر ، ولقطع الطريق بينها وبين بلاد الشام . وخلال حصارها استولى على مدينتي الرملة واللطرون .

ثم سلمـه مقدم الداورية[1] مدن غزة والنطرون وبيت جبرين . ولم تدم طويلا مقاومة عسقلان فقد نفذت معنويات أهلها فسلموا المدينة مقابل تأمينهم على أرواحهم وممتلكاتهم فأعطاهم ذلك ثم توجه نحو القدس وعرض على أهلها ما قدمه لأهل المدن الأخرى مقابل تسليمهم المدينة بدون قتال فرفضوا فأقسم ليفتحنها بحد السيف فهجم عليها من الجانب الشمالي بعد أن ثقب جنوده سور المدينة . وهنا وافق أهلها بالتسليم بشرط منحهم الأمان ، لكنه أصر على تسليمها بدون شرط وفاء لقسمه وهدد رسلهم بأنه سيفعل بهم كما فعلوا هم عند استيلائهم عليهـا عام ٤٩١هـ (١٠٩٧م) . فلما رأوا تصلبه ذاك خاطبوه بأنهم سيقومون بقتـل أولادهم ونسـائهم ويحرق كل ما يملكون حتى لا يبقى ما يكون غنيمة للمسلمين ويهدم قبة الصخرة والأماكن المقدسة بالمدينة ، وبقتل اسرى المسلمين وعددهم خمسة آلاف . ثم يخرجون لمقاتلة المسلمين قتال المستميت بحيث لا يقتل أحدهم إلا وقتل مثله .

فأشـار عليه أصحابه بالموافقة مقابل خروج المسيحيين من المدينة على أن يدفع الرجل منهم عشرة دنانير والمرأة خمسة والطفل دينارا واحدا . وأن تسدد الفدية خلال أربعين يوما .

وبـذلـك دخلت الجيوش الاسـلامية بقيادة صلاح الـدين الايوبي مدينة السـلام القـدس يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب عام ٥٨٣هـ (٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م) بعد احتلال دام تسعين عاما ، ومن حسن الصدف أن يوافق ذلك ليلة الاسراء والمعراج ، التي احتفل بها المسلمون في المدينة المقدسة ، وقد أشاد كثير من المؤرخين الاوربيين بحسن معاملة صلاح الدين للاسرى الصليبيين ، والفرق الكبـير بين معـاملة المسلـين لاعـدائهم حتى عنـد انتصـارهم عليهم ومقابلة

المسيحيين للمسلمين عند استيلائهم على القدس .

بعد أن أتم صلاح الدين فتح مدن فلسطين بأسرها توجه الى الامارات الصليبية في شمال الشام كصور وطرابلس وانطاكية ، والحصون الداخلية كحصني الاكراد والمرقب .

ولم تمض ثلاث سنوات على هجوم صلاح الدين الكاسح ، إلا وقد تكللت جهوده بالنجاح والانتصارات الباهرة فسقطت الامارات الصليبية الواحدة تلو الأخرى بحيث لم يبق من مملكة القدس الا ميناء صور الذي تجمعت فيه فلول الصليبيين التي سمح لها صلاح الدين بالخروج من المدن المفتوحة . ومن امارة طرابلس (عاصمتها طرابلس) وحصن الاكراد ، ومن امارة انطاكية (عاصمتها انطاكية) وحصن المرقب ، وبقيت بعض المواقع الثانوية الضئيلة الأهمية .

كان لهذه الهزائم التي تعرض لها الصليبيون على يد صلاح الدين ردة فعل كبيرة على الأوربيين ، فقد طالبت البابوية ملوك أوربا وأمراءها للقيام بشن حملة كبرى ضد المسلمين ليستردوا بها بيت المقدس وليثأروا بها لما حل بالصليبيين هناك .

فاستجاب لهذه النداءات ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا وفريدريك امبراطور المانيا . قدم الأولان بحملتيهما عن طريق البحر بينما قدم الامبراطور الالماني برا عن طريق آسيا الصغرى فتعرضت حملته لمصاعب من قبل الدولة البيزنطية ، ثم على يد السلاجقة ، وأخيرا لغرق الامبراطور نفسه في أحد أنهار آسيا الصغرى وبذلك تشتت حملته وفشلت قبل أن تصل الى بلاد الشام .

وإنه بوصول الملك الفرنسي الى بلاد الشام عام ٥٨٧هـ (١١٩١م) يكون قد بث في نفوس الصليبيين روحا جديدة بعثت فيهم الأمل ، ثم تزعم على الفور معركة عكا .

وعندما وصل ملك انجلترا الى بلاد الشام ازداد الصليبيون قوة ، بينما ضعف موقف الحامية الاسلامية المدافعة عن عكا ، ولم تفلح الهجمات القوية التي شنها صلاح الدين على جيوش الصليبيين لانقاذها . فاضطرت حاميتها الاسلامية الى التسليم عام (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) ، وبعد ستة أشهر من وصول ملك انجلترا وشهرين من سقوط عكا في ايديهم شب الخلاف بين الملكين الاوربيين ، قرر بعدها ملك فرنسا العودة الى بلاده . بينما قرر ملك انجلترا البقاء في بلاد الشام لتصفية الحساب بين صلاح الدين والصليبيين . وتعتبر الحروب التي دارت بين صلاح الدين وملك انجلترا بين عامي (٥٨٧-٥٨٨هـ/ ١١٩١-١١٩٢م) من أهم حلقات الحروب الصليبية اطلاقا ، وتعتبر المرحلة الثانية منها .

لقد حاول ريتشارد قلب الأسد أن يعيد شاطىء فلسطين من عكا حتى عسقلان ، واستولى الصليبيون على حيفا ثم على قيسارية ومنها اتجهوا نحو أرسوف ، لكن صلاح الدين لم يترك لهم مواصلة زحفهم دون مقاومة فكانت موقعة أرسوف بين الطرفين في أوائل سبتمبر عام (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) أي بعد أيام قلائل من استيلاء الصليبيين على حيفا وقيسارية . وكاد المسلمون أن ينتصروا كما حدث في موقعة حطين لولا ثبات قلب الأسد ، الذي أعاد تنظيم رجاله في سرعة وتمكن من تحويل المعركة إلى صالحهم . ومع هذا بقيت داخلية فلسطين وخاصة بيت المقدس في يد صلاح الدين وحاول ريتشارد الاستيلاء عليها ولكنه لم ينجح بسبب يقظة صلاح الدين والاستعدادات القوية للدفاع عن المدينة . هذا

بالاضافة الى أن مشاكل الصليبيين الداخلية كثيرة ومعقدة ، وان مركز صلاح الدين قوي ومتين ، وان الأحوال في غرب أوربا تستدعي سرعة عودته الى بلاده .

لكل هذه الأمور مجتمعة قدم ريتشارد الى فتح باب المفاوضات مع صلاح الدين ، التي مرت بعدة أدوار أهمها صلح الرملة في ٢ سبتمبر (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) وقد نص على أن تكون المنطقة الساحلية من صور الى يافا بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف ، في يد الصليبيين ، على أن تظل ما عداها في يد المسلمين بما فيها بيت المقدس . ثم عاد ريتشارد الى بلاده في اوائل أكتوبر عام (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) وفي مارس سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) توفي صلاح الدين في دمشق بعد مرض قصير . وتعتبر وفاته خسارة للعالم الاسلامي بصفة عامة ولمصر والشام بصفة خاصة ، فكان رحمه الله أعظم شخصية شهدتها الحروب الصليبية .

إذا كانت حروب صلاح الدين ضد الصليبيين تمركز غالبيتها في بلاد الشام فإن معظم حروب خلفائه ضدهم كانت في مصر حيث شن الصليبيون عدة هجمات على مصر نفسها .

غادر ريتشارد قلب الأسد بلاد الشام وهو مقتنع بأن استرداد بيت المقدس من المسلمين يبدأ بالاستيلاء على مصر . فبعد وفاة القائد العربي المسلم صلاح الدين الايوبي بدأت محاولات تنفيذ مشروع غزو مصر .

بعد توحيد الدولة الايوبية بزعامة الملك العادل ، رأت أوربا بأن هذه الوحدة ستشكل خطورة تهدد الوجود الصليبي في بلاد الشام ، لذا فإن الاستيلاء على مصر أصبح ضرورة تفرضها ظروف الحرب وعليه كانت الحروب الصليبية ابتداء من الحملة الرابعة والى الحملة السابعة منصبة نحو مصر . فالحملة الرابعة

فشلت لعدم وصولها الى مصر وكانت في سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م) وحملة الاطفال الموجهة نحو فلسطين هي الأخرى فشلت لوقوع الأطفال في يد القراصنة وتم بيعهم بيع الرقيق . أما الحملة الخامسة فكانت سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م) الحملة المكونة من عدة قوميات وبدون قيادة محددة لها تدير شؤونها فقد وصلت الى عكا وبدلا من أن تتجه الى القدس توجهت بقيادة حنا برين ملك عكا الى مصر وأرست قرب دمياط ، وبعد تسعة أشهر من دخولهم الأراضي المصرية استولوا على دمياط فقتلوا كثيرا من أهلها ونهبوا مؤنهم الغذائية . ولانقاذ مصر عرض عليهم السلطان الكامل رد صليب الصلبوت ومدينة القدس ومعظم المدن الفلسطينية التي حررها صلاح الدين ما عدا الكرك والشوبك لموقعهما المهم على طريق المواصلات بين مصر والشام مقابل انسحابهم عن مصر ، فرفض الصليبيون عرضه .

ولذلك بدأ استعداداته وتمركز في المنصورة ثم وصلته امدادات من دمشق وعمل خطة استهدف بها جر الجيوش الصليبية الى أماكن مجهولة لهم تكثر فيها الترع والقنوات المائية ، وعبروا قناة كانت جافة فلما امتلأت بالمياه صارت حاجزا بينهم وبين دمياط فيما بعد ، ولما أحكم المسلمون سيطرتهم هدموا الجسور ففاضت مياه النيل وغطت مساحة كبيرة من الارض وانحصر الصليبيون وسدت عليهم المنافذ فرأوا انه لا مناص من التسليم والا هلكوا فطلبوا الأمان مقابل جلائهم عن دمياط دون شروط . فتشاور السلطان مع مجلس الحرب فأشاروا عليه بالموافقة ، وعقد معهم هدنة لمدة ثمانية أعوام شريطة موافقة الامبراطور فردريك الثاني امبراطور الدولة الرومانية المقدسة عليها واطلاق سراح الأسرى من الطرفين .

وهكذا تم اجلاء الصليبيين عن دمياط عام (٦١٨هـ/ ٧ سبتمبر ١٢٢١م) وهكذا انتهى أمر هذه الحملة اعني بها الخامسة بالفشل بلا أي مقابل .

الحملة الصليبية السادسة (سنة ٦٢٥هـ/ يونيو ١٢٢٨م) :

بعد فشل الحملة الخامسة في تحقيق هدفها في استرداد بيت المقدس أعد فردريك الثاني حملة لكنه مرض في الطريق واتهمته الكنيسة بأنه تمارض عن تنفيذ حملته فحرمته من رحمتها .

ثم عقد هدنة مع السلطان الكامل على أن يتسلم فردريك بيت المقدس وبيت لحم وأن يكون للصليبيين شريط من الارض يصل بين عكا وبيت المقدس ، تشمل اللد ويافا والناصرة والجليل ، على أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة وقرى بيت المقدس في يد المسلمين ، مقابل هدنة لمدة عشر سنوات يتعهد فيها فردريك بمنع أية حملة صليبية أوروبية على السواحل المصرية والشامية وكان ذلك في عكا عند وصول فردريك الثاني اليها سنة (٦٢٥هـ/ سبتمبر ١٢٢٨م) ، وقد عارضها كل من المسلمين والمسيحيين ، وقد أدركت الكنيسة مؤخرا أن ما حققته هذه الحملة خيرا مما حققته الحملة الخامسة فأعلنت عودته الى رحمتها عام ١٢٣٠م وذلك بعد تسلم ودخول فردريك الثاني لبيت المقدس في ١٩ مارس ١٢٢٩م (٦٢٧هـ) وتم تتويجه امبراطورا في كنيسة القيامة ، وبعد ذلك عاد إلى بلاده . وفي عام ١٢٣٩ (٦٣٧هـ) خرجت حملة صليبية بزعامة ثيوبولد ملك نافار وانضمت اليه قوات فرنسية تتكون من عدة آلاف من الفرسان والمشاة ونزلت عند عكا في تاريخ انتهاء أجل الهدنة . ومع أن الصراع بين ملوك البيت الايوبي كان على أشده ، ومع هذا فشلت هذه الحملة وذلك لاختلاف آراء امرائها حول مكان نزولها إن كان في مصر أو في دمشق ، فجمع ثيوبولد بين الفكرتين على أن يكون النزول أولا على الحدود المصرية عند عسقلان وغزة تأمينا للأراضي الخاضعة للصليبيين من الجنوب ثم التوجه بعد ذلك الى دمشق ، وأرسل ثيوبولد حملة إلى

غزة لكنها صدت من قبل جيش مصري مرابط هناك فسقط معظم رجالها في الاسر في نفس الوقت احتل الناصر داود حاكم الكرك وعموم فلسطين وبيت المقدس عام (٦٣٧هـ/ ديسمبر ١٢٣٩م) وهدم تحصيناتها الجديدة .

ثم تحالف الصالح اسماعيل صاحب دمشق مع ثيوبولد الصليبي ضد الصالح أيوب صاحب مصر وحليف الناصر داود صاحب الكرك ، مقابل تسليمه صفد وما حولها من الحصون الصليبية ولكن الصالح حرض عليه أهل دمشق ، كما وعد ثيوبولد باطلاق سراح أصحابه من أسرى وقعة غزة إذا ما نكث بعهده مع الصالح اسماعيل فوافق على نقضه مما أغضب عليه الصليبيين المحليين فرجع الى بلاده بحملته (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م) ، وبذلك تكون الحملة السادسة قد فشلت في كل خطواتها ما عدا استيلاءها على عسقلان وصفد .

وخلال هذه الاثناء حدثت عدة انقسامات وصراعات بين القوى الاسلامية بعضها مع بعض ضد بعضها الآخر متحالفة مع الأسف مع الصليبيين وعلى العموم كانت هذه التحالفات والصراعات تخدم المصالح الصليبية .

الحملة السابعة :

في شدة هذه الأزمة التي تعيشها منطقة الشام قاد لويس التاسع ملك فرنسا حملة فرنسية جديدة هدفها الاستيلاء على مصر مركز المقاومة الرئيسي في المنطقة ، وفي قبرص انضم اليها جنود انجليز واقطاعيون صليبيون من عكا وقبرص . وعند وصولها الى مصر رست على الشاطىء العربي لدمياط مقلدة خطوات الحملة الخامسة رغم فشلها . وفي الجانب الآخر أعد الصالح أيوب جيشا بقيادة الأمير فخر الدين يوسف وعبأ دمياط وأبراجها وأسوارها بالجنود والاسلحة والمؤن الغذائية

استعدادا لحصار طويل .

لكن فخر الدين يوسف كان كبير السن فداخلته الوساوس وظن أن الصالح أيوب قد توفي لانه كان مريضا فلم يصبر على البقاء فانسحب من مواقعه الى معسكر السلطان تاركا دمياط تحت حماية فرقة صغيرة . فلما رأى أهلها ذلك غادروها هم أيضا خوفا على أرواحهم فدخلها الصليبيون دون مقاومة .

وتمركز السلطان في المنصورة وقد أتاح له تأخر هجوم لويس التاسع لانتظار وصول بقية قطع اسطوله فرصة تحصين المنصورة واتخاذ استعداداته لمواجهة أعدائه .

وعند بدء الصليبيين هجومهم توفي السلطان وأخفت زوجته شجرة الدر خبر وفاته حتى لا يتفرق شمل الجيش وتضعف معنوياتهم القتالية أمام أعدائهم .

وأرسلت الى ابنه توران شاه وكان في حصن كيفا بالموصل للحضور لتسلم الحكم . وتمكن الصليبيون من دخول المنصورة والوصول الى قصر السلطان فتصدت لهم قوة من المماليك البحرية بقيادة بيبرس البندقداري وقتلت منهم حوالي ألف وخمسمائة ، ثم التقى الجيشان في معركة حامية ، حسمها وصول توران شاه الذي تولى زمام الموقف فقام ببناء سفن خفيفة وأنزلها بالنيل قاطعا بها الطريق بين الصليبيين ودمياط .

واشتدت المحنة بلويس وجيشه بسبب انقطاع المؤونة عنهم فعرض الانسحاب مقابل تسليمهم بيت المقدس فرفض توران شاه عرضه هذا ، وتراجع الجيش الصليبي الى دمياط لكن الجيش الاسلامي احدق بهم من كل جانب والحق بهم هزيمة ساحقة فوقع لويس التاسع نفسه في الاسر وأخويه وكثير من كبار

قادته وعدد كبير غيرهم اضافة الى اعداد جمة من القتلى وسجن في دار قاضي المنصورة .

وهكذا انتهت الحملة السابعة هي الاخرى في مصر دون أن تحقق آمال الصليبيين وتم جلاؤهم عن دمياط وغيرها من الأراضي المصرية مع دفع فدية مقدارها مائتي ألف قطعة ذهبية لاطلاق سراح لويس التاسع واخويه وكبار الاسرى يدفع نصفها قبل اطلاق سراحهم .

وتم تسليم دمياط واطلاق سراح الاسرى يوم الجمعة ٢ من شهر صفر عام ٦٤٨هـ/ ٦ مايو سنة ١٢٥٠م . ومما يؤسف له ان توران شاه لم يشهد هذا الاحتفال لكونه قد قتل قبل أربعة أيام منه على يد اثنين من المماليك البحرية هما ركن الدين الظاهر بيبرس وفارس الدين أقطاي وذلك لمعاملته القاسية معهما ورفاقهما من المماليك البحرية وبموت توران شاه بن الصالح أيوب تكون الدولة الايوبية قد انتهت وقامت بذلك دولة المماليك أو بما عرف بعهد المماليك في مصر وبلاد الشام .

المماليك ودورهم في التصدي للصليبيين والمغول حتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري :

واجه المماليك عند قيام دولتهم عدوين خطرين ليس على دولتهم فقط وانما على العالم العربي والاسلامي خاصة في مشرقه وبالذات بلاد الشام ومصر والعراق طالما تحالف ضد الاسلام والعروبة واعني بهما الخطر الصليبي الجاثم على صدر العالم الاسلامي في بلاد الشام ويهدد بين فترة وأخرى مصر على أساس أنها مركز المقاومة الرئيسية التي طالما أقضت مضجعه في بلاد الشام .

والخطر الثاني هو الخطر المغولي القادم من الشرق وقد اكتسح في زحفه مناطق كثيرة من دول الاسلام ومن ضمنها الخلافة العباسية وحاضرتها بغداد .

(أ) السلطان الظاهر بيبرس وتصديه للصليبيين :

لقد وصل الى الحكم في دولة المماليك رجل طموح ذو شخصية قيادية وسياسي بارع اتخذ من شخصية صلاح الدين الايوبي نبراسا له حتى عدّ بصلاح الدين المملوكي ألا وهو الظاهر بيبرس .

وليتغلب على المشاكل التي واجهته والتي تصدى لها والذي يهمنا منها المخاطر الخارجية فقد لجأ الى اسلوب التحالفات مع القوى الخارجية ليضرب بها قوى خارجية معادية ، فقد تحالف مع الامبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوجي ضد الصليبيين في بلاد الشام لكون الدولة البيزنطية في عداء دائم ومستحكم مع الصليبيين في بلاد الشام .

وتحالف مع المغول المسلمين « القفجاق » القبيلة الذهبية ، أصحاب الدولة المغولية الواقعة على بحر قزوين .

اتسمت الحروب والمواقع التي خاضها الظاهر بيبرس مع الصليبيين بالعنف والشدة ، وكانت له دائما الغلبة عليهم بتوفيق من الله وبتخطيطه السليم لسير المعارك ، وسنذكر ما هو مهم منها فقط .

كانت اولى هذه الوقائع الهامة في عام ٦٦٣هـ (١٢٦٥م) ، فقد انتزع منهم مدن قيسارية ويافا وعثليت وأرسوف وفي العام التالي تم الاستيلاء على مدن صفد وجنين والرملة .

وفي عام ٦٦٥هـ (١٢٦٦م) أرسل جيشا بقيادة الامير قلاون لتأديب مملكة أرمينيا الصغرى المشتملة على امارتي انطاكية وطرابلس ، لتحالفها مع المغول ضد المسلمين فاستولى على بعض قلاعها الواقعة شمالي طرابلس ، وفي نفس العام وجه حملة كبرى الى ارمينية الصغرى فتم تدمير بعض مدنها مثل اذنه وطرسوس والمصيصة ، وأحرقت عاصمتها سيس ، وقتل ابن ملكها واسر الآخر كان في زيارة لمغول فارس ، وأسر الآلاف من سكانها الأرمن . بالاضافة الى الغنائم الكثيرة التي حصلت عليها هذه الحملة .

وفي رمضان عام ٦٦٦هـ (مايو ١٢٦٨م) سقطت في يده امارة انطاكية ويعد سقوطها خسارة فادحة للصليبيين لكونها أكبر اماراتهم في بلاد الشام وثاني امارة أسسوها بعد امارة الرها فسقوطها هذا يأتي ايذانا بانهيار البناء الصليبي حيث لم يتبق لهم من المدن الكبيرة سوى عكا وطرابلس .

وفي عام ٦٦٨هـ (١٢٧٠م) أرسل حملة بحرية لتأديب جزيرة قبرص ومكلها لتهديدها سفن المسلمين في شرق حوض البحر المتوسط ، ولمساعدتها الصليبيين ضد المسلمين في بلاد الشام لكنها لم توفق حيث هبت عليها عاصفة هوجاء حطمت بعض سفنها وعادت الباقي .

وكان آخر حروبه معهم باستيلائه على مدينة صافيتا وحصون الاكراد وعكا والقرين وكان ذلك عام ٦٦٩هـ (١٢٧١م) .

كما اختتم حروبه معهم بالقضاء على نفوذ طائفة الحشيشية الباطنية لتعاونهم المستمر مع الصليبيين ، فاستولى على حصونهم في بلاد الشام كلها .

بعد الظاهر بيبرس تولى متابعة القضاء على الصليبيين السلطان المنصور

قلاون فابتدأ جهوده في الاستيلاء على حصن المرقب التابع للاسبتارية بشمالي امارة طرابلس عام ٦٨٤ هـ (١٢٨٥م) .

الاستيلاء على طرابلس (٦٨٨هـ) (ابريل ١٢٨٩م) :

انتهـز السلطان قلاون حدوث انقسـام وخلافات بين البيت الحاكم فيها بمـوت أمـيرهـا بوهمنـد السـابع بدون وريث للحكم . ثم نقض أهلها الهدنة باعتدائهم على التجار المسلمين فزحف عليها بجيش جرار وحاصرها مدة تزيد عن الشهر حتى اضطرها إلى التسليم ثم استولى على قلعتها الجنوبية النطرون بعد تخريبهما معا .

الاستيلاء في جمادى الأولى ٦٩٠هـ (مايو ١٢٩١م) على عكا :

أتم السلطان الأشرف خليل قلاون مشروع والـده في فتـح عكـا فقـد اجتمعت لفتحها الجيوش الاسلامية من بلاد الشام ومصر وهو شبيه لما اجتمع لصـلاح الـدين في موقعـة حطين وتم حصـار المـدينة وضربت بالمجانيق وبذل الصليبيون جهودا جبارة في الدفاع عنها لكونها آخر معاقلهم ومع تشديد الحصار من قبل المسلمين اضطر الصليبيون إلى الانسحاب وفر من استطاع منهم الفرار في السفن وغـرقت بعضهـا بسبب كثـرة من تحملهم وبسقوط عكا في يد المسلمين سقـطت المـراكـز الصليبية الاخرى الباقية في ايديهم مثل بيروت وصور وصيدا وطرطوس وعتليت وبهذا انتهى الاحتلال الصليبي لبلاد الشام .

(ب) التصدي للمغول :

بعد سقوط مشرق العالم الاسلامي في يد المغول خاصة تلك الدول القائمة في بلاد فارس تقدم هولاكو ، زعيم مغول فارس بعد استيلائه على معقل الحشاشين في فارس الى الطرق وحاصر حاضرة الخلافة العباسية مدينة السلام بغداد فسقطت في يده سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وعاث جنوده يدمرون ويخربون معالم حضارتها واضعين السيف في أهلها مدة اسبوع قتلوا الآلاف المؤلفة منهم ومن بين قتلاهم الخليفة العباسي المستعصم بالله وأفراد اسرته وأكابر دولته .

وكان وجهته حسب خط سيره المدمر بلاد الشام ومصر ، كانت بلاد الشام تحكم من قبل البيت الايوبي في حين يتولى المماليك حكم مصر . فلما رأى الناصر يوسف الايوبي صاحب دمشق وحلب تقدم المغول سارع لخطب ودهم فطلب من هولاكو ان يعينه على تولي حكم مصر من المماليك ، ولما لم يتم الوفاء بين الطرفين على الشروط التي طلبها هولاكو حمد الناصر توجه هولاكو بجيشه الضخم لمحاصرة دمشق في عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م وطلب الناصر النجدة من المماليك وقبل وصول النجدة المصرية كان المغول قد زحفوا على حلب في صفر ٦٥٨هـ/ ٢٥ يناير ١٢٦٠م ، حيث سقطت في يدهم ثم سقطت ميافارقين ولكن بعد دفاع باسل من قبل صاحبها الملك الكامل محمد الايوبي .

ثم أوكل هولاكو الى مساعده كتبغا قيادة الجيش فاستولى على دمشق في ربيع الأول سنة ٦٥٨هـ/ مارس ١٢٦٠م بعد تسليم حاميتها وبذلك سلمت من عمليات التخريب التي تعرضت لها المدن الأخرى .

وقد أقر مجلس الحرب في دولة المماليك نجدة بلاد الشام والتصدي للمغول

وتولى الحكم في مصر سيف الدين قطز وقاد جيشا كبيرا من مصر بعد أن أعلن الجهاد في سائر أقاليم مصر وجمع الأموال اللازمة للانفاق من كافة فئات المجتمع بما فيهم الامراء والمماليك .

عقد قطز اتفاقية مع الصليبيين في عكا للتفرغ للمغول في حين تحالف كتبغا مع بوهمند السادس أمير انطاكية وهيثوم ملك ارمينيا الصغرى . فتعاونت جيوشهم ضد المصريين والتقى بهم بيبرس البندقداري في غزة وهزم طلائع المغول . من جانب آخر زحف الجيش المصري بقيادة السلطان قطز من مصر شمالا عندما ضمن حياد عكا ثم فاجأ المغول بوصولهم الى طبريه ، فدارت بين الطرفين معركة تاريخية فاصلة عند عين جالوت وكان ذلك صباح يوم الجمعة ٢٦ رمضان عام ٦٥٨هـ/ ٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠م الحق المماليك بقيادة السلطان سيف الدين قطز أول هزيمة بالمغول الذين لم تسبق هزيمتهم من قبل .

واصل الظاهر بيبرس الجهاد ضد المغول بعد توليه الحكم في دولة المماليك وكان أول تصد من قبله لهم في البحيرة عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م ، حيث صد غارة مغولية عليها فهزم المغول وفروا تاركين أموالهم وعتادهم .

وقد رفض جميع مبادرات الصلح التي تقدم بها المغول مصمما على اجلائهم عن المناطق التي استولوا عليها في بلاد الشام ، لذلك قام المغول بعدة هجمات انتقاما لموقفه الرافض هذا . لكنه صمد لهم فصد هجومين قاموا بهما في عامي ٦٦٨ و٦٦٩هـ/ ١٢٦٩ و١٢٧١م . كذلك ارسل حملة تأديبية ضد سلاجقة الروم بآسيا الصغرى لتحالفهم مع المغول سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م .

وفي موقعة ابلستين اوقع بهم هزيمة ساحقة مع حلفائهم المغول وبعد ذلك

دخل بيبرس قيصرية ودعي له على منابرها وقدم له السلاجقة الطاعة والولاء .

وكان السلطان سيف الدين قلاون آخر السلاطين المماليك يتصدى للمغول فقد تصدى لهجوم قام به مغول العراق على بلاد الشام سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م متحالفين مع ليو الثالث ملك أرمينية الصغرى وقد سبق الحديث عنهم ، فقاد بنفسه جيشا كبيرا لملاقاتهم وفي موقعة حمص في ٣٠ أكتوبر من نفس العام تمت هزيمة المغول شر هزيمة وفروا هاربين بعد أن قتل عدد كبير منهم .

الخاتمـــــة

وقبل ان أختتم بحثي المختصر هذا أودّ أن أدون بعض النقاط التالية من خلال المواضيع التي أوردتها في هذا البحث :

- ان لموقع عمان ومصر أهمية كبيرة أهلتهما ليقوما بدور كبير وفعال في مجريات الاحداث ليس داخل أرضيهما فحسب بل في المنطقة العربية الواقعتين فيهما .
- ان غنى البلدين من حيث خصوبة أراضيهما وللنشاط التجاري الذي مارسه شعباهما أطمع فيهما الطامعون على مر التاريخ .
- ان في الانقسامات التي شهدتها كل منهما بصفة خاصة أو تلك التي شهدت المنطقة العربية والاسلامية بصفة عامة كانت السبب في تغلب الاعداء على مقدرات الأمور ان كان فيهما أو في المنطقة العربية بصفة عامة .
- كان لعـراقة تاريخ شعبيهما الدور الكبير في صنع تلك الاحداث الجسام والتصدي لكل القوى المعتدية التي حاولت أن تمحو هويتهما وسيادتهما الوطنية .

تم ولله الحمد هذا البحث وبالله التوفيق . .

المصـادر :

(١) عن الموضوع انظر :

- الدنيوري ، أحمد بن داود : الاخبار الطوال ص ٣ .
- اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب : تاريخ اليعقوبي جـ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ و ٢٣٤ .
- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية جـ١ ص ١٢ و ٩٠ .
- ابن حزم الاندلسي ، علي بن أحمد : جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٩ .
- العوتبي ، سلمة بن مسلم الصحاري : الأنساب ، جـ٢ ص٢٠٧ـ٢١٨ وص٢٦٥ـ٢٧٨ . طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ، تحقيق محمد علي الصليبي .
- الازكوي ، سرحان بن سعيد : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ص ٢٥ـ٣٧ .

 نفس المرجع تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢١١ـ٢٣٠ .
- السالمي ، عبدالله بن حميد : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان جـ ١ ص ٢٠ـ٤٧ .
- مؤلف مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٢٥ـ٢٩ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٢١ـ٣١ .
- نفس المؤلف : مقدمة في دارسة مصادر التاريخ العماني ص ٢٨ـ٢٩ .
- انـظر أيضا ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . . الخ .

المعروف بمقدمة ابن خلدون جـ ٧ ص ١٩٨ .

(١) آية ١٦٩ سورة آل عمران .

(٢) ألم تنبئك عن سكانها الدار وعندها من بيان الحي أخبار
كأنهم يوم راحوا تاركين لها من جدهم بجناحي طائر طاروا
صادفت «مسكان» وسط النقع منجدلا أثوابه بعد تاج الملك أطمار
ويـل أمـة «فارسا» ما هو يعنبله كأنما ناظراه في الوغى نار

(٣) العوتبي ، سلمة بن مسلم : الانساب جـ ٢ ص ٢٦٢ .
عن الموضوع انظر :
- الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٣٨-٤٢ .
- العوتبي : الأنساب جـ ٢ ص ٢٦١-٢٦٢ .
- كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، تحقيق ودراسة أحمد عبيدلي ص ٢٣٧-٢٣٩ .
- مؤلف مجهول : تاريخ أهل عمان ص ٤١-٤٢ .
- المعولي ، محمد بن عامر : قصص وأخبار جرت في عمان ص ٣٩ .
- ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٤ ص ١٨٧-١٨٨ .
- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ص ٢٦٣ .
- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ص ٧٧-٧٨ .
- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٨٣-٨٤ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٤١-٤٢ .

(١) الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ص ٤٣-٤٤ نفس المرجع تحقيق ودراسة أحمد عبيدلي ص ٢٤٠-٢٤٢ .

(٢) جلفار : بالضم ثم الفتح والتشديد ، وفاء آخره راء ، بلدة بعمان عامرة

كثيرة الغنم والجبن والسمن يصدر منها الى ما جاورها من البلدان انظر الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص١٥٤ ، وهي بلاد الصير وقد حلت محلها الآن مدينة رأس الخيمة بدولة الامارات العربية المتحدة .

(٣) جزيرة ابن كاوان ، أو ابن كاوان ، وتسمى ايضا جزيرة لفت : يصفها الحموي بأنها جزيرة عظيمة تقع في بحر فارس « الخليج حاليا » بين البحرين وعمان معجم البلدان جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٤) جزيرة جاش « الفارسية » : وقد عربها العرب الى القسم ، تقع عند مدخل الخليج بالقرب من جزيرة هرمز انظر العوتبي جـ ٢ ص ٣٢٥ .

(*) عن الموضوع انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٧٤ـ٣٨٠ و٤٠٣ و٤١٦ـ٤٢٩

- الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك ، جـ ٣ ص ٢٩٥ ، جـ ٤ جـ ٣٢٣ و٤٤٣ وجـ ٥ ص ٧٥ـ٨٤ .
- العوتبي : الأنساب ، جـ ٢ ص ١٢٥ـ١٢٨ و ٣٢٤ـ٣٢٦ .
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ٣ ص ٤١ و١٠٠ و٤٤٦ ، السالمي ، عبدالله بن حميد : تحفة الأعيان جـ ١ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٤٣ـ٤٤ .
- سعيد عاشور وعوض خليفات : عمان والحضارة الاسلامية ص ٢٧ .

(١) عن الموضوع انظر : ـ

- الطبري : تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبري) جـ ٥ ص ٣١٠ـ٣١٣ .
- العوتبي : الأنساب جـ ٢ ص ١٣٠ـ١٣٦ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٧٥ـ٧٦ .

(١) عن الموضوع انظر :
- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٣ و ٣٣٩ .
- الطبري : تاريخ الامم والملوك جـ ٧ ص ٢٣٣ .
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٤٥١ السالمي ، عبدالله بن حميد : تحفة الاعيان جـ ١ ص ٩٤ .
- الأزكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٤٧ .
- نفس المرجع تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢٤٨-٢٤٩ .
- سعيد عاشور وعوض خليفات : عمان والحضارة الاسلامية ص ٢٨-٢٩ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية .

(١) الزواريق (جمع) مفردها الزاروق أو الزاروقة . عن صناعة السفن العمانية انظر عمان وتاريخها البحري ص ١٤٧ .

(٢) السالمي .
عبدالله بن حميد : تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان جـ ١ ص١٢٣ والحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٢٧ في حديثه عن سقطرى .

(٣) عن الموضوع انظر أيضا :
- الازكوي ، سرحان بن سعيد : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة ص ٥١
- نفس المرجع تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢٥٧ .
- ابن رزيق ، حميد بن محمد : الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٣٥-٣٦ يقول ابن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٢٧ في كتابه الشعاع .

وغسان الهمام ، امام عدل بنار وغى أعاديه أذابا
وقد قطع البوارج عن عمان فما منهم لها بالشرّ آبا

- السالمي : محمد بن عبدالله وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٤ .
- مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ترجمة محمد أمين عبدالله ص ٨٢ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٢١٦-٢١٨ .
- سعيد عبدالفتاح عاشور عمان حصن العروبة والاسلام بحث في ندوة الدراسات العمانية جـ ١ ص ٢٧٨ .

انظر - الهمذاني ، الحسن بن أحمد : صفة جزيرة العرب ص ٩٣-٩٤ .
الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٢٧ ، فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٢٩٦-٣٠١ .
الموسوعة العربية الميسرة مج ١ / ص ٩٨٦ مادة س .

(١) سقطرى :

بضم أولـه وثانيه ، وسكون طائه ، وراء ، وألف مقصورة ، اسم جزيرة عظيمـة كبيرة تبلغ مساحتها ٣٦٢٦ كم٢ ، فيها عدة مراسي ، تتوسطها الجبال . فيها عدة قرى ومدن تقع جنوب عدن في المحيط الهندي ، وهي الى بر العرب أقرب منها الى بر الهند ، وكانت مركزا للقراصنة « وكان يأوي اليها موارج الهند الذين يقطعون على المسافرين من التجار » وفيما يبدو أن العمانيين قد احتلوها بعد قضائهم على القراصنة الهنود في عهد الامام غسان بن عبدالله (١٩٢-٢٠٧هـ/ ٨٠٨-٨٢٣م) ثم اتخذوها قاعدة لهم وذلك لوقوعها على الطريق التجاري الهام الواصل بين شرق افريقية والبلاد الـواقعة إلى جنوب المحيط الهندي وبحر الصين من جهة وعمان من جهة

ثانية ، ثم لوجود مجموعة من الاباضيين من أهلها على الرغم من أن غالبية سكانها من نصارى العرب خاصة قبائل مهرة وبها ما يقارب عشرة آلاف مقاتل منهم .

(٢) قالت الزهراء في قصيدتها :-

قل للامام الذي ترجى فضائله	ابن الكرام وابن السادة النجب
وابن الجحاجحة الشم الذين هم	كانوا سناها وكانوا سادة العرب
امست سقطرى من الاسلام مقفرة	بعد الشرائع والفرقان والكتب
واستبدلت بالهدى كفرا ومعصية	وبالأذان نواقيسا من الخشب
وبالذراري رجالا لا خلاق لهم	من اللئام علوا بالقهر والغلب
جار النصارى على واليك وانتهبوا	من الحريم ولم يألوا من السلب
إذ غادروا قاسما في فتية نجب	عقوى مسامعهم في سبسب خرب
ما بال صلت ينام الليل مغتبطا	وفي سقطرى حريم باد بالريب
يا للرجال اغيثوا كل مسلمة	ولو حبوتم على الأذقان والركب
حتى يعود عماد الدين منتصبا	ويهلك الله أهل الجور والريب
وثم يصبح دعا الزهراء صادقة	بعد الفسوق وتحيا سنة الكتب

انظر السالمي عبدالله بن حميد : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان جـ ١ ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) الآية ٤٧ من سورة الروم .

عن الموضوع انظر :-

- السالمي ، نفس المرجع ص ١٦٦-١٨٣ .
- السالمي ، محمد بن عبدالله وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٦-١٣٧ .

- فاروق عمر : نفس المرجع السابق ص ٢٩٨-٣٠١ .
- سعيد عبدالفتاح عاشور : بحث بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٢٨٠ .

(١) القرامطة :

مؤسس دولة القرامطة ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي وقد سيطرت هذه الدولة على أجزاء كثيرة من جنوب وشرق شبه الجزيرة العربية منها الاحساء والقطيف والبحرين واليمامة وعمان . ومن غلو أفكاره انه أبطل الصلوات والصوم والحج والزكاة وكان الجهلاء منهم يتألهونه ، وفي سنة ٣١٧هـ استولى أبو طاهر القرمطي على مكة واقتلع الحجر الاسود ونقله الى عاصمته المؤمنيه في الاحساء محاولة منه لنقل الحج اليها .

(٢) البويهيون :

يقول ابن خلدون فيهم هم اخوة ثلاثة تولوا الوزارة في عهد الخليفة العباسي الراضي وتلقبوا بعماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ، وقد احاطوا بأعمال الخلافة العباسية بنواحي بغداد من شرقها وشمالها جـ ٧ ص ٩٠٩ ،ص ٩٢١ .

(٣) السلاجقة :

ينتسبون الى سلجوق وهم من الغز التركية ظهروا في ايران في القرن السادس الهجري ـ العاشر الميلادي ـ ، استنجد بهم الخليفة العباسي القائم ، ضد البويهيين الفرس فدخل زعيمهم طغرلبك بغداد ومنحه الخليفة لقب ملك الشرق والغرب . الموسوعة العربية الميسرة مادة سلاجقة .

(٤) بيمنك رد الله عن أهل دينه   مناوئهم إذ حاول الظلم جائر
أعاجم جاءت في لفيف من العدى   جموعهم في شدة والعساكر

أرادوا اضطهاد الحق بغيا وحاولوا　　إزالته والحق مذ كان ظافر

وردوا على ادبارهم فتبددوا　　عباديد طراً جمعهم متطائر

ديوان الستالي ص ٢١٤-٢١٥ .

(٥) مملكة هرمز :

أسسها محمد الدغستاني على ساحل كرمان ثم صارت للغز التركمانيين حكام كرمان ثم نقلت الى جزيرة هرمز على مدخل الخليج ، وملكها محمود المذكور وهو الثاني عشر في سلسلة ملوكها بدأ حكمه عام ٦٤١هـ . مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ص ١٤٠ والحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٠٢ .

(٦) شيراز : بكسر الشين ، بلد عظيم كانت قصبة ايران تقع وسط ايران أسسها محمد بن القاسم بن ابي عقيل ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي في القرن الأول الهجري - السابع الميلادي - ، الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٨٠ والموسوعة العربية الميسرة .

(٧) عن الموضوع انظر :

- الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، جـ ١ و ١١ عدة صفحات وأبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر جـ ٢ ص ١٦٢-١٦٣ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٧ وجـ ٨ وجـ ٩ وجـ ١٠ في عدة صفحات .
- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٧ ص ١٨٨-١٩٩ ، جـ ٨ ص ٩٤٤-٩٤٦ .
- الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٦٢-٦٣ ، ص٧٠ ، ص ٧٣ .
- نفس المصدر تحقيق أحمد عبيدلي ص ٢٧٨-٢٨٠ وص ٣٠٨-٣١١ ،

وص ٣١٥-٣١٧ .

- السـالمي ، عبـدالله بن حميد التـحفـة جـ ١ ص ٢٨٨-٢٩٩ ، ص ٣١٨-٣٢٠ وص ٣٥٣-٣٥٤ .
- السـالمي ، محمـد بن عبـدالله ونـاجي عسـاف : عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٩-١٤٠ وص ١٤٢-١٤٥ وص ١٥٠ .
- عن القرامطة انظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٦١-٦٣ و ٨١ و ١٠١ .
- مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ترجمة محمد أمين عبدالله ص ١٠٠-١٤١ .
- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ٣٣٣-٣٣٤ .

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك جـ ٤ ص ٤٣٥ ، ص ٤٥٤-٤٥٦ .

- البـلاذري : فتـوح البلدان ص ٢١٠-٢٢٠ وابن الاثـير : الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٨١ ، ص١١٧-١١٨ وجـ ٨ ص ٥٨٩ .
- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٤٨ ، ص ١٥٤ ، ص ١٦٤ .
- عبـدالـرحمن الـرافعي وسعيد عبـدالفتـاح عاشور : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ص ٢٤-٢٩ ، ص ٧٣ وص ١٥٤-١٥٥ وص ٢٤٤-٢٤٦ .
- د. عبدالعظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية ص ٥٦-٧٤ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .
- أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ـ النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة ص ٧٩-٨٠ .
- ابن كثير : البداية والنهاية

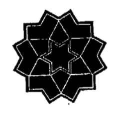
استدراك :

كذلك تصدى للبيزنطيين كل من الطولونيين والاخشيديين والفاطميين .

(١) مملكة النوبة أو بلاد النوبة :

بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وباء موحدة ، بلاد واسعة ، في جنوبي أسوان بمصر ، يسمى الجزء الواقع منها بمصر بالنوبة السفلى ، والجزء الواقع بالسودان بالنوبة العليا . وكان أهلها نصارى وهم أهل شدة في العيش ، أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها . وتم الصلح بين ملكها وبين المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه على أن يدفع النوبيون للمسلمين أربعمائة رأس في السنة . وقد قامت بها عدة ممالك مسيحية ، أهمها مملكة دنقلة التي استمرت حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، بدأ الاسلام ينتشر فيها منذ ظهوره ، وانتهت دولة المسيحيين واعتنق أهلها الاسلام .

انظر الحموي : معجم البلدان والموسوعة العربية الميسرة مادة نوبة .



المناقشات والمداخلات

- **مداخلة علي بن محسن آل حفيظ**

ويمكن ايجاز هذه المداخلة في نقطتين :

الأولى : يتساءل فيها الباحث علي بن محسن آل حفيظ مدير دائرة تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم عن وجود العرب في عمان قبل نزوح الأزد من اليمن اثر انهيار سد مأرب بقيادة مالك بن فهم ، طالبا التحقق من هذه المعلومة .

الثانية : أما النقطة الثانية التي أثارها في مداخلته فانها تتعلق بانقاذ جزيرة سقطرة ، وقصيدة الزهراء التي وجهتها الى الامام الصلت بن مالك ، مطالبا بالقاء الضوء على شخصية الزهراء تلك ؟ .

- **مداخلة الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ**

وتتلخص مداخلة الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق / الأمين العام المساعد للندوة في مطالبته بتوضيح دور عمان في التصدي للقراصنة الهنود الذين كانوا يعيقون الملاحة في الوقت الذي كان فيه للعمانيين دور كبير ونشط في ارشاد السفن عبر المحيط الهندي .

- **مداخلة أحمد بن سعود السيابي**

للباحث أحمد بن سعود السيابي مدير عام الشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية ملاحظات عامة ، واخرى خاصة على البحث ، ويمكن تلخيصها بما يلي :

أولا : الملاحظات العامة :

١ ـ من وجهة نظره يرى السيابي ان البحث غلب عليه الطابع العرضي ، وهو يتفق في هذا مع ما سبق وأشار اليه الباحث سالم بن محمد العبري رئيس الجلسة بأن الباحث لم يتمكن ان يأتي بالهدف والباعث للغزو ، ولم يوضح كيف يكون التصدي ، وأهدافه النبيلة ، وفي رأي الشيخ أحمد بن سعود السيابي أن الباحث كان بامكانه أن يتلافى بعض التعمق غير المفيد وأن يركز على الأهـداف لحاجة القارىء وتطلعاته الى الهدف والباعث لكل حركة تاريخية ، ولأن السرد التاريخي ـ من وجهة نظره ـ معروف وسهل .

٢ ـ وفي ملاحظته الثانية يحث السيابي الباحث على أن يقوم بمقارنة تاريخية زمنية لا أن يستعرض (أولا) التاريخ العماني لفترة بحثه ، ثم يستعرض الفترة التاريخية المتعلقة بمصر .

٣ ـ وتتعلق ملاحظة الشيخ أحمد بن سعود السيابي الثالثة (بعنوان البحث) معقبا « أن العنوان لا يوحي ان الباحث يمحص تاريخ فترة معينة ، وكان لابد عليه ان يعنون بحثه للفترة التي كان يتحدث عنها » .

كما يرى السيابي في ملاحـظتـه هذه أن « العنوان مفتوح ، وكان بامكان الباحث أن يتحدث مثلا عن البرتغاليين والتصدي لهم ، والقراصنة والتصدي لهم ومـا الى ذلك ، ونطالبه بتحديد الفترة الزمنية ، وكنا نتوقع ان يتحدث بما يلبي عنوان بحثه » .

ثانيا : الملاحظات الخاصة :

ويمكن ايجازها في النقاط التالية :

١ - الأولى تتعلق باشارة الباحث الى ان (باكورة المشاركة العمانية كانت في عهد عمر بن الخطاب) ، ورأي السيابي أن « المشاركة الأولى كانت في عهد أبي بكر عندما وفد اليه عبد بن الجلندى على رأس سبعين من أهل عمان لاداء البيعة ، ومن هنا كانت مشاركتهم في فتوح الشام » .

٢ - وملاحظة السيابي الثانية جاءت تعقيبا على ان الباحث « تحدث عن انشاء الاسطول ، فذكر ان البداية كانت في عهد الامام غسان » .
ويعقب الشيخ أحمد بن سعود السيابي على العبارة السابقة بقوله : « هذا صحيح لو قارنا ذلك بانشاء الاسطول في التاريخ الاسلامي » مستدركا بالقول : « لكن كتب التاريخ تتحدث عن بداية انشاء الاسطول في عهد الجلندى بن المستكبر ، وكان ذلك قبل الاسلام » .

٣ - ان الباحث « تعمق في تفصيلات مساعدة للبحث وليست من صميمه ، من ذلك ؛ التعليلات الفقهية التي أوردها الباحث على لسان الامام الصلت بن مالك في عهده الى قادته ، وكان بامكانه ان يتجنبها ولا يتورط فيها » .

٤ - وجاءت الملاحظة الرابعة تعقيبا على ما ورد في النقاش حول الوجود العربي في عمان قبل نزوح الأزد ، كما جاءت تعقيبا على شخصية الزهراء مشيرا الى اسناد عن المرحوم الشيخ محمد بن راشد الخصيبي عن الشيخ أحمد بن عبدالله الحارثي ان اسمها (فاطمة الجهورية) .

- **مداخلة الدكتور أحمد السيد محمد عوده الحسيسي**

وجاءت مداخلة الدكتور أحمد السيد محمد عودة الحسيسي الاستاذ بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب/جامعة عين شمس ، توضيحا لما جاء في ورقة الباحث عبدالله بن ناصر الحارثي من جامعة السلطان قابوس لـ (مغول شيراز) فقال : « ليس هناك مغول يسمون ـ مغول شيراز ـ لأن شيراز اكتوت بنارهم ، فنسبه المغول الى شيراز نسبة غير دقيقة » .

- **الاستاذ الدكتور شوقي عطا الله الجمل**

ويمكن ايجاز ما جاء في مداخلة الاستاذ الدكتور شوقي عطا الله الجمل استاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الافريقية في نقطتين :

الأولى : جاءت لتقترح أن يكون العنوان (بعض المواقف البطولية) بدلا من (المواقف البطولية . .) الى آخر العنوان ، ويتفق الباحث معه على هذه النقطة .

الثانية : جاءت لتعرفنا تحرز الاستاذ الدكتور شوقي عطا الله الجمل من كلمة (القرصنة) حيث نرى انه « يتحرز من لفظ (القرصنة) لأنه ـ مع الأسف ـ اطلق على العرب الذين تركوا الاندلس الى شمال افريقيا ، وفي الواقع فانها ليست (قرصنة) وانما كانت في باب الدفاع الشرعي عن النفس » .

ويضيف في ملاحظته قائلا : « وهنا نخشى أن يختلط الأمر فيطلق (اللفظ) على أولئك الذين خرجوا ليدافعوا عن أنفسهم ، فيسموا (قراصنة) وهذا ما حصل فعلا حين اطلق الأوربيون على بعض عمليات الدفاع الشرعي لفظ (القرصنة) » .

ـ مداخلة الاستاذ عبدالتواب يوسف

الاستاذ عبدالتواب يوسف تساءل « هل كان لابد من الربط التاريخي بينهما أو وضعهما في خطين متوازيين علينا نحن أن نتطبع بالقاسم الأعظم بين اللوحتين » .

ـ الباحث عبدالله بن ناصر الحارثي

في محاولة منه موجزة يجيب الباحث عبدالله بن ناصر الحارثي على المداخلات والاستفسارات .

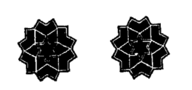
« قلت في ورقة البحث : ان العرب السابقين الموجودين في عمان ناصروا اخوانهم ، وهذا معناه ان هناك وجودا عربيا في عمان قبل نزوح الأزد اليها بقيادة مالك بن فهم اثر انهيار سد مأرب » مؤكدا في اطار اجابته بأنه « لا يؤيد أن الوجود العربي في عمان بدأ مع نزوح الأزد اليها ، اثر انهيار سد مأرب » ذاهبا الى القول : « ان الأزد رجحوا كفة ميزان القوى لصالح العرب ، وانتزعوا السلطة من الفرس » مدللا على ذلك بوجود مالك بن زهير معاصرا لمالك بن فهم .

وعن الاستفسارات الواردة حول سقطره يقول : « كانت سقطره في ذلك الوقت تابعة لعمان ، وكان هناك والٍ رحامية عمانية ، أما الزهراء فانها غير معروفة ، ويقال في رواية : انها ابنة العاق عامر أو ابنة الوالي العماني على الجزيرة ، وانها من سمد الشأن ، وان المصادر المحلية تورد ارسالها القصيدة للامام الصلت بن مالك » .

وبالنسبة لباكورة المشاركات العمانية في الفتح الاسلامي وانشاء الاسطول

يقول الباحث : « ذكرت أن أول مشاركة عمانية في الفتح الاسلامي كانت في عهد ابي بكر ، ولم أقل ان الاسطول انشىء في عهد الامام الصلت أو الامام غسان ، حيث أوردت اشارتي في البحث الى انهما اصدرا أوامرهما لعمل قوارب صغيرة سريعة لمطاردة الاعداء » .

ويتابع فيقول : « الاستعانة بالمعلومة التاريخية لا تقتصر على كتب التاريخ ، ولكن يمكن للباحث الاستعانة بمصادر عديدة » . أما بالنسبة لكلمة (القراصنة) فقد « استعملها في موضعها الاصلي بعيدا عن اللبس والخلط ، وانها اطلقت على أعمال السلب والنهب التي تعرض لها العمانيون » .



عُمان ومصر من خلال
جولات المكتشفين والرحالين

سعيد بن محمد الغيلاني

تقـــديـم :

في الحقيقة اننا لا نستطيع أن نتتبع كل ما كتبه المكتشفون والرحالون عن عمان ومصر في بحث أعد على عجالة ، ولكني سأحاول من خلال هذا البحث أن أتطرق لبعض ما جاء عن هذين البلدين طبقا لما ذكره بعض هؤلاء الرحالين الجغرافيين المسلمين وقبل أن نسبر أغوار هذا الموضوع لابد من تبيين أهمية كل من عمان ومصر .

فعمان حباها الله بموقع جغرافي متميز وفريد ، وكان لهذا الموقع أثره في أهمية هذا البلد ، وفي تحديد المسار التاريخي له ، بلد يطل على البحر وسواحله تمتد لمسافات طويلة ، فمن الطبيعي أن يبرز النشاط البحري لأهل هذا البلد بالأنشطة البحرية ، سواء كان صيد أسماك ، أو استخراج الاحجار الكريمة منه ، والاهم من ذلك هو اشتغالهم بالتجارة ، وغيرها مما كان له أكبر الأثر في ازدهار هذه البلاد عبر العصور التاريخية ، وبالتالي ازدهار مدنها البحرية وانتعاشها ورقيها ، وأشار القرآن الكريم الى أهمية البحر بقوله تعالى **﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون﴾** .(١)

وتكمن أهمية عمان التجارية في انها بحكم موقعها اشتهرت بنشاطها التجاري مع مناطق شبه الجزيرة العربية في الداخل وأقصد هنا التجارة البرية ، وفي الخارج مع قارة آسيا وافريقيا ، وكانت عمان عبارة عن حلقة الوصل بين جنوب قارة آسيا وشرقها ، مع شرق افريقيا ، هذا عدا بلدان البحر الأحمر بما فيها مصر .

هذا وقد عرفت عمان بأنها بلد زراعية ، وأكد هذه الحقيقة كل من زار عمان

---

(١) سورة النحل الآية ١٤ .

خلال فترات التاريخ المختلفة ، أما أهميتها الصناعية فكانت معروفة واشتهرت بذلك قبل عصر الاسلام وفي ظله ، وكانت صناعة النسيج مزدهرة فيها بالاضافة الى بعض الصناعات ، وسنحاول أن نبين ذلك من خلال ما ذكره هؤلاء الجغرافيون عن عمان .

أما مصر فكانت أيضا بلدا مشهورا عبر الحقب التاريخية المختلفة بعظمتها ورقيها وتطورها ، وتعد حضارتها من المفاخر التي نعتز بها جميعا ، ولا يشكك أحد في ذلك والشواهد كثيرة .

واشتهرت مصر أنها حلقة الوصل بين آسيا وافريقيا والعالم الاسلامي ؛ تأتي اليها التجارة من غرب افريقيا وشمالها عبر الصحراء الكبرى ، وتمر بها التجارة العالمية بين الشرق والغرب بوصفها المعبر الرئيسي بين البحرين المتوسط والأحمر وموانيها المشهورة على البحر الأبيض (دمياط) والاسكندرية والفرما وبور سعيد ، والقلزم (السويس) حاليا وعيذاب على البحر الأحمر .(٢)

كانت تلك مقدمة عامة ومدخلا للموضوع الذي نحن بصدد التعرف عليه واذا رجعنا الى المكتشفين والرحالين ، وما ذكروه عن هذين البلدين فانه يمكننا القول بأنهم ذكروا الكثير عن أهميتها . وسوف نكتفي بمجموعة من هؤلاء ممن يمثلون فترة تاريخية لا بأس بها اعتبارا من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثامن الهجري وبالتحديد سنركز على كل من ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض، والادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ، وابن بطوطة صاحب كتاب تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار .

---

(٢) عمان والحضارة الاسلامية د. سعيد عاشور وآخرون ص ٢٥٨ .

أولا : ابو القاسم ابن حوقل النصيبي ٣٦٧هـ - ٩٧٧م :

ولد ببغداد ونشأ بها ، واشتغل بالتجارة فترة من الزمن ، ثم ولع بعلم تقويم البلدان ، لذا جاب أنحـاء من العالم بحثا عن الثراء ، وفي الوقت نفسه أحب الاطلاع وتقصي الحقائق ، ويهمنا أن نذكر أنه خلال تجواله مر بعمان ومصر[٣] ودخل عمان عن طريق أرض مهـرة ، وتكلم أولا عن ظفـار ، وذكـر ان المتحكم فيها أحمد بن منجويه ، وكانت دار ملكه بمرباط . ووصفها أنها « مدينة صغيرة على الشاطىء ، وتبعد عن ظفار مسير يوم ونصف » . وذكر ان « ظفار كانت تابعة له » .

ثم يتكلم عن بقية عمان ،[٤] فيذكر ان عمان كثيرة النخل والفواكه من الموز والـرمـان والنبق . وهـذا يؤكـد لنـا أهمية عمان الـزراعية واشتغـال أهلهـا في هذه الحـرفة ، ثم تكلم عن صحار ، ويبن لنا أهميتها التجارية البارزة في تلك الفـترة بقـولـه : « صحار تقع على البحر وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة » . وذكر انها « أعمر مدينة بعمان » في تلك الفترة ، بل انه يذكر أن « صحار تكـاد تكـون أشهـر المدن على شط الخليج » وذكر انه « لا يوجد بجميع أرض الاسلام بلد تكاد تكون أشهر منها » ، مرجحا السبب « لكثرة عمارتها ومال أهلها » .

ثم يتكلم عن مدينة نزوى فيذكر انها « عاصمة البلاد الدينية » في تلك الفترة « وبها مقر الامام ، وبها بيت المال » ، ثم ذكر ان « عمان بلد ذات طقس

---

(٣) أعلام الجغرافيين العرب د. عبدالرحمن حميده ص ٢١٠ .
(٤) صورة الأرض . ابن حوقل ص ٣٢ - ٣٣ .

حار » ، وبلغه « بمكان منها بعيد عن البحر جبل ربما وقع عليه الثلج » ، وذكر « انـه لم ير ذلـك » ، الا أنـه أبلغ وأقـول لعله يقصد الجبل الأخضر لأن هذه الأوصاف تدل عليه .

أما مصر[٥]فإن ابن حوقل أطنب في وصفها . وأقول بكل صراحة انني لن أذكر كل ما ذكره عن مصر ومدنها ، ولكني سأحاول أن أذكر أهم ما قاله فيها ، حيث ذكر أن « مصر بلد قديم جليل » ، ثم تكلم عن أهم ملوك الفراعنة وبعد ذلـك أشـار الى فتـح الاسلام لمصر والذي كان بقيادة عمرو بن العاص زمن الخليفة عمر بن الخطاب .

ثم تكلم بعد ذلك عن وصف الاهرام ، وذكر انه « ليس على وجه الارض لها نظير في ملك مسلم ولا كافـر ولا عمل ولا يعمل مثلها » . وأقول فعلا أن الاهرامات تعد من المعجزات . وصحيح عندما ذكر انه لا يستطيع أحد أن يعمل مثلها ، لذا عدت من عجائب الدنيا وهي لا تزال شامخة الى يومنا الحاضر ، تبين هذه العظمة .

ثم تكلم بعـد ذلـك عن الـزراعة في مصر مشـيرا إلى بعض الحاصلات الزراعية فتعرض لذكر الكتان والحبوب والارز والسمسم والمقاتي وقصب السكر وغـيرهـا من الحاصلات الزراعية ، وكذلك ذكر الفواكه التي تشتهر بها مصر . وازدهار مصر الزراعي لا يختلف عليه اثنان ، بلدة ذات تربة صالحة وماء نهر النيل يغذي هذه المزروعات ، لذلك فإنها لا تحتاج الى تعليق .

ثم بعـد ذلـك يتعرض لذكر أهم المدن المصرية ، حيث تناول بالحديث

---

(٥) صورة الأرض . ابن حوقل ص ١٢٦ ـ ١٥٢ .

الفسطاط وهي التي بناها عمرو بن العاص . ومنها اتجه الى الاسكندرية ، ويتعرض بالذكر بالتفصيل عن كل المدن التي مر بها خلال هذه الرحلة وبين ما تشتهر به كل منها .

أما نهر النيل فذكر « فلا يعلم أحد مبتداه » صحيح في تلك الفترة . ولكن عرف بعد ذلك مبتداه . ويصفه أنه أكبر من دجلة والفرات اذا اجتمعا ، وماؤه أشد عذوبة وحلاوة وبياضا من سائر أنهار الاسلام وبين ان التماسيح توجد فيه . وكما اسلفت فإنه تكلم عن مصر بصورة موسعة ، ولكنني حاولت أن اختصر هذا الموضوع ، وأرجو أن أكون قد وفقت في اعطاء صورة للحياة في مصر أثناء زيارة ابن حوقل لها وبينت نماذج للحياة بها .



ثانيا : الادريسي : ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسيني ٤٩٣ - ٥٦٠ هـ - ١١٠٠ - ١١٦٦م :

تنسب أسرته الى الشرفاء الادارسة العلويين . لذا فهو من آل البيت . وانتقل وهو صغير الى قرطبة ، التي كانت مركزا ثقافيا كبيرا ، حيث نشأ فيها وتلقى علومه في جامعتها ، واهتم بدراسة التاريخ والجغرافيا الى جانب العلوم المختلفة .

ويدأ الادريسي أسفاره في سن مبكرة ، ولقد زار مناطق قلّ من عرفها في ذلك العصر[٦] وفي الحقيقة لم تثبت زيارة الادريسي لعمان ، ولكنه كتب عنها ووصفها وصفا دقيقا حيث سنلمس ذلك عندما نذكر ما قاله عن عمان .

وزع الادريسي البلدان على أقاليم ووضع عمان[٧] في الجزء السادس من الاقليم الثاني ، وبدأ كلامه عن ظفار أيضا ، وذكر انها كانت من البلاد الكبيرة المشهورة . وأن بها قصر ريدان المشهور . وأنها في تلك الفترة « كانت خرابا » حيث عبر عن ذلك بقوله : « ان أكثرها قد تهدم بناؤها وقل ساكنها ، ولكن بها في هذا الوقت بقايا من أهلها ساكنين ، ولهم فضول أموال وبضائع ولهم مزارع قليلة » وهذا يعني أن الادريسي مسلم في بداية كلامه عن ظفار بأهميتها وشهرتها . مستدركا انها في تلك الفترة لم تعد كما كانت من قبل ذلك ولم يذكر أي سبب لذلك . ثم يتكلم عن أرض مهرة ، فيذكر انها تتصل بعمان من جهة الشمال .

ويتناول بالحديث بقية مدن عمان فيصفها أنها « بلاد مستقلة بذاتها ، عامرة

---

(٦) أعلام الجغرافيين - عبدالرحمن حميده .
(٧) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - الادريسي جـ ٢ ص ١٥٥-١٥٩ .

بأهلها » مضيفا أن عمان « كثيرة النخل والفواكه من الموز والرمان والتين والعنب » ونحو ذلك . وهو هنا يؤكد أهمية عمان الزراعية .

ثم تناول بالحديث مدينة صور وقلهات . ووصفهما أنهما « مدينتان صغيرتان عامرتان » ، وانه يستخرج بهاتين المدينتين اللؤلؤ . مستدركا بأن « تواجده قليل بهما » .

وأقول ان الادريسي بحديثه عن هاتين المدينتين يعتبر أول من ذكرهما في هذه الفترة من الزمن حيث ان ابن حوقل لم يتعرض لهما عندما تكلم عن عمان ثم أكد على مغاص اللؤلؤ وهذا يعطينا دلالة واضحة على امتهان سكان هاتين المدينتين حرفة الصيد واستخراج اللؤلؤ .

ثم يتكلم بعد ذلك عن دماء ويصفها بقوله انها « تكون في الشتاء عامرها قليل ومعايشها كاسدة » ، أما في الصيف فإنها تكون « كالمدينة العامرة لأن بها مغاص اللؤلؤ الجيد جدا » ، بل انه يؤكد انها « مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج منها » . وأقول هنا يوجد في عمان وحتى يومنا الحاضر اسم بلدة دماء . ولكن هذه البلدة ليست على البحر ولعله كان يقصد دباء المدينة العمانية المشهورة في تلك الفترة .

وكغيره فإنه عندما يذكر « صحار ، يشير إلى أنها تقع على ضفة البحر وأنها من أقدم مدن عمان وأكثرها أموالا قديما وحديثا ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم » . واقول ان هذا تأكيد منه على أهمية مدينة صحار والتي ظلت محتفظة بهذه الأهمية حتى تلك الفترة من الزمن .

وأحب أن أتوقف عند نقطة هامة أوردها عندما تكلم عن صحار ، حيث

ذكر « ان صحار يقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم » وهذا يعني أن هؤلاء النـاس يقصدون هذه المدينة بهذه الكثرة للتجارة ـ واذا جاز لنا التعبـيرـ نقـول ان صحـار كانت عبـارة عن منطقة تجارية حرة . وكانت تجارة الترانزيت سائدة بها وذلك لكثرة تدفق الناس عليها لمزاولة هذه المهنة . ثم يذكر أنه « يتجهز منها بكافة أنواع التجارة » ، ويصف بعد ذلك أحوال أهل صحار « أنها جيدة ، وأن متاجرهم واسعة ، وتجارتهم مربحة » . وكانت البلدان التي تتـاجـر معها صحار كافة المدن المزدهرة في التجارة في ذلك الوقت ، فذكر انها « تتاجر مع شرق افريقية ومع بلدان شرق آسيا » ، هذا غير بلاد اليمن والهند وبعض الجـزر في المحيط الهندي فهو عندما ذكر جزيرة الديبل (جزر المالديف حاليا) أشار الى ان « المراكب العمانية كانت تقصدها بأمتعتها وبضائعها » . [٨]

ثم تطرق الى نقطة هامة وهي ان « مراكب الصين قد انقطعت عنها ولم تعد كالسابق » ، وذكر ان سبب ذلك انه « كان يوجد جزيرة في البحر مقابلة لمسقط ، وان هذه الجزيرة وليها عامل من اليمن . فحصنها واحسن إلى أهلها وعمرها ، وأنشأ بها اسطولا غزا به بلاد اليمن الساحلية ، فأضر بالمسافرين والتجار » ، ولهذا السبب انقطع السفر الى عمان في تلك الفترة ، هذا كما ان صاحب هذه الجزيرة غزا الرانج (ويقصد بها سومطره أو أندونيسيا) .

ولقد سبق وبين أن « أهل الرانج كانوا يعرفون المراكب العمانية التي تفد اليها والى غيرها من جزر الرانج » .

وبين أيضا أن صحار بجانب التجارة « كانت مشتهرة بالزراعة » ، وذكر أن

---

(٨) الادريسي ، نزهة المشتاق جـ ٢ ص ١٦٧

بها « أشجار النخيل والموز والرمان والسفرجل ، وكثيرا من الثمار العجيبة الطيبة » . ثم يتكلم بعد ذلك عن بعض مدن عمان مثل سعال والعقر ، وذكر أنهما « مدينتان صغيرتان عامرتان » ، وذكر ان « نزوى مدينة صغيرة في أسفل جبل شرم بها نخيل وعيون ماء » واتوقف هنا عند جبل شرم ، ويبدو أن هذه تسمية أخرى للجبل الأخضر ولما رجعت الى معجم ياقوت لم أجد اسم (شرم) وذكر انه يقصد به جبلا ولم يذكر موقعه . وأعود لنزوى التي ذكر عنها أيضا أنها « تشتهر بالزراعة ، وبها فلج يصفه بالكبر وتقع عليه قرى وعمارات متصلة » ، وذكر أن « أهل عمان الغالب عليهم هم الشراة » .

ومما سبق ذكره نستطيع ان نقول ان الادريسي زودنا بمعلومات قيمة عن عمان لم يذكر بعضها من سبقه من الجغرافيين ، وتكلم أيضا عن مدن عمانية ورد ذكرها أول مرة على لسانه . وليس معنى هذا انها مدن جديدة بل يمكن القول ان ـ من سبقه تجاهلها ـ هذا ما ذكره الادريسي عن عمان ورجعت اليه بالرغم انه كما سبق واشرت لم تثبت زيارته لعمان . لكن معلوماته عنها كانت قيمة جدا خاصة اذا علمنا أهمية كتابه الذي يعد من الكتب الهامة ومصدرا لا يستغني عنه كل باحث .

وعندما ذكر الادريسي[9] مصر فإنه وضعها في الجزء الرابع من الاقليم الثالث وبدأ كلامه عن الاسكندرية ، وذكر ان الذي بناها الاسكندر وبه سميت . وذكر انها مدينة على البحر . وان بها آثارا عجيبة ورسوما قائمة تشهد لبانيها بالملك والقدرة ، كما وصفها بأنها « حصينة الأسوار نامية الأشجار جليلة المقدار كثيرة العمارة رائجة التجارة ، شامخة البناء » . وذكر أن « شوارعها فسيحة ودورها فرشت بالرخام والمرمر » .

---

(٩) الادريسي ، نزهة المشتاق جـ ٣ ص ٣١٧ـ٣٤٥ .

ثم يتكلم بعد ذلك عن منارة الاسكندرية . ويصفها بأنه « ليس على الارض مثلها بنيانا ولا أوثق منها عقدا . . أحجارها من صميم الكدان . وقد أفرغ الرصاص في أوصالها . فبعضها مرتبط ببعض بعقود لا ينفك التئامه » مشيرا إلى موقعها ذاكرا أن المسافة بينها وبين المدينة « ميل في البحر وفي البر ثلاثة أميال . وأن ارتفاعها ثلاثمائة ذراع » . وهو ما يساوي على حد قوله مائة قامة ، منها ست وتسعون الى القبة ، وطول القبة أربع قامات ويصفها وصفا دقيقا مبينا كل أجزائها وقد تركته خوفا من الاطالة . ويهمني أن أذكر هنا انه اعتبر هذه المنارة « من عجائب بنيان الدنيا علوا ووثاقة » أما أهميتها ، فإنها كانت عبارة عن علامة يستدل بها أهل البحر والمراكب .

ثم يتكلم بعد ذلك عن مدينة الفسطاط . فيذكر أن مصر سميت بهذا الاسم لأن « مصرايم بن حام بن نوح هو الذي بناها في الأول » . وكانت مدينة تسمى أولا عين.شمس ، ولكن عندما أتى المسلمون في صدر الاسلام اختط عمرو بن العاص الفسطاط . وذكر أن « مصر بلدة عامرة بالناس وفي أهلها رفاهة وظرفا شاملا وحلاوة ، ولها في جميع جوانبها بساتين وجنات وشجر ونخل . وكل ذلك يسقى بماء النيل ، ومزارعها ممتدة من أسوان الى الاسكندرية » . وهذا الوصف لا يحتاج منا لتعليق .

ثم يتحدث بعد ذلك عن الاهرام . فيذكر انهما هرمان وانه لا يعرف فيما جاورهما جبل يقطع منه حجر يصلح للبناء . وهو هنا يؤكد أن حجارة هذه الاهرام قد جلبت من مكان بعيد . ونتوقف هنا فنذكر أن ابن حوقل والآن الادريسي يذكران (الهرمان) فقط والمعروف أن مصر بها أهرامات كثيرة ، ولكن هذه الاهرامات أصغر وأقل أهمية من الهرمين الكبيرين . وهما هرم خوفو وخفرع ، حتى ان هرم منقرع الذي بجانبهما لم يذكره . ويذكر الادريسي أن طول كل واحد

من هذه الاهرام ارتفاعا الى الجو (يقصد الارتفاع) أربعمائة ذراع وعرضه في الداير كارتفاعه . مبني بالرخام ويصف أن ارتفاع كل حجر منه خمسة أشبار وطوله خمسة عشر ذراعا والبعض عشرة اذرع والزيادة والنقص تأتي حسب موضع الحجر وهندسة البناء .

وهكذا من خلال ما ذكره الادريسي عن مصر نستطيع أن نقول انها كانت بلدا مزدهرة ، عامرة ، مشتهرة في جميع نواحي الحياة .

ياقوت الحموي ٥٧٥ ـ ٦٢٧هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٢٩م :

هو الشيخ الامام شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (الرومي) استوطن بغداد ونشأ مسلما وتعلم فيها واهتم بالأدب والنحو ، وغيرهما مما جعله كاتبا ماهرا ساعد سيده رجل الأعمال الذي استعان به بعد ذلك في تصريف أعماله وصفقاته التجارية ، وكثيرا ما سافر للتجارة ، وعن طريق التجارة وصل الى بلدان شتى منها مصر وعمان ، وترك العديد من المؤلفات ومنها كتابه المشهور معجم البلدان الذي رجعنا اليه عند كتابة هذا البحث .

وأقول ان ياقوت ذكر كثيرا من المدن العمانية في معجمه ، وإذا حاولنا أن نحصي ما كتبه عنها فهو كثير . ويحق بانه يصلح موضوعا لبحث منفصل . ولكني هنا سأذكر ما كتبه ياقوت عن عمان البلد .

فذكر عمان : بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون . اسم كورة عربية وجعلها في الاقليم الأول . وذكر ان طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها تسع عشرة درجة وخمس واربعون دقيقة[10]وذكر ان عمان ن تشتمل على بلدان كثيرة ولعله يقصد ببلدان مدن . وان « أكثر أهلها أباضية ليس بها من غير هذا المذهب

---

(١٠) الدرجة طولها $\frac{٢}{٣}$ ٥٦ ميل عربي وتساوي ٢ كيلومتر . والدرجة اذن طولها ١١٠ كم تقريبا .

الا طاري غريب » .

ثم يصفها أنها « ذات نخل وزروع ، وأن حرها يضرب به المثل » وهذا لا يحتاج الى توضيح .

وذكر « ان قصبة عمان صحار » ، [11] ثم تكلم بعد ذلك عن مسميات عمان ولماذا سميت بذلك ، فأورد أن الزجاجي : قال سميت عمان بعمان بن ابراهيم الخليل وأورد أيضا رأيا للكلبي : قال سميت عمان نسبة لعمان بن سبأ بن يفثان بن ابراهيم خليل الرحمن وذكر انه هو الذي بنى مدينة عمان . وأقول ان البعض يرى سببا آخر لهذا الاسم وهو أن الأزد عندما قدموا الى هذه البلاد سموها بعمان نسبة الى وادٍ لهم كان يسمى بهذا الاسم .

ثم أورد ياقوت بعد ذلك بعض الأحاديث النبوية الواردة في عمان منها ما أورده الحسن بن عادية عن ابن عمر . الذي قال له : أفلا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال : قلت بلى . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اني لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطىء البحر الحجة منها أفضل أو أخير من حجتين من غيرها » . وأثر عنه عليه الصلاة والسلام « ومن تعذر عليه الرزق فعليه بعمان » .

ثم يتعرض ياقوت بعد ذلك لذكر بعض من أعلام أهل عمان . وذكر منهم داود بن عفان العماني . وذكر عنه انه كان راويا للحديث . حيث انه روى عن أنس بن مالك ونفرٍ سواه وابي هارون غطريف العماني الذي روى عن جابر بن زيد عن ابن عباس ، وابي بكر قريش بن حيان العجلي والذي ذكر ان أصله من عمان

---

(١١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ـ المجلد الرابع ص١٥٠ .

وسكن البصرة ، وروى عن ثابت البناني ، وروى عنه شعبة والبصريون .

أمـا ما ذكره ياقوت الحموي عن مصر .[١٢]فقد تناول بالذكر أولا سبب تسميتها وقال سميت بمصر نسبة إلى مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام ، وذكر صاحب الزيج أن طول مصر أربع وخمسون درجة وثلثان وعرضها تسع وعشرون درجة وربع في الاقليم الثالث .

وتعرض ياقوت بعد ذلك لاهمية مصر الدينية ، وأشار إلى انها « كانت بها خزائن الارض » كما أشار القرآن الكريم ، وذكرت أيضا في القرآن الكريم في أكثر من موضع . أما ما تفخر به مصر مارية القبطية ام ابراهيم ابن رسول الله . وهاجر ام اسماعيل . وأثر عن النبي ﷺ قال : « إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم صهرا » .

وقـد هاجـر الى مصر جماعة من الأنبياء ، وولد ودفن فيها أيضا مجموعة منهم ، يوسف عليه السلام ، والاسباط وموسى وهارون وبها نخلة مريم ، هذا بالاضافة الى ان مصر وردها جماعة من الصحابة ، وماتوا بها .

ثم يذكر ياقوت نبذة تاريخية عن مصر في شرح يطول ذكره . ويهمنا أن نشير هنا الى المشاهد والمزارات الدينية بمصر منها مشهد رأس الحسين . ومشهد صخرة موسى بن عمـران وبها أثر من أصابع يقال انها أصابعه ، وبها قبة يقال انها قبر السيدة نفيسة وغيرها من المشاهد العلوية . وبالقرافة قبر الامام الشافعي وذكر انه لو أراد أن يحصر لطال الشرح .

وهذا يعطينا دلالة واضحة على الأهمية الدينية لمصر كما ذكرها الحموي .

---

(١٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ـ الجزء الخامس ص١٣٧-١٤٣ .

ابن بطوطة ٧٠٣/ ٧٧٩هـ - ١٣٠٤/ ١٣٧٧م :

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي ، ولد في طنجة وأتم دراسته فيها . كان والده قاضيا . بدأ رحلته وهو شاب وزار العديد من البلدان ، وبعد ذلك دون كل مشاهداته في كتابه (تحفة النظار في غرايب الامصار وعجائب الأسفار) . زار ابن بطوطة كلا من مصر وعمان وأعطى معلومات جيدة ، وخاصة فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية والسياسية .

فكانت زيارته الى عمان عن طريق ظفار [١٣] حيث كان عائدا من شرق افريقيا . عندما وصف موقعها ، ذكر أن ظفار كانت تصدر الخيول العتاق الى الهند ، ولم يذكر ان احدا سبقه الى هذه النقطة ، ثم بعد ذلك يصف ابن بطوطة الحياة الاجتماعية ، ويتكلم عن سوق ظفار والتي كانت تقع خارج المدينة ، وأشار الى كثرة وجود سمك السردين والذي كان يستعمل كعلف للحيوانات ، غير استعماله كغذاء لهم وأشار الى ذلك بقوله « ان أكثر سمكهم السردين منه يأكلون ومنه يعلفون حيواناتهم » .

ويتكلم عن الزراعة ، فيذكر انهم « يزرعون الذرة والقمح ، أما الارز فكان يجلب لهم من الهند » ، أما ما كانت تشتهر به ظفار من الزراعة ، فذكر الموز ، ووصفه بطعمه اللذيذ وشدة حلاوته ، و« النارجيل » (جوز الهند) وذكر له استعمالات عديدة « انه يستعمل في صناعة الزيت والعسل » وتطرق بالشرح الى كيفية صناعته في عمان ، ثم يتكلم عن « استخدامهم للألياف التي تستخرج منه والتي كانت تستعمل وتستخدم في صناعة السفن عوضا عن مسامير الحديد » ، ومن خلال هذا يتبين مدى استفادتهم من هذه الشجرة » .

---

(١٣) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرايب الامصار وعجائب الاسفار ص٢٨٥-٢٩٢ .

ثم يتكلم عن العملة التي كانت سائدة ، وذكر انها من النحاس والقصدير وانها لا تنفق في سواها ، وهذا يعني ان العملة كانت تسك بها في تلك الفترة . ويصف أهلها أنهم « أهل تجارة لا عيش لهم الا منها » ، وانهم كانوا يبالغون في اكرام أهل المراكب التي تصل الى بلادهم ، وأنهم كانوا يعطون كسوة كاملة لصاحب المركب وعند نزولهم البلاد تحضر لهم الخيول فيركبونها ، وتضرب أمامهم الطبول والابواق من ساحل البحر حتى يصلوا دار السلطان » ، وذكر ان سبب ذلك « هو استجلاب أصحاب المراكب للقدوم الى هذه البلاد » .

ثم يصف أهلها أنهم « أهل تواضع وحسن اخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء » . ويذكر كثيرا من الحياة الاجتماعية ، من ذلك « ان لباسهم من القطن الذي يجلب اليهم من الهند » أما البلاد فكان « يصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان » ووصفها « أنها حسان جدا » .

وذكر انها كثيرة المساجد ووصف هذه المساجد والمرافق التي كانت توجد بها . أما سلطان البلاد في تلك الفترة هو الملك المغيث بن الملك الفائز . وان من عاداته « أن تضرب له الطبول والأبواق والانفار والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة العصر » ، ثم يصف موكب السلطان إذا خرج ، ويبين عظمةَ هذا الموكب . ويتكلم عن وزير السلطان وهو الفقيه محمد العدفي الذي لا يمدحه ابن بطوطة .

ويشير الدكتور حامد زيان في كتابه (الحياة في الخليج في ضوء مشاهدات ابن بطوطة) « انه كان من العادات السائدة منذ القدم دق الطبول واطلاق الابواق في عصر سلاطين المماليك ، ويبدو أن معظم التنظيمات العسكرية التي كانت سائدة في ظفار في ذلك الحين كانت قريبة الشبه بما كان سائدا في مصر زمن

المماليك » .[14] وهذا الوصف الدقيق لابن بطوطة لمدينة ظفار يعطينا صورة واضحة عن الحياة فيها في تلك الفترة » .

ثم يذكر ابن بطوطة انهم ركبوا البحر الى عمان ، وكانت الرحلة في مركب صغير « لعلي بن ادريس المصيري من أهل جزيرة مصيرة » وكانوا متجهين الى عمان وذكر ان هذا المركب كان تجاريا وبه مجموعة من الركاب كل له وجهته وهويته فمنهم التاجر ، ومنهم من يتجه لأداء فريضة الحج ، ومنهم الرحالة المتجول مثله .

ويصف بعض مشاهداته في الطريق ، ويقول انهم مروا « بمرسى حاسك . وأن أهلها من العرب ، وكان عملهم صيد السمك » . ثم يتابع الرحلة الى أن يصل الى « جزيرة مصيرة والتي ذكر انها جزيرة كبيرة وبين أن أهلها أيضا يعتمدون في حياتهم على صيد الأسماك » ، ثم يواصل المركب ابحاره الى مرسى قرية كبير على ساحل البحر تعرف بصور ، كما ذكر ابن بطوطة ، ولم يتكلم عن صور ، بل ذكر انه شاهد مدينة قلهات والتي كان يقصدها ، ويصف لنا الطريق من صور الى قلهات . حيث أشار الى انهم « عبروا خليجا صغيرا يتأثر بحالة المد والجزر » (وأقول لعله يقصد خور رضاع) لأنه يقع في هذا الطريق الموصل الى قلهات ، ثم ذكر انه « استكرى دليلا وانهم قطعوا هذا البحر عوما ، ثم خرجوا في صحراء الى ان وصلوا الى قلهات » .

ويصف قلهات بأنها كانت مسورة ، وان الموكل بباب المدينة رفض السماح له بالدخول . الى أن يأخذه الى أمير المدينة ليتعرف على هويته . وذكر أنه بالفعل ذهب الى هذا الأمير ، الذي سأله عن سبب قدومه ، ولما علم بمهمة رحلته أحسن اليه وقربه وأنزله بداره عدة أيام .

---

(١٤) . حامد زيان غانم : الحياة في الخليج في العصور الوسطى ص١٤ .

ثم يصف ان بطوطة مدينة قلهات انها « على الساحل ولها أسواق حسنة . ولها مسجد من أحسن المساجد » . وذكر ان « حيطان هذا المسجد بالقاشاني وهو شبه بالزليج » . أما أهلها فوصفهم « أنهم أهل تجارة ومعيشتهم تعتمد عليها » ، وذكر ان المدينة في هذه الفترة « تتبع السلطان قطب الدين ملك هرمز . وان اقامته بقلهات كانت ستة ايام » ويتطرق بعد ذلك الى قرية طيبي (تعرف الآن باسم طيوي) فيصفها وصفا حسنا وانها من « اجمل القرى وبها انهار جارية ، وأشجار فاخرة وبساتين كثيرة » . وذكر انها « تمد كلا من قلهات وهرمز وبقية مدن عمان بالفاكهة خاصة الموز » .

ثم بعد ذلك يواصل ابن بطوطة وصف مشاهداته لمدن عمان . فيشير الى أنه سافر الى نزوى التي وصلها بعد ستة أيام وقطع طريقا صحراويا في هذه الرحلة وذكر ان نزوى « ذات أشجار وبساتين وحدائق نخل وفاكهة » . وان القائم بالأمر في تلك الفترة « هو من قبيلة أزد عمان ويعرف بأبي محمد بن نبهان » . الذي مدحه ابن بطوطة ، وذكر ان من عادته « أن يجلس خارج باب داره ، ولا حاجب عليه ولا يمنع أحدا من الدخول عليه ، حتى وان كان غريبا عن أهل البلد » .

ويصفه أنه « يتمتع بالعادات العربية الأصيلة من كرم وحسن ضيافة . ويعطي الناس على حسب قدرهم » ومادامت هذه سلوك هذا الحاكم ، فلنا أن نتخيل سلوك أهل هذه البلاد .

ويذكر ابن بطوطة بعض مدن عمان مثل ازكي التي أشار إلى انه لم يدخلها . وقال عنها حين ذكرت له انها مدينة عظيمة ، ويتكلم عن القريات ، وكلبا وخورفكان وصحار فيذكر ان بعض هذه البلاد من أعمال هرمز .

هذا ما ذكره ابن بطوطة عن عمان من خلال تجواله بعمان ومدنها ، ثم بعد ذلك يواصل ابن بطوطة رحلته الى هرمز وبقية مدن الخليج .

أما عن زيارة ابن بطوطة لمصر ،[١٥] فذكر انه مر بها من طنجة في بداية رحلته سنة ٧٢٥ هـ ، وكان في بداية رحلته والتي كانت أساسا للحج ، علما بأنه زارها بعد ذلك . ووصل الى الاسكندرية أولا وذكر ان لها أربعة ابواب هي باب السدرة وباب رشيد ، وباب البحر ، والباب الأخضر ، وتكلم عن مرسى الاسكندرية الذي وصفه بالعظم لشأنه . وانه مر في أثناء زيارته بكثير من المراسي وعده من أهم المراسي التي شاهدها في رحلته . وهذا يعطينا الأهمية التجارية لهذا المرسى . ثم يذكر منارة الاسكندرية ، موضحا ان أحد جوانبها متهدم .

وبـدون شك هذا ما أردنـاه من خلال تعرضنا لهؤلاء الرحالين وتسجيل انطباعاتهم في فترات زمنية متباعدة ـ حتى نتعرف على ما وصلت اليه الأمور عبر تلك الفترة ، ويذكر ان بطوطة هو الذي أشار الى ذلك . ولم يشر اليه من سبقه ، لأن المنارة في ذلك الوقت كانت على أحسن وجه . أما أمير الاسكندرية في عهد وصوله كان يسمى بصلاح الدين .

ثم بعد ذلك يسافر من الاسكندرية الى القاهرة ويصف لنا الطريق الذي يمر به ويتعرض بالشرح للمدن التي يمر عليها أثناء سيره البري الى أن يصل الى مدينة سمود وذكر انها على شاطىء النيل وانها « كثيرة المراكب حسنة الأسواق . ومنها ركب النيل صاعدا الى مصر » .

ثم يصف وصوله الى مصر ، ويذكر انها « أم البلاد ؛ كثيرة العمارة متناهية

(١٥) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : ابن بطوطة ص٣٠-٦٨ .

الحسن والنضارة » ، ووصفها انها « تموج بسكانها موج البحر ، بل انها تكاد تضيق بهم » ، وتكلم عن القاهرة ووصفها « انها قاهرة الأمم » ، ثم بعد ذلك يسجل انطباعاته عن الحياة . فيصف مسجد عمرو بن العاص ، ويصف البيمارستانات والزوايا التي كانت تشتهر بها القاهرة ، وذكر ان « الأمراء في مصر يتنافسون في بناء هذه الزوايا والتي كانت تقام للفقراء والاغراب ، وذكر ان أكثرهم كان في تلك الفترة من العجم » .

ثم يذكر القرافة (وهي المقابر) وذكر انها « جنب جبل المقطم ، وبها القباب الحسنة » .

ثم يتكلم عن المشاهد الدينية بالقاهرة فيشير الى انها « كثيرة ، وبها من قبور العلماء والصالحين ما لا يضبطه الحصر » .

ثم يذكر نيل مصر وانه « أفضل أنهار الأرض عذوبة ومذاقا واتساع قطر ، وعظم منفعة » ، أما المدن والقرى التي بضفتيه فهي « منتظمة ليس في المعمور مثلها » أما الاهرامات ، فذكر انها « من العجائب المذكورة على مر الدهور » .

وكان الملك في مصر عند دخوله اليها هو الملك الناصر ابو الفتح محمد بن المنصور سيف الدين قلاون الصالحي . وذكر ان هذا الملك « له سيرة كريمة وفضائل عظيمة » .

ويطول شرح ابن بطوطة لصعيد مصر عندما ذهب الى اسيوط واكتفي بما ذكره من مشاهدات ابن بطوطة عن مصر .

المصادر والحواشي :

(١) سورة النحل الآية (١٤) .

(٢) عمان والحضارة الاسلامية ـ د. سعيد عاشور وآخرون ص ٢٥٨ .

(٣) أعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبدالرحمن حميدة ص ٢١٠ .

(٤) صورة الأرض : ابن حوقل ص ٣٢-٣٣ .

(٥) صورة الأرض : ابن حوقل ص ١٢٦-١٥٢ .

(٦) أعلام الجغرافيين العرب ـ عبدالرحمن حميدة ص ٣٨٨ .

(٧) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : الادريسي ـ الجزء الثاني ص ١٥٥-١٥٩ .

(٨) الادريسي : نزهة المشتاق ـ الجزء الثاني ص ١٦٧ .

(٩) الادريسي : نزهة المشتاق ـ الجزء الثاني ص ٣١٧-٣٤٥ .

(١٠) الدرجة طولها $\frac{٢}{٣}$ ٥٦ ميل عربي وتساوي ٢ كيلومتر . والدرجة اذن طولها ١١٠ كم تقريبا .

(١١) ياقوت الحموي : نعجم البلدان ـ المجلد الرابع ص ١٥٠ .

(١٢) ياقوت الحموي : نعجم البلدان ـ المجلد الخامس ص ١٣٧-١٤٣ .

(١٣) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرايب الأمصار وعجائب الأسفار ص ٢٨٥-٢٩٢ .

(١٤) د. حامد زيان غانم : الحياة في الخليج في العصور الوسطى ص ١٤ .

(١٥) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : ابن بطوطة ص ٣٠-٦٨ .

المناقشات والمداخلات

● مداخلة الدكتور/ أحمد درويش :

أولى المداخلات التي اثيرت حول ورقة بحث سعيد بن محمد الغيلاني كانت للدكتور أحمد درويش استاذ النقد الادبي والادب المقارن بجامعة السلطان قابوس بدأها بالشكر للباحث على الجهود التي بذلها وتوقف عند اختيار الباحث للادريسي وابن بطوطة وياقوت الحموي من بين الرحالين القدامى وقال : « أرجو ألا يفهم من مداخلتي هذه أنني أقلل من شأن هؤلاء الرحالين أو أغمز في صحة المعلومات التي وردت عنهم ، وما أريد أن أصل اليه بأن هناك رحالين كبارا غيرهم كانوا أكثر أهمية منهم ومن أولئك على سبيل المثال لا الحصر ابن جبير الذي وصف الحياة العلمية بمصر في عهد صلاح الدين الايوبي ، وزار الاسكندرية ، وذكر أن بها من مساجد العلم عددا كبيرا وصل به بعضهم الى (١٢) ألف مسجد ، كما وصف مدرسة طلاب العلم المغتربين في مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة ، وكيف كانت ترتب لهم امور معاشهم حتى الحمامات والأطباء ، وكانوا يديرون أمورهم بأنفسهم » .

وتحدث أيضا عن مدرسة الامام الشافعي ، وكيف أنها كانت تمثل ضاحية علمية تلحق بها مساكن الطلاب ، ويقيم فيها الشيوخ .

وهناك رحلة السيد برغش سلطان زنجبار والتي خطها كاتبه بعنوان تأويل الاعتبار في رحلة سلطان زنجبار ، وقد زار فيها الاسكندرية والقاهرة ، ووصفها لدى مروره بمعية السيد برغش الى أوروبا ، وهناك رحلات الاوروبيين إلى عمان ومصر ، وانطباعات الرحالين العرب المعاصرين عن عمان في عصر نهضتها الحديثة ، وعلى كل حال فان البحث جاد وجيد ويفتح الطريق إلى مزيد من

الدراسات حول هذه النقطة الهامة » .

● د. رجب محمد عبدالحليم :

وفي مداخلته أثار د. رجب محمد عبدالحليم عدة ملاحظات حول البحث يمكن أن نوجزها بالتالي :

١ ـ الملاحظة الأولى اقترح فيها تعديل عنوان البحث ليصبح (عمان ومصر في كتابات بعض الرحالين المسلمين) وحذف من العنوان كلمة (والمستكشفين) باعتبار أن عمان ومصر معروفتان لدى القاصي والداني وليستا بحاجة إلى من يستكشفهما .

٢ ـ وتوقف د. رجب محمد عبدالحليم في ملاحظته الثانية عند بلدة (دماء) التي أوردها الباحث مستعينا بكتابات الادريسي التي أشار فيها بأنها تقع على البحر ، مما دفع بالباحث أن يعتقد أنها ربما تكون بلده (دبا) في الداخل ، وقال الدكتور رجب « في عمان أكثر من بلدة تسمى بهذا الاسم أو ما يقاربه ، فالادريسي محق في معلوماته ، وصادق في انها تقع على ساحل البحر وان بها مغاصات اللؤلؤ ، وان (دماء ، التي ذكرها الادريسي ـ رغم انه لم يصل عمان ـ) هي بلدة (السيب) و (دماء) هي المسمى القديم للسيب المعروفة ، ومنها رجل معروف هو ابو شداد الدمائي الذي ذكر لنا أن أحد كتب الرسول عليه الصلاة والسلام وصلت إلى (دماء) (السيب) ، وانهم لم يجدوا من يقرأ هذا الكتاب الا صبيا يجيد القراءة والكتابة ، فالادريسي صادق في معلوماته (دماء) هي على ساحل البحر » .

٣ ـ الملاحظة الثالثة توقف فيها الدكتور رجب محمد عبدالحليم عند (ظفار) التي أشار اليها الادريسي ووصفها بأنها قصبة يحصب وقال : « هذا الوصف لا ينطبق على ظفار عمان ، فهناك ظفار في اليمن وهي منطقة داخلية ، وأما ظفار التي يقصدها الادريسي فإنها ظفار (عمان) » .

● **علي بن محسن آل حفيظ**

أما الاستاذ الباحث علي بن محسن آل حفيظ مدير دائرة تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم فقد أضاف في مداخلته حول ورقة البحث عدة توضيحات واضافات يمكن أن نوجزها بالتالي :

١ ـ « قصبة يحصب هي عاصمة اليمن ، لاسيما ان الباحث ذكر أنه يفصل بينها وبين ذمار ثمانية فراسخ » .

٢ ـ « ذكر الباحث جبل (شرم) وحسب معلوماتي هناك جبل (شروى) موجود بين سواحل حضرموت وسواحل مأرب وهو أحد الجبال التي يهتدى بها ، وهناك قمة جبل (شرم) في سوقطره » .

٣ ـ الملاحظة الثالثة توقف فيها عند ياقوت الحموي وقال : « كتاب ياقوت الحموي من وجهة نظري مهم جدا ، ولكن بعض المعلومات التي وردت في طياته تسرب اليها ما يعتورها أحيانا نتيجة الأخطاء المطبعية ، وبعض التصرف في الاسماء ، وهناك الحتميات وهي في الغالب غير دقيقة من ذلك ما جاء فيه ان شجرة اللبان لا توجد في العالم الا في ظفار ، علما أن هذه الشجرة توجد في ساحل افريقيا وبعض مناطق الهند ، وان ما أشرت اليه هنا انما كان على سبيل الاحتياط والحيطة والحذر وعدم التسليم أن كل ما يذكر في الكتب القديمة يجب أن يؤخذ

بدون تمحيص » .

٤ ـ وفي ملاحظته الرابعة توقف الاستاذ الباحث علي بن محسن آل حفيظ مدير دائرة تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم عند ما أورده الباحث نقلا عن ابن بطوطة وقال معقبا على ذلك :

« زار ابن بطوطة ظفار مرتين ، وفي عهدين مختلفين :

ـ الأولى ، في عهد بني منجور ، والباحث أورد اسم (أحمد بن منجويه) ، وهو ابن منجور ، وذكر تجارة الخيل حيث راجت تجارتها في زمن هذه الاسرة » .

٥ ـ الباحث أغفل رحالة مهمة جدا وهو ابن مجاور في تاريخ المستنصر وهو كتاب مهم بالرغم مما يحمله من مغالطات ، وانه أقرب الى اللهجة الشعبية والسيرة الذاتية ، الا أن فيه معلومات عامة عن عمان .

٦ ـ الملاحظة السادسة : « ذكر الباحث الملك المغيث بن الملك الفائز ولم يقل (الرسولي) ، وهي فترة متأخرة ، وظفار في هذا العصر كانت تحكم من قبل بني رسول الذين كانوا يحكمون اليمن ، كما أشار الباحث إلى أن تنظيماتهم العسكرية كانت تشبه تنظيمات المماليك ، وفي الحقيقة أن بني رسول كانوا الى حد ما واقعين تحت تأثير المماليك في مصر » .

● **أحمد بن سعود السيابي**

في مداخلته أضاف الاستاذ الباحث أحمد بن سعود السابي معلومات توضيحية الى ما جاء في البحث والمداخلات يمكن ايجازها بما يلي :

١ ـ ان (دماء) من الحواضر العمانية المعروفة منذ القدم ، ولها أهمية كبيرة في التاريخ العماني ، من أهمها ذاك الحدث الثقافي الكبير الذي شهدته في أواخر القرن الثاني الهجري ، وبداية القرن الثالث الهجري في عهد الامام غسان بن عبدالله ، حيث كانت مقر رباط الجهاد ضد القراصنة ، وقد استغل العلماء تلك الفرصة فألفوا موسوعة علمية عرفت بكتاب (الأشياخ) وهي أول موسوعة فقهية .

٢ ـ والملاحظة الثانية تتعلق بالمدن العمانية الواردة في معجم البلدان لياقوت الحموي حيث يقول : « بخصوص المدن العمانية التي ذكرها ياقوت الحموي فاني اقترح أن يتبنى المنتدى الأدبي اعداد كتاب على غرار كتاب (المدن اليمانية عند ياقوت الحموي) ، ولكن بشيء من التحديد والتوضيح واثبات المسافات واختلاف الأسماء » .

٣ ـ في ملاحظته الثالثة ، يشير الشيخ أحمد بن سعود السيابي الى العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار أو تفسير المنار منوها برحلته الى عمان وزيارته للسيد فيصل بن تركي .

● **سعيد بن محمد الغيلاني**

في اطار رده على ما ورد في المداخلات والمناقشات يزجي الشكر لكل المشاركين ، مشيرا بصراحة الى انه أفاد من هذه الملاحظات ، معقبا على ما جاء في مداخلة الدكتور أحمد درويش بقوله : « ان المصادر التي تحدثت عن الرحلات كثيرة جدا ، واننا لو تتبعناها كلها فسوف نحتاج الى وقت طويل والى حشد من المعلومات لا طائل لذكره في هذه الندوة » . متوجها بالشكر للدكتور رجب محمد

عبدالحليم على توضيحه بالنسبة (لدماء) (السيب) وظفار ، كما توجه بالثناء الى كل من الباحثين علي بن محسن آل حفيظ على توضيحه آنف الذكر والذي تناول فيه جبل (شرم) ، وصلاح جمعه على اقتراحه أن يتبنى أحد المتخصصين كتابة دراسة عن الجانب التجاري والزراعي لعمان ، وسعيد الهاشمي على توضيحه لمعلومة (اللؤلؤ العماني) واشارته إلى ان أجمل لؤلؤة اهديت لهارون الرشيد كانت من عمان .

واختتم الباحث كلمته بأن وجه الشكر للشيخ أحمد بن سعود السيابي على المعلومات التي أوردها في تعقيبه على ورقة البحث مشيرا إلى أن العجلة هي التي اخرجت الموضوع بهذا الشكل .



موقف

المدرسة المصرية والمدرسة العمانية

قراءة في منهج التفسير والتأويل بين السيوطي والقلهاتي

دكتوره آمال محمد حسن خليل
مدرس التاريخ الاسلامي بكلية البنات
جامعة عين شمس

تقـــديـم :

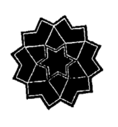
ينبغي في البداية أن أشير إلى أن هم المشتغل بالتاريخ الاسلامي والحضارة يتجاوز المفهوم التقليدي لدراسة التاريخ ، وهو المفهوم الذي يقف عند حدود سرد الأحداث ، أو القوى المؤثرة ، أو الفاعلة في الحركة التاريخية بأركانها ؛ الانسان ، الزمان والمكان ، يتجاوز هذا المفهوم ليبحث في تجليات معطيات الحضارة بفنونها الابداعية متمثلة في فنونها القولية « الشعر » الذي يعد رافدا هاما للمؤرخ ، يفسر به ، ومن خلالـه نبض الانسـان في تفـاعله مع الواقع من جانب ، وفي رؤيته للمستقبل . فالشعر يتحول على يد المؤرخ إلى وثيقة تاريخية ـ ان صح التعبير ـ بها يستقـرىء أحـداث المـاضي وغـيره ، ومـا ينبىء به المستقبل . كما تقوم الفنون التشكيلية ، والطرز المعمارية ، والموسيقى ، بتقديم منظومة حضارية تتآزر مجتمعة في صياغـة وجدان الأمة ، ثم تأتي الفلسفة ودراسة العقائد ثمرة من ثمار عطاء الوسط الثقافي الذي تنفس فيه الانسان المسلم .

ولعل هذه الفاتحة للبحث تبرز اختياري لتناول مشكل « التأويل والتفسير » لدى علمين من أعلام الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية ، « القلهاتي المتوفى في القرن الرابع الهجري » ، « والسيوطي المتوفى في القرن العاشر الهجري » ، والتعرف هذا في تأويلهما لأمثلة من قضايا التوحيد في محاولة لالقاء الضوء على مدى ما تمتعت به الحضـارة الاسـلامية من سماحـة ، وسعـة افق حيث قدمت المثال والنموذج لحرية الفكر والاجتهاد ، وصولا للحقيقة التي هي هدف الباحث .

ولعل هذا التناول أقرب صلة بتاريخ الفكر ، حيث يستدعي ـ هذا التناول التاريخي ـ فكرة دار الاسلام ودار الحرب . فالشعوب التي تدين بالاسلام تنضوي تحت راية دار الاسلام أو السلام ، ومن ثم ، تتلاشى فكرة الحدود بين ربوع العالم الاسلامي . ويستظل رعاياها براية « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

هذا المفهـوم من التآخي الروحي ، ذوب الفوارق أو الحدود الجغرافية ، وصهر فكر العالم الاسلامي في بوتقة واحدة هي نتاج لحضارة اسلامية ، ويترتب على هذا ان تكون العلاقة بين البلدان الاسلامية في محورها الثقافي ، قائمة على تمثُل دعائم هذه الحضارة على نحو ما تتبلور في دراسة منهج مفكريها في « التفسير والتأويل » ، وانعكاسات هذه المناهج في قضايا التوحيد ، كل ذلك يكشف ـ في التحليل الأخـير ـ عن قيمـة من قيم الحضـارة الاسـلامية ، أعني « حرية الاجتهـاد » ، كما يكشف عن مناخ حرية التعبير عن الرأي ، والاستماع للرأي الآخر في ضوء تقاليد آداب المناظرة ، مما يؤكد ثراء تاريخ الفكر الاسلامي من خلال نموذجين من مراكز الحضارة الاسلامية « مصر » و« عمان » .

ونود هنا أن نؤكد دور البيئة بمفهومها الحضاري الاسلامي ، وهو مفهوم يفسر حقيقة العلاقة بين مسالك الثقافة الاسلامية في ربوع العالم الاسلامي .



التفسير والتأويل بين اللغة والمصطلح

(أ) في التفسـير :

من آيات تقدم مناهج البحث عند مفكري الاسلام حرصهم على تحديد « المصطلح » الذي يحدد « لغة التفاهم » ، والتي تمثل إطارا يرجعون اليه خلال مناظراتهم .

يقـول « ابن منظور » : « التفسير في اللغة (فسر) الفسر البيان : فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسر أو فسره أبانه . . و (التفسير) مثله .

ابن الاعرابي التفسير والتأويل والمعنى واحد . وقوله عز وجل **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾**[1] كشف المغطى و (التفسير) كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل رد أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر و (استفسرته) .

كذا أي سألته أن يفسره لي ، و (الفسر) نظر الطبيب الى الماء وكذلك التفسرة .

قال الجوهرى : وأظنه مولدا وقيل (التفسرة) البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل وهو اسم كالتنهية . وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته » .[2]

ويعـرض « الـزركشي » مفهـوم (المعنى) ، و(التفسير) ، و(التأويل) فيقول : « فأما (المعنى) فهو القصد والمراد ، يقال عنيت بهذا الكلام كذا ، أي

(١) سورة الفرقان ، آية ١٥ .

(٢) ابن منظور ، مادة فسر ، لسان العرب (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق) جـ ٥ ص ٣٦١ .

قصدت وعمدت . وهو مشتق من الاظهار : عنت القربة ، إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته . ومنه عنوان الكتاب وقيل مشتق من قولهم : عنت الأرض بنبات حسن ، إذا أنبتت نباتا حسنا . قلت : وحيث قال المفسرون : قال أصحاب المعاني : فمرادهم مصنفو الكتب في معاني القرآن ، كالزجاج ومن قبله وغيرهم وفي بعض كلام الواحدي ، أكبر أهل المعاني الغراء ، والزجاج وابن الانباري ، قالوا كذا وكذا ، ومعاني القرآن للزجاج لم يصنف مثله . وحيث أطلق المتأخرون أهل المعاني ، فمرادهم بهم مصنفو العلم المشهود » .[1]

ومن حيث الاصطلاح يقول الزركشي : « وفي الاصطلاح : هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والاشارات النازلة فيهم ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها . وزاد فيها قوم فقالوا : علم حلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها وأمرها ، ونهيها ، وعبرها وأمثالها . وهذا الذي منع فيه القول بالرأي » .[2]

أما « حاجي خليفة » فيقول : « هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ومبادية العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمة » .[3]

أما « الجرجاني » فيقول : « التفسير في الأصل هو الكشف والاظهار . وفي الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه

---

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ ؛ جـ ٢ ، ص ١٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٤٧ .
(٣) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (مكتبة المثنى ، بيروت د. ت) جـ ١ ، ص ٤٢٧ .

دلالة ظاهرة » .[٤]

وقيل « انه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه والفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام » ، وقيل أيضا : انه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها ، وأحكامها الافرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وغير ذلك لمعرفة النسخ وسبب النزول وما به توضيح المقام كالقصة والمثل » .[١]

وجاء في « دستور العلماء » : التفسير مبالغة الفسر وهو الكشف والاظهار فيراد به كشف لا شبهة فيه وهو القطع بالمراد ولهذا يحرم التفسير بالرأي .

وفي الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة .

وقالوا التأويل اعتبار دليل يصير المعنى به أغلب على الظن من المعنى الظاهر ولهذا لا يحرم تأويل القرآن بالرأي لأنه الظن بالمراد وحمل الكلام على غير الظاهر بلا جزم .

(وقريب من ذلك) ان التأويل بيان أحد محتملات اللفظ والتفسير بيان مراد المتكلم ولهذا قيل لو قال رجل فسرت هذه الآبة الكريمة من غير أن يكون ناقلا عن المخبر الصادق يكفر . فالمراد بقولهم (الكشاف) تفسير القرآن معناه المجازي اي فيه بيان محتملات نظم القرآن المجيد أو المراد انه تفسير بعض آياته الكـريمة فاطلاق التفسير على المجموع ايضا مجازي . ولا يخفى انه يحتمل أن

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن (دار احياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي ، مصر د.ت) جـ٢ ، ص ٤ .

يكون بيان محتملات اللفظ مطابقا لمراد المتكلم في بعض البيان .

و (علم التفسير) علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالالفاظ والمتعلقة بالأحكام وغير ذلك (وموضوعه) الكتاب العزيز و (غايته) فهم خطاب الله تعالى الموجب للسعادة الأبدية .[1]

في التأويــل :

جاء في لسان العرب لابن منظور : « أول الكلام وتأوله دبره وقدره وأوله وتأوله فسره . وقوله عز وجل : ﴿**ولما يأتهم تأويله**﴾[2] أي لم يكن معهم علم تأويله . وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه .

وقيل معناه لم يأتهم ما يؤول اليه أمرهم في التكذيب من العقوبة . ودليل هذا قوله تعالى : ﴿**كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾[3] وفي حديث ابن عباس : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ، قال ابن الأثير : هو من آل الشيء يؤول الى كذا! أي رجع وصار اليه . والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ » .

وأما (التأويل) فهو (تفعيل) من (أول يؤول تأويلا) وثلاثية (آل يؤول) أي رجع وعاد .

وسئل ابو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى

---

(١) القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الاحمدي فكرى ، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٧٥) جـ ١ ، ص ٣٣ .

(٢) سورة يونس . آية ٣٩ .

(٣) سورة يونس . آية ٣٩ .

والتفسير واحد .

قال أبو منصور : يقال (ألْتُ) الشيء (أؤله) إذا اجمعته وأصلحته فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه .

وقال بعض العرب أوّل الله عليك أمرك أي جمعه وإذا دعوا عليه قالوا (لا أوّل الله عليك شملك) .

ويقال في الدعاء للمضل (أوّل الله عليك) أي (رد عليك ضالتك وجمعها لك) ويقال : تأوّلت في فلان الأجر إذا تحريته وطلبته .

(الليث) التأويل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه وأنشد :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

والتأويل والتفسير ما يؤول اليه الشيء وقد أولته تأويلا وتأولته بمعنى ، ومنه قول الأعشى :

على أنها كانت تأول حبها تأوّل ربعي السقاب فأصحبا

قال أبو عبيدة : تأول حبها أي تفسيره ومرجعه .[1]

أما « الزركشي » فيقول : « أما التأويل فأصله في اللغة من الأول ، ومعنى قولهم : ما تأويل هذا الكلام ؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد به ، كما قال تعالى : ﴿يوم يأتي تأويله﴾[2] أي تكشف عاقبته ، ويقال : آل الأمر إلى كذا ، أي صار إليه . وقال تعالى : ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾[3] وأصله من المآل .

---

(١) لسان العرب . جـ ١٣ مادة أول .

(٢) سورة الأعراف . آية ٥٣ .

(٣) سورة الكهف . آية ٥٢ .

وهو العاقبة والمصير .

وقد اوّلتُه فآل ، أي صرفته فانصرف ، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله المعاني . وإنما ينوه على التفصيل . . وقيل أصله من الايالة ، وهي السياسة فكأن المؤول للكلام يسوى الكلام ويضع المعنى فيه موضعه »(٤)

ويقول التهانوي : « التأويل وهو مشتق من الأول وهو لغة الرجوع » .(١)

أما « طاش كبرى زاده » فيقول : « والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع ، فكأنه صرف الآية الى ما تحتمله من المعاني . وقيل من الايالة ، وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ، ووضع المعنى فيه موضعه » .(٢)

وتثمر دلالة كلمة « التأويل » عن قيد من المعاني تشير الى الرجوع ، العاقبة ، البيان ، التفسير ، الايضاح ، المعنى ، السياسة ، الجمع ، والاصلاح .

أما دلالة الكلمة « التأويل » من حيث الاصطلاح فيرى « ابن رشد » : « ومعنى التأويل : هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشىء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقاربه . أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي » .(٣)

---

(٤) الزركشي . البرهان جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(١) التهانوي . كشاف اصطلاحات الفنون (حققه د. لطفي عبد البديع ، ترجمة د. عبد النعيم محمد حسين ، مراجعة أمين الخولي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣) جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(٢) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة (تحقيق ومراجعة كامل بكري ، عبد الوهاب ابو النور ، دار الكتب الحديثة د.ت) جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(٣) ابن رشد . فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال (تحقيق د. محمد عمارة ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٢) ص ٣٢ .

وعنـد الأصوليين هو : مرادف للتفسير ، وقيل هو الظن بالمراد والتفسير والقطع به ، فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمى مؤولا ، وقيل : هو أخص من التفسير .[٤]

أمـا التأويل في اصطلاح المفسرين « فإنه يختلف معناه فبعضهم يرى انه مرادف للتفسير . وعلى هذا فالنسبة بينهما التساوي ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين » .[١]

ويقول الجرجاني في التعريفات : « التأويل في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف الآية عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة مثل قوله تعالى : ﴿وتخرج الحي من الميت﴾[٢] ، إن أراد به اخراج الـطير من البيضة ، كان تفسيرا وإن أراد اخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا » .[٣]

وكثيرا من الفقهاء والمحدثين يجمعون على أن المعنى والتفسير والتأويل واحد لا فرق بينهما من حيث الدلالة ، فقال : « ابو عبيدة وطائفة : هما بمعنى »[٤] .

في حين ذهب « الحارث المحاسبي »[٥] إلى أن التأويل هو فهم المعنى المراد في اللفظ المُشكل ، فهو يرى أن فهم القرآن ومعرفة مقاصده واجب لا يتحقق الا

---

(٤) التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني . مناهل العرفان في علوم القرآن (دار احياء الكتب العربي ، فيصل البابي الحلبي . مصر د.ت) جـ ٢ ، ص ٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٢٧ .

(٣) الجرجاني . التعريفات ص ٥٣ .

(٤) طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة . جـ ٢ ، ص ٥٧٣ .

(٥) انظر : الحارث المحاسبي . العقل وفهم القرآن (قدم له وحقق نصوصه د. حسن القوتلي ، دار الكندي للطباعة والنشر ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٩٧٨) ص ٣١٦ .

بتمام الفهم العقلي . وعلى الانسان ان يستعين بالأدوات التي تمكنه من ذلك . ويقدم مثالا لذلك بقوله : قال تعالى : ﴿**ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ، هل ينظرون الا تأويله ، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه**﴾ إلى قوله : ﴿**أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل**﴾ .[1]

وحول مشكل « التأويل » يقول الشاطبي : « تسليط التأويل على التشابه فيه تفصيل ، فلا يخلو أن يكون من المتشابه الحقيقي ، أو من الاضافي ، فإن كان من الاضافي فلا بد منه إذا تعين بالدليل كما بين العام بالخاص والمطلق بالمقيد ، والضروري بالحاجي ، وما أشبه ذلك ، لأن مجموعهما هو المحكم . . وأما إن كان من الحقيقي فغـير لازم تأويله . . إذ ان المجمـل لا يتعلق به تكليف إن كان موحدا ، لأنه إما أن يقع بيانه بالقرآن الصريح أو بالحديث الصحيح أو بالاجماع القاطع ، أو لا فإن وقع بيانه بأحد هذه فهو من قبيل الضرب الأول من التشابه وهو الاضافي . وان لم يقع بشيء من ذلك فالكلام في مراد الله تعالى من غير هذه الوجوه تسور على ما لا يعلم ، وهو غير محمود . وأيضا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المقتدين بهم لم يعرضوا لهذه الأشياء ولا تكلموا فيهـا بما يقتضي تعيين تأويل من غير دليل وهم الأسوة والقدوة وإلى ذلك فالآية مشـيرة إلى ذلـك بقـوله تعالى : ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**﴾[2]، ثم قال : ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**﴾ .[3]

---

(١) سورة الأعراف . آية ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) ، (٣) سورة آل عمران ، آية ٧ .

وقد ذهب جملة من متأخري الأمة الى تسليط التأويل عليها أيضا ، رجوعا الى ما يفهم من اتساع العرب في كلامها . من جهة الكناية والاستعارة والتمثيل وغيرها من أنواع الاتساع ، تأنيسا للطالبين ، وبناء على استبعاد الخطاب بها لا يفهم ، مع إمكان الوقوف على قوله : « والراسخون في العلم » وهو أحد القولين للمفسرين ، منهم مجاهد ، وهي مسألة اجتهادية ولكن الصواب من ذلك ما كان عليه السلف .[1]

ولعل ما تتميز به اللغة العربية من وجوه البلاغة والاعجاز والتصرف في فنون البيان ، تفسر نظرة علماء اللغة والأصوليين « للتأويل » وكيف تشعبت بهم السبل ، إلى حد ان رأى بعضهم إنكار « المجاز » بينما أثبته آخرون .

وقد أشار الى ذلك « ابن السيد البطليوسي » في قوله : « قد ذهب قوم الى ابطال المجاز ، وذهب آخرون الى اثباته . وانما كلامنا فيه على مذهب من أثبته ، لأنه الصحيح الذي لا يجوز غيره ، لقوله تعالى : **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾**[2]، وقوله : **﴿بلسان عربي مبين﴾**[3]، ومن أمثلته في القرآن قوله عز وجل : **﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾** .[4]

وذهب قوم الى ان البنيان هنا حقيقة ، وانه أراد الصرح الذي بناه هامان لفرعون ، وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله : **﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب﴾** .[5]

---

(١) ابو اسحاق الشاطبي . الموافقات في اصول الشريعة (تعليق الشيخ عبدالله دراز . ضبط وترقيم محمد عبدالله دراز ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٩٧٥) جـ ٣ ، ص ٩٨ .

(٢) سورة ابراهيم . آية ٤ .

(٣) سورة الشعراء . آية ١٩٥ .

(٤) سورة النحل . آية ٢٦ .

(٥) سورة غافر . آية ٣٦ .

وذهب آخرون الى أنه كلام خرج مخرج التمثيل والتشبيه . قالوا : « ومعناه أن ما بنـوه من مكرهم وراموا إثباته وتأصيله أبطله الله وصرفه عليهم ، فكانوا بمنزلة من بنى بنيانا يتحصن به من المهالك ، فسقط عليه فقتله ، وشبهوه بقوله تعالى : ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾[1] والقولان جميعا جائزان على مذهب العرب » .[2]

فقـد عرض « ابن الجـوزي » الصورة من صور الفهم الخاطىء للآيات القرآنية التي ترد فيها بعض صفات الله عز وجل من المتشابهة كالوجه واليد والرجل والعين الى غير ذلك . فيقول : « ورأيت من أصحابنا من تكلم في الاصول بما لا يصح . . فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا الى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات وعينين وفما ولهوات وأضراسـا وأضـواءه لوجهـه هي السبحات ويدين وأصابع وكفا وخنصرا وابهاما وصدرا وفخذا وساقين ورجلين . . ثم انهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل ، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا الى النصوص الصارفة عن الظواهر الى المعاني الواجبة لله تعالى ولا الى الغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ولم يقنعوا ان يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات ، ثم لما أثبتوا انها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة . . بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين .

(١) سورة فاطر . آية ٤٣ .

(٢) ابن السيد البطليوسي . التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين (تحقيق وتعليق د. أحمد زكي كحيل ، د. حمزة عبدالله النشرتي مكتبة المتنبي ، الطبعة الثانية ١٩٨٢) ص ٥٣ وما يلي .

والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته اليهم ويقولون نحن أهل السنة ، وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام . يا اصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع وامامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط : كيف أقول ما لم يقل ، إياكم أن تبتعدوا في مذهبه ما ليس منه ، ثم قلتم في الأحاديث تحمل على ظاهرها مظاهر القدم الجارحة فإنه لما قيل في عيسى عليه السلام (روح الله) اعتقدت النصارى أن لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم .

ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات . وينبغي ان لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم فلو انكم قلتم نقرأ الاحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليكم إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح .

وتبدو تجليات هذا النص في أنه يمثل المنحى الصحيح الذي نحا بابن الجوزي نحو توجيه الانظار الى الخطأ الناجم عن حمل الصفة أو الاسم على الظاهر اذ أن ذلك يوقع في التشبيه والتجسيم . ويخلص الى موقف واضح يتمثل في : إما التوقف والسكون ، وهذا جائز ، واما صرف اللفظ عن حقيقة معناه الظاهري ، الى معنى آخر يوافق عليه العقل ، وهو هنا يؤكد على ضرورة التأويل في مثل هذه الآيات .

ويصور لنا « الامام الغزالي » أبعاد الموقف من « التأويل » فيقول : « بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر والخائضون فيه تحزبوا الى (مفرط) بتجريد النظر الى (المنقول) والى (مفرط) بتجريد النظر الى (المعقول) والى (متوسط) طمع في الجمع والتلفيق ، و(المتبسطون) انقسموا

الى من جعل (المعقول أصلا) و(المنقول تابعا) ، فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه ، والى من جعل كل واحد أصلا ويسعى في التأليف والتوفيق بينهما : فهم إذن خمس فرق »[1]، وبعـد أن عرض لموقف كل فرقة انتهى الى القول : « والفرقة الخامسة هي الفرقة المتوسطة الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول الجاعلة كل واحد منها أصلا مهما ، المنكرة لتعارض العقل والشرع وكونه حقا ، ومن كذب العقـل فقد كذب الشرع ، إذ بالعقل عرف صدق الشرع ، ولولا صدق دليل العقل لما عرفنا الفرق بين النبي والمتنبي ، والصادق والكاذب ، وكيف يكذب العقل بالشرع ، وما ثبت الشرع الا بالعقل . وهؤلاء هم الفرقة المحقة . وقد نهجوا منهجا قويما » .[2]

ويحـدد « الغـزالي » في النص السـابق المنهج الخاص بالتفسير والتأويل ، ويرى ضرورة الجمع بين (العقل) الذي يقتضي (التأويل) و(النقل) الذي يقتضي الاتباع للنصوص الواضحة في ذاتها الجلية بلا لبس ولا غموض .

إن إلحاح علماء اللغة والاصوليين والفقهاء على ضبط المصطلح إنما يهدف الى تحقيق غاية شريفة ، هي مقاربة النص القرآني ، وفهم وجوهه ، وأن يوغل المرء فيه برفق فهـو ـ القرآن الكريم ـ حمال أوجه . وتحديد الموقف من التأويل يعصم المفسر للنص القرآني من الانحراف على القول السديد الدال على المعنى .

لقـد تحول مشكـل « التأويل » من الوجهة المنهجية الى سمة مميزة لمناهج البحث في علوم القرآن خاصة ، وفي علوم العربية ، والفلسفة الاسلامية عامة ، وهي سمة تحرص على تحديد المصطلح وضبطه ، وقد اكتسبت هذه السمة صفة التقاليد Tradition في تاريخ الفكر الاسلامي .

---

(١) ابو حامد الغزالي . قانون التأويل (تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري ملحق مجلة الازهر ، عدد ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ) ص ٤٣ .

(٢) الغزالي . المصدر السابق ص ٤٧ . وقد أفدت فائدة كبيرة من بحث الزميل د. سعيد مراد : منهج الامام الشوكاني في التفسير ص ١-٢ (رقم الايداع بدار الكتب ٨٩/٣٣١٦) .

أولا : منهج القلهاتي في التفسير والتأويل :

ثمة غموض حول تحديد التاريخ الذي عاش فيه « القلهاتي » ولا الى تاريخ كتابته لسفره الجليل « الكشف والبيان » .

وتعرض الاستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف لترجمة حياته ولمؤلفه « الكشف والبيان » ، فهو الشيخ الفاضل « أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي » . وقد أشارت الى قصور المعلومات المتوفرة لدى الباحثين حول حياة « القلهاتي » ونتاجه العلمي . اشارت من خلال تقديمها لكتاب « الكشف والبيان » ان الدكتور « عوض خليفات » قد ذكر أن القلهاتي عاش في القرن الحادي عشر الهجري ـ السابع عشر الميلادي ـ[1]، بينما أكدت أن هذه المعلومات جانبها الصواب ، حيث أكدت أنه من العلماء البارزين الذين عاصروا عهد الامام « سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب » ، الذي بويع بالامامة في سنة ٣٢٠هـ ، واستشهد في سنة ٣٢٨هـ . أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

وهو ينتسب الى مدينة قلهات في عمان ، كما انه ينتسب الى قبيلة الأزد اليمنية ، ويظهر كتاب « الكشف والبيان » أن القلهاتي كان ملما بالقرآن الكريم ، والتفسير ، وعلم الحديث ، وعلم التوحيد ، فضلا عن تعمقه في علوم اللغة العربية وآدابها ، يستشهد بالشعر ، والأمثال ، وفي مواضع كثيرة من كتابه يشرح معاني الكلمات الغريبة ، وشوارد اللغة ، في محاولة لمقاربة المعنى ، في بيت شعر أو في رواية ، ويكشف الكتاب عن إلمامه بالعقائد ومذاهب الفرق الاسلامية التي نشأت بعد ظهور الاسلام ، فضلا عن معرفته بمذاهب اليهودية والمسيحية وعلى

---

(١) د. عوض خليفات . نشأة الحركة الأباضية (عمان ١٩٧٨) ص ٢٢

هذا النحو تجلى في الكتاب خصوبة فكره السياسي الاسلامي ، وقد استمد روافده من ثقافات وعقائد سابقة على الاسلام .[1]

ويلاحظ أن القلهاتي في نظرته الى التاريخ ـ مثله مثل سائر المؤرخين والكتاب في ديار الاسلام ـ نظرة عالمية اسلامية تبدأ قبل الاسلام وتستمر بعد الاسلام معبرا عن وحدة الامة العربية الاسلامية ، لكنه اتجه اتجاها عقائديا ، حيث اهتم بتاريخ عمان ، كما اهتم بتوضيح أسس المذهب الأباضي في عمان . وبالرغم من أن القلهاتي أباضي المذهب فإنه كان يتحلى بالموضوعية والحيدة العلمية التي دفعته الى ان يسجل الانحرافات التي حدثت بين الخوارج ويؤكد أن الأباضية منها براء .

والقلهاتي لا يخرج على تقاليد منهج البحث لدى مفكري الاسلام عندما يواجهون مشكلات بحثية ، فهم يشرعون ـ في البدء ـ في ضبط المصطلح قبل الادلاء بآرائهم في توجيه المعنى الكامن خلف النص . ومن ثم ، فهو حريص على أن يحدد الأصل اللغوي لكلمتي التأويل والتفسير .

فيرى أن التأويل على ثلاثة أوجه : فهو « أثر الشيء ومنتهاه » وهو تفسير الشيء الذي يراد به وما يصير اليه أمره ، وتأويل الرؤيا من ذلك ، وهو في الاعمال العقوبات وهو آخر أمرها ، والأصل واحد ، وعن مجاهد في قوله تعالى : **﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾**[1]، أي هل ينظرون الا بيانه ومعانيه وتفسيره ، وقيل آخر أمره ومنتهاه ، ويقال تأول تأولا ، وآل يؤول أوْلا ، إذا انتهى .

---

(١) القلهاتي . الكشف والبيان (تحقيق وشرح د. سيدة اسماعيل كاشف ، سلطنة عمان ١٩٨٠) جـ ١ ، ص ٦-٩ .

(١) سورة الأعراف ـ آية ٥٣ .

وعن مجاهد في قوله عز وجل : ﴿نبئنا بتأويله﴾[٢]، قال به . وقال أبو عبيدة : تأول الرؤيا وهو الشيء الذي يؤول اليه .

وأنشد غيره لمحمد بن ثور قال :

فقلت على الله لا تذعرنها فقد أولنا أن اللقاء قريب

يصف ظبيتين مرتا به فتيمن بهما ، فنهى صاحبه عن رميهما . وقوله : أولنا أي فسرنا بالعاقبة ، وانما اعتاق بضمرهما وزجرهما وتيمن بهما فصار عاقبة ، والعاقبة تدل على أن اللقاء قريب . فكأن التأويل هو الشيء الذي يرجع اليه الانسان من معنى التنزيه فيكون فيه نجاته من الشك والشبهة ، ويصير ملجأ وموئلا قد آل إليه .

والتأويل هو التفعيل من الأول ، يقال تأول أي تفعل من الأول كأن الناظر في الشيء والمتأول له يعتريه فيعرف حقيقة كيف كان أوله وإلى ما يعود آخره . قال عز وجل : ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ أي أوْله إلى مآله . . يدل على ان العواقب يعود الى الأوائل . قال عز وجل : ﴿كما بدأكم تعودون﴾[٣]والكلام في هذا يطول .[٤]

ويعرض القلهاتي لتأويل الآية الكريمة : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[٥]بقوله : بمعنى (استوى عليه بالملك والتدبير والقهر) وخص (العرش) بذلك تشريفا لذكره بالخصوص . . والعرب تقول استوى الخليفة على

---

(٢) سورة يوسف . آية ٣٦ .
(٣) سورة الأعراف . آية ٢٩ .
(٤) القلهاتي . الكشف والبيان . جـ ١ ،ص ٣٥-٣٥٢ .
(٥) سورة طه . آية ٥ .

ملكه واستوى فلان على ماله .

وعن ابن عبـاس ـ رضى الله عنـه ـ في قولـه تعالى : ﴿ثم استوى على العرش﴾[1] أي استولى ، وليس كون الشىء فوق الشىء عظمة وجلالا ، وانما العـظمـة والجـلال والقدرة أن يكون الشىء فوق الشىء عظمة وجلالا ، وانما العظمة والجلال والقدرة أن يكون فوق الاشياء بالقهر والسلطان والقدرة والغلبة والملك والتدبير . الا ترى لو ان واصفا وصف الامام والخليفة والملك بأنه فوق مملكته بالمسافة والحلول ، فكأنه وصفه فوق بيت أو على رأس جبل مرتفعا عليهم جميعـا ما كان واصفـا له بأمـر فيه تعـظيم وتبجيل ، ولو وصفه بها فيه التعظيم والتبجيل . . فإن سأل سائل فقال لم خلق الله العرش ولا حاجة له فيه في القرار والمكان بزعمكم ؟ . . قيل له : ان الله تعالى خلق العرش وتعبد بعض الملائكة بحمله وبعضهم بالطواف حوله ، والملائكة تحمل العرش ولا تحمل رب العالمين ، جل وعلا عن ذلك علوا كبيرا !!

والعرش قد يكون في لغة العرب السرير ، وقد يكون الملك ، وقد يكون السقف .

فإن قال قائل إذا كان له سرير فلابد أن يكون جالسا عليه ؟ قيل له : ان الله تعالى قد سمى مكة بيته فعلى قولك يكون ساكنا فيه . فإن زعم ان مكة بيته ولا يكون ساكنا فيه ، قيل له وكذلك له عرش وكرسي ولا يقال انه جالس عليه ، ولا سماء ويقال يستظل بها ، ومثله كثير . ومن قال إن عرشه ملكه ، واحتج بقول سوادة بن عدي في النعمان :

---

(١) سورة يونس . آية ٣ .

ظننت عرشك لا يزول ولا يحول ولا يغير

أي ملكك . وقال سعيد بن زائدة في النعمان :

قد نال عرشا لم ينله حائل انس ولا خلق ولا ديان[1]

ويتجلى معنى تأويل هذه الآية الى طرح القلهاتي تفسيرا لها بما يبتعد بها عن معنى التجسيم المادي بقدر ما يقترب بها من معنى القدرة . والقوة ، والملك الذي لا يتحيز أو يتحدد .

وقريب من هذا التفسير ، قول « الزمخشري » وهو ـ كما نعلم معتزلي ـ في تأويله لهذه الآية : « لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون (ملك) وان لم يقعد على السرير البتة ، وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ، مساواته (ملك) في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ، ونحوه قولك : (يد فلان مبسوطة) و (يد فلان مغلولة) ، بمعنى انه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت : حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه (يده مبسوطة) لمساواته عندهم قولهم : (هو جواد) ، ومنه قول الله عز وجل : **﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾** أي (هو بخيل) **﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾** أي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق الطعن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام » .[2]

(١) القلهاتي . الكشف والبيان جـ ١ ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(٢) الزمخشري . الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٧٢) مجلد ٢ ص ٥٣٠ .

منهج القلهاتي في التفسير :

ويسير القلهاتي على المنهج ذاته في تمهيده للتفسير لدلالة التفسير اللغوية والاصطلاحية ، قبل أن يواجه النص القرآني بتفسير آياته . يقول : « (والتفسير والفسر) واحد وهو بيان وتفصيل الكتب ، و (التفسرة) اسم البول الذي ينظر اليه الاطباء يستدل به على مرض البدن وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو يفسر به » .

وفي التفسير أيضا عن ابن عباس قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير يعلمه العلماء ، وتفسير يعرفه العرب ، وتفسير لا يعذر احد بجهالته ، وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل ، فمن ادعى علمه فهو كاذب . وعنه قال رسول الله ﷺ : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » .[1]

والقلهاتي يؤكد انه « لا يحل لأحد أن يفسر القرآن بغير معرفة ، وإذا لم يحرفه متعمدا فأرجو أنه لا يأثم إذا تأول على وجه اللغة والسنة ، ومن فسر القرآن بغير معرفة فعليه التوبة من ذلك » .[2]

ومما يدل على دقته المنهجية حرصه على الالتفات الى ما تشير اليه دلالة الكلمات من ظلال قريبة أو ظاهرة وباطنة . يسعفه في ذلك ثقافة لغوية . وحين نعرض لتفرقته بين التأويل والتفسير يتبع قوله بتقديم نماذج من التفاسير ، وهو في هذا العرض يكشف عن مذهبه فيقول مثلا : « الاستواء » في لغة العرب على معنيين : احدهما الجلوس على الشيء والممارسة له ، كما يستوى الفارس على فرسه والملك على سريره ، وهذه صفة من يستوى بعد ان كان مائلا ويعتدل بعد أن كان

(١) القلهاتي . الكشف والبيان جـ ١ ، ص ٣٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٥٣ .

زائلا ، والله سبحانه وتعالى منزه عن هذه الصفات ، والوجه الآخر لاستواء الملك هو القدرة والتدبير وهو معروف في لغة العرب . قال الشاعر :

قد استـوى بشر على العـراق

من غير سيف ودم مهـراق

فالحـمـد للمـهـيـمن الـرزاق

يعني بشر بن مروان ، واستواؤه هنا ملك . ولم يكن بشر جالسا على العراق كله وانما ملكه وقدر عليه . وهذا الذي عليه أهل الاستقامة ، وبه يقولون وعليه يعتمدون وهو الحق .[1]

ويقول القلهاتي في تفسير آيات من القرآن ، قوله عز وجل : ﴿**يخادعون الله وهو خادعهم**﴾[2]قيل قام مقام مخادعتهم بالعذاب عليها ، وكذلك استهزاء الله بهم ، وكذلك (سخر الله منهم) ، وكذلك يمكر الله ، وكل ما في القرآن من أشباه هذا فإنما هو من الله تعالى على المكافأة لا على ما في الناس ، وهو توسع ومجاز في معنى لغة العرب أن يسموا العقاب باسم الذنب الذي هو عقاب عليه . ومنه قوله عز وجل : ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾[3]والجزاء عدل ليس بسيئة فسمي باسم السيئة توسعا ومجازا ، وربما سموا الذنب باسم العقاب على التوسع كقوله تعالى : ﴿**والله يستهزىء بهم**﴾ .[4]

وقد جاء في بعض التفسير معنى (يستهزىء بهم) واشباهه أنه يفتح للكفار والمنافقين باب جهنم فيرون انهم يخرجون منها فيزدحمون للخروج فإذا انتهوا الى الباب ضربتهم الخزنة بمقامع النيران حتى يرجعوا وقال البعض : (استهزاء الله لهم) معناه (إهلاكهم وتدميرهم) وهذا معنى معروف في لغة العرب .

(١) القلهاتي . الكشف والبيان جـ ١ ،ص ١٧٧ .

(٢) سورة النساء . آية ١٤٢ .

قال عبيد :

سائل بنا حجر بن أم قطام إذا ظلت به السمر الذوابل تلعب

والسمر لا تلعب لأنها القنا واللعب قريب من الهزء ، وإنما معنى قوله : (تلعب بهم) يريد تقتلهم وتهلكهم .

فإن قال قائل ما معنى قوله عز وجل : ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾[1] و : ﴿لعلكم تتقون﴾ .[2] وكيف جاز الشك منه ، قيل له هذا منه جل ثناؤه عن الشك ، وانما هذا على المجاز . وكان ابن عباس يقول (لعله يتذكر) أي (يتعظ عندكم) . فلعل وعسى من الله واجبتان في القرآن . وفي أشعار العرب مثل ذلك ، قال ابن مقبل :

ظني بهم كيقيني وهم بتنوفة[3] يتنازعون جوائز الأمثال

أي يقيني منهم كيقيني ولم يرد ظني بهم كظن ،[4] وهو في ارتكازه على « المجاز » يقترب كثيرا من منهج « الزمخشري » .

وفي موضع آخر يقول « القلهاتي » الآيات التالية : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام﴾ ،[5] وقوله تعالى : ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ ،[6] ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ .[7]* و : ﴿وقدمنا إلى ما

---

(١) سورة طه . آية ٤٤ .

(٢) سورة البقرة . آية ٢١ ، ٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٣ - وسورة الأنعام . آية ١٥٣ .

(٣) التنوفة : الصحراء المهلكة .

(٤) القلهاتي . الكشف والبيان جـ ١ ، ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٥) سورة البقرة . آية ٢١٠ .

(٦) سورة النحل . آية ٢٦ .

(٧) سورة الحشر . آية ٢ .

(*) وتأويل الزمخشري لهذه الآية : « ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومّن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق » .
انظر : الكشاف جـ ٣ ، ص ٨٨ .

عملوا من عمل﴾ ،[1]و : ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ ،[2]فقال وكيف أخبر أنه يزول من مكان الى مكان ، قيل له المعنى في ذلك غير ما ذهب اليه وهو أنه جاء وأتى أمره وثوابه وحسابه وعذابه .

وكان ابن عباس يقول : ﴿وقدمنا الى ما عملوا﴾[3] أي عمدنا فذكر نفسه تعالى وهو يريد أمره . فقال : ﴿أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ وهو يعني أمره ، وكما قال : ﴿أفعصيت أمري﴾[4]والأمر لا يعصى وانما يعصى الآمر فذكر الآمر واراد الأمـر . وهذا في اللغة موجود كثير . وكذلك : ﴿جاء ربك والملك صفا صفا﴾ يعني جاء أمر ربك بالقضاء بين عباده والملك صفا صفا وهو ما ذكرناه انه يذكـر نفسه تعالى ويريد أمره على التوسع والمجاز لأنه لا يجوز في اللغة أن يقال (جاء الله بأمـره وأتى الله بأمـره) كما يقال (أتى الله بالخصب) ، وجاءنا الله بالخير ، فقال جاء الله وأتى ، وهو يعني أمره ، لأن الله تعالى قد دل بحجج العقول على انه ـ عز وجل ـ لا يجوز عليه المجيء والاتيان الذي هو اتيان من البعد الى القرب ، لأن البعد والقرب بالمسافة والانتقال من مكان إلى مكان إنما يجوز على الاجسام المحدودة ، والاجسام المحدودة لابد أن تكون محدثة .[5]

(١) سورة الفرقان . آية ٢٣ .
(٢) سورة الفجر . آية ٢٢ .
(٣) سورة الفرقان . آية ٢٣ .
(٤) سورة طه . آية ٩٣ .
(٥) القلهاتي . الكشف والبيان جـ ١ ،ص ٢٤٢-٢٤٣ .

ثانيا : منهج السيوطي في التأويل والتفسير :

هو الامام العالم جلال الدين السيوطي ، وهو جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين الخضيري الشافعي ، ولد في (رجب سنة ٨٤٩هـ أكتوبر ١٤٤٥م) بالقاهرة .

وينتهي نسبه الى أسرة فارسية ، كما حدث عن نفسه في كتابيه (طبقات المفسرين صفحة ٢١) ، و (حسن المحاضرة صفحة ٢٠٨ و ٢٠٩) .[١]وكانت هذه الاسرة تعيش قبل قدومها الى مصر في حي الخضيرية ـ محلة في بغداد ـ في الجانب الشرقي ، مجاورة لمشهد الامام أبي حنيفة والجامع ،[٢]واستقر بها المقام في أسيوط قبل مولد السيوطي بعشرة أجيال على الأقل ، وعلى الأرجح في زمن الايوبيين . وظلت أسرة السبوطي في أسيوط جيلا بعد جيل ، وظهر منها رجال كان لهم شأن كبير في المجتمع الاسيوطي ، منهم القاضي ، والمحتسب ، والتاجر ،[٣]والى الآن توجد أسرة كبيرة تسمى الجلاليين ، ومقرهم حي الخضيرية من أنحاء أسيوط ، ويعرف كل فرد منهم بالجلالي .

وقد تميز عصر السيوطي بلون من الاضطراب السياسي إلا أن الفترة التاريخية التي واكبت حياته من الناحية العلمية تميزت بالازدهار فقد حفلت بكثير من العلماء والأعلام في مختلف فنون المعرفة .

وظاهرة التقدم العلمي والأدبي في عصر التخلف السياسي ليست شيئا غريبا فإن الذي يستقرىء فترة ضعف الدولة العباسية بعد سقوط بغداد تحت سنابك خيول

---

(١) السيوطي . حسن المحاضرة (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٦٨) جـ١ ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .
(٢) ياقوت . معجم البلدان (دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ١٩٧٩) جـ٣ ، ص ١١٢ .
(٣) ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب جـ٧ ، ص ٢٨٤ .

الغزاة البويهيين يجد أن سوق الأدب من شعر ونثر وفكر كانت رائجة مزدهرة ، ففي تلك الفترة ظهر المتنبي وأبو فراس ، والشريف الرضي ، وفي النثر ظهر ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وابو بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني ، وأبو حيان التوحيدي ، ومسكويه ، والفارابي ، وجماعة اخوان الصفا ، وغيرهم .

واذاً فليس من الضروري أن يواكب التقهقر السياسي تخلف ثقافي ، فقد يكون العكس هو الصحيح ، فكما حدث ذلك إبان انحلال الخلافة العباسية ، حدث في فترة الاهتزاز السياسي المملوكي شيء من ذلك ، وبخاصة فترة حياة السيوطي ، ودليل ذلك ظهور الموسوعات العربية في التاريخ والأدب ، واللغة ، والبلدان ، والرحلات وما اليها . . حتى أصبح هذا العصر يسمى عصر المجاميع والموسوعات وأشهر هؤلاء العلماء الموسوعيين النويري (ت ٧٣٢هـ) ، وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٨هـ) ، والسيوطي (ت ٩١١هـ) الذي جاء في آخر هذا العصر ، وكان اعظمهم همة ، وأكثرهم نشاطا وانتاجا .[1]

التأويل والتفسير :

ويتبع « السيوطي » نهج علماء عصره ، ومن سبقه ، من حيث الحرص على ضبط المصطلح ، وهكذا يعكس الروح العلمية التي كانت لدى القدماء ، ومدى التزامهم بروح المنهج العلمي . ففي كتاب « الاتقان في علوم القرآن » يفرق السيوطي بين التفسير والتأويل ـ على نحو ما سبق أن لاحظنا صنيع القلهاتي ـ يقول : « التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف . ويقال هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مأخوذ من التفسرة . وهي اسم لما يعرّف به الطبيب المرض » .

---

(١) د. عبد الخالق محمود عبد الخالق . جلال الدين السيوطي والتصوف الاسلامي مع تحقيق رسالتي : قمع المعارض في نصرة ابن الفارض وتنبئة الغبي بتبرئة ابن العربي (القاهرة ١٩٨٧) ص ٧ـ٨ ، ١٣ـ١٤ .

والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية إلى ما تحمله من المعاني . وقيل من الايالة وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى في موضعه .

واختلف في التفسير والتأويل . فقال أبو عبيدة وطائفة : هما بمعنى . وقد أنكر ذلك قوم . . وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الالفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية . والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها .

وقال غيره : التفسير لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا . والتأويل توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

وقال ابو طالب الثعلبي : التفسير بيات وضع اللفظ اما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر ، والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير اخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله تعالى : ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾[1] تفسير أنه من الرصد يقال رصدته رقبته والمرصاد (مفعال) منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الاهبة والاستعداد للعرض عليه ، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة

وقال الأصبهاني في تفسيره اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره ، وبحسب المعنى الظاهر وغيره ، والتأويل أكثره في الجمل والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة ، أو في وجيز تبيين لشرح نحو : ﴿**أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ ،[2] وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا

(١) سورة الفجر . آية ١٤ .

(٢) سورة البقرة . آية ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ .

بمعرفتها كقوله : ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾[1]وقوله : ﴿وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ .[1]

أما التأويل فإنه يستعمل مرة عاما ، ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة . . وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة ، والوجد والوجود .[3]

ومعلوم أن أهل السنة ـ ولا ننسى أنه شافعي ـ يرون ربهم يوم القيامة ، ولكن ليس بالقوة الموضوعة في العين ، بل بقوة أخرى موهوبة من الله ، وهم يبنون اعتقادهم هذا على ما جاء في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾ .[4]والمؤمنون يحظون برؤيته تعالى حسب الوعد الكريم . . فأهل السنة يقولون بوجوب الرؤية يوم القيامة شرعا ، ولا يقرون بجوازها في الدنيا ، وقد اختلف الصحابة في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة الاسراء ؟ والمختار عند أكثرهم أنه رآه .

ونلاحظ هنا أن القلهاتي والمعتزلة[5] قد أجمعوا على إنكار رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار . فيقول القلهاتي : « قال أهل التفسير ، منهم ابن عباس وابو صالح والضحاك والحسين ومجاهد قالوا : ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أي (حسنة مشرقة مستبشرة بثواب ربها) . ﴿إلى ربها ناظرة﴾ ، أي منتظرة ما يأتيها من خيره

(١) سورة التوبة . آية ٣٧ .
(٢) سورة البقرة . آية ١٨٩ .
(٣) السيوطي . الاتقان في علوم القرآن (مكتبة مصطفى البانبي الحلبي . الطبعة الثالثة مصر ١٩٥١) جـ ٢ ، ص ١٧٣ .
(٤) سورة القيامة . آية ٢٢ ، ٢٣ .
(٥) زهدي جار الله . المعتزلة (يافا ١٩٤٧) ص ٧٩-٨٠ .

وإحسانه ، وهو معروف في القرآن ولغة العرب » .[1]

وإذا كان أهل السنة يقولون بوجوب الرؤية ـ ولا ننسى أن السيوطي شافعي المذهب ـ فإن القلهاتي يختلف في نظرته عنه فهو يقول : « وأما نظر الجهرُ فهو معاينة الشيء ورؤيته والادراك له والاحاطة به وذلك عن الله منفي . وأما نظر الله تبارك وتعالى خلقه فهو على معنيين .

أحدهما مشاهدته إياهم بأنهم لا يخفون عليه ولا يغيبون عنه الا على المعنى الذي يتوهمونه من أنفسهم .

والمعنى الثاني من النظر هو النظر هو الرأفة والرحمة والصلة والعائدة » .[2]

من خلال دراستنا لجوانب من آراء القلهاتي والسيوطي نود أن نشير الى أننا عندما أطلقنا مصطلح (المدرسة العمانية والمدرسة المصرية) ، إنما نعني الاتجاه الفكري العام الذي يميز كلا من القلهاتي والسيوطي ، كما أن هذا التناول يستظل بالوعي التاريخي ، وأرجو أن نفهم معنى الوعي التاريخي هنا أنه تاريخ الأفكار ، ومعنى ذلك أن هذه الدراسة هي في التحليل الأخير دراسة للمنهج الفكري لدى مفكري الاسلام وجهودهم في مشكل المصطلح ، كما نود أن نؤكد مرة أخرى ما سبق أن أشرنا إليه في فاتحة هذه الدراسة من طابع الوحدة الجغرافية التي تميز أرجاء العالم الاسلامي ، وهذه الوحدة لم تمنع تميز أقاليم هذا العالم بخصوصية فكرية تميزه عن غيره ، وهذه الخصوصية اكتسبت أصالتها من مبدأ من المبادىء الاسلامية ، التي أرست الدعوة الاسلامية ركائزها وأعني به الاجتهاد .

---

(١) القلهاتي . الكشف والبيان . جـ ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٢) المصدر نفسه . ص ١٥٣ .

تعقيب الشيخ أحمد بن سعود السيابي

مدير عام الشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية

علـــى

« موقف المدرسة المصرية والمدرسة العمانية »

قراءة في منهج التفسير والتأويل بين السيوطي والقلهاتي

للدكتوره امال محمد حسن خليل

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد ، فإنه ، باديء ذي بدء لا يسعني إلا أن أشكر الدكتورة الفاضلة آمـال محمـد حسن خليل مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية البنات بجامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية ، على الجهد المشكور الذي بذلته في اعداد هذا البحث القيم الذي أوضحت فيه جانبا مهما من فكر علمين من أعلام الاسلام وامامين جليلين هما جلال الدين السيوطي المصري وابو سعيد القلهاتي العماني ، حيث جاء هذا البحث مكونا من ٢٦ صفحة بالاضافة الى المقدمة ، وهو يتكون من مقـدمـة للبحث وقد بينت فيها ان المشتغل بالتاريخ بامكانه الاستفادة من معطيات الحضارة الاسلامية بجميع فنونها القولية في فهم احداث الماضي وبررت فيها اختيارها لتناول شكل التأويل والتفسير لدى القلهاتي والسيوطي .

ثم في بداية البحث أوردت بالحاح كثير حقيقة التفسير والتأويل في اللغة والاصطلاح ، فذكرت أولا ما هو التفسير ، حيث نقلت معناه في اللغة والمصطلح عن العديد من المصادر المختصة . وعملت نفس ذلك وبصورة أوسع وبالحاح أكبر في بيان التأويل وحقيقته ومعناه اللغوي والاصطلاحي ، فقد اعتمدت على كثير من علماء اللغة والتفسير في تعريف التأويل لغة واصطلاحا .

وبعد ذلك دخلت الباحثة الفاضلة في صلب الموضوع للبحث الا وهو منهج القلهاتي والسيوطي في التفسير والتأويل ، حيث أوردت :

أولا : منهج القلهاتي في التفسير والتأويل .

ثانيا : منهج السيوطي في التفسير والتأويل .

فقد بينت جانبا من حياة القلهاتي وما هو عليه من منزلة علمية كبيرة والمامه بعلوم مختلفـة متنوعة ، كما اوضحت الباحثة اسلوب القلهاتي في التاريخ مقارنة

بذلك بينه وبين غيره من سائر المؤرخين .

وذكـرت الحيدة والموضوعية اللتين يتحلى بهما القلهاتي ، ثم استطردت في النقل عن القلهاتي من كتابه القيـم الكشف والبيان عما دونه حول التأويل والتفسير واستشهاداته حول ذلك .

وعن الامام السيوطي فقد أوردت الباحثة جانبا من حياته واسرته والعصر الذي عاش فيه ، وساقت أقوال الامام السيوطي فيما يراه حول التأويل والتفسير واستشهاداته على ذلك .

وقـد اعجبت بما قالتـه في مقدمة بحثها بعد أن ذكرت الامامين القلهاتي والسيوطي حيث قالت « والتعـرف هذا في تأويلهما لامثلة من قضايا التوحيد في محاولة لالقاء الضوء على مدى ما تمتعت به الحضارة الاسلامية من سماحة وسعة افق حيث قدمت المثال والنموذج لحرية الفكر والاجتهاد ووصولا للحقيقة التي هي هدف الباحث » الى أن قالت « هذا المفهوم من التآخي الروحي ذوب الفوارق أو الحدود الجغرافية وصهر فكر العالم الاسلامي في بوتقة واحدة هي نتاج لحضارة اسلامية » .

ولا اخفي اعجابي باستنتاجها لظاهرة الازدهار العلمي في عصور التخلف السياسي حيث قالت بعد أن اشارت الى الاضطراب السياسي في عصر السيوطي « وظاهرة التقدم العلمي والادبي في عصر التخلف السياسي ليست شيئا غريبا فإن الذي يستقرىء فترة ضعف الدولة العباسية بعد سقوط بغداد تحت سنابك خيول الغزاة البويهيين يجد أن سوق الأدب من شعر ونثر وفكر كانت رائجة مزدهرة » .

وقد أكدت في آخر بحثها على طابع الوحدة الجغرافية للعالم الاسلامي بقول (الحيد) « وهذه الوحدة لم تمنع تميز أقاليم هذا العالم بخصوصية فكرية تميزه عن

غيره ، وهذه الخصوصية اكتسبت أصالتها من مبدأ من المبادىء الاسلامية التي ارست الدعوة الاسلامية ركائزها واعني به الاجتهاد » .

الملاحظـات

بيد أن لنا بعض الملاحظات على هذا البحث القيم :

الملاحظة الأولى :

أوردت الباحثة زخما كبيرا جدا فيما يتعلق بتعريف التأويل والتفسير فهي أوردت في اثني عشرة (١٢) صفحـة ، وفي ظني أن هذا لا يتنـاسب مع حجم البحث ، فمثل هذا الاستطراد في التعريف ربما يصلح لكتاب في هذا الموضوع وليس لبحث مختصر .

الملاحظة الثانية :

ذكـرت البـاحثـة في الصفحة الأولى من مقدمة البحث وفي ص ١٣ ان القلهاتي عاش قي القرن الرابع الهجري ، والصحيح أنه عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري فهومعاصر للشيخ عثمان بن أبي عبدالله الاصم وينقل عن صاحب الضياء في القرن السادس ، ولاشك ان الباحثة اعتمدت في ذلك على الـدكتوره/ سيدة اسماعيل كاشف في ترجمتها للشيخ القلهاتي في مقدمة تحقيقها لكتاب الكشف والبيان .

على أن الدكتوره كاشف ظنت الكلام الوارد في تعذيب أطفال المشركين في الجزء الثاني من الكشف والبيان انه عن القلهاتي ، وفي الواقع ان القلهاتي كان ناقلا ذلك الكلام عن ابي محمد بن بركة ، فقد صدر الكلام في ذلك الفصل بقوله قال أبو محمد .

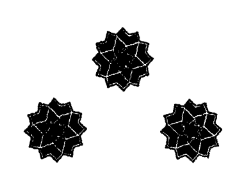
وان ابا محمد هو الذي كان يناظر الامام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب وليس القلهاتي . ويتضح العصر الذي حددناه بأنه قد عاش فيه الشيخ القلهاتي من شرح المقامة الكلوية وهي مخطوطة بوزارة التراث القومي والثقافة .

الملاحظة الثالثة :

لست أدري لماذا اقحمت الباحثة موضوع الرؤية وطرحته كسمة مميزة لفكر الامـامـين السيوطي والقلهـاتي ، مع ان الامـامين المذكورين مختلفان فيه نظرا لاختلاف مذهبيهما مع ان هناك الكثير من الاتفاق في الفكر بينهما .

وعلى كل حال لابد من أعود فأقول بأن اختيار الباحثة للامامين الجليلين القلهـاتي والسيوطي للمقـارنة الفكرية هو اختيار موفق فالقارىء العماني يعرف الجلال السيوطي كما يعرف العلامة القلهاتي ، وهكذا بالنسبة الى القارىء العربي بصفة عامة .

وشكراً لكم والسلام عليكم .



المناقشات والمداخلات

● أ. د. عبدالرحمن الصالحي

جاءت مداخلة الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الصالحي تعقيبا على ما أخذه المعقب على البحث من اطالة واسهاب ، قال الصالحي ذاكرا وجهة نظره بايجاز : « كان الصواب مع الاستاذه الباحثة فيما لجأت اليه من اطالة لدى عرضها لمفهوم (التـأويل والتفسـير) » معللا وجهة نظره بقوله : « لأن بيننا المتخصص الذي يعـرف ويبحث عن المزيد والمزيد ، وغير المتخصص الذي يتطلع إلى أن يعلم ويفهم ، وهناك من كان أو يكون بحاجة ماسة إلى ايضاح الفرق بين (التأويل والتفسير) ، وفي ذلك كله اثراء للفكر » .

● الاستاذ عبدالتواب يوسف

في مداخلته أثار الاستاذ عبدالتواب يوسف العديد من النقاط الجوهرية ، يمكن ايجازها بما يلي :

١ ـ تشجيع الـدراسـات والبحـوث التي تتنـاول العلماء في كلا البلدين الشقيقين ، بما يعمق ايماننا بالدين ويزيدنا صلة وثيقة به .

٢ ـ « ان الباحثة وضعت يدها على موضوع ثري يستحب البحث فيه ، خاصة انه يقع في مجالي التفسير والتأويل » .

مشيرا إلى « أننا لسنا من أنصار توسيع الهوة بين المجتهدين في الدراسات الاسلامية والمذاهب » .

موضحا : « انه اسلام واحد وجد قبل المذاهب ، ومن بعدها ، وسيبقى ـ باذن الله ـ إلى أن تنتهي الحياة على هذه الأرض ، لذلك أحببت هذه الضفيرة

الجميلة ما بين هذين العالمين الجليلين » .

٣ ـ وجاءت ملاحظة الاستاذ عبدالتواب يوسف الثالثة لنؤكد حاجتنا إلى مشاركة المرأة في الندوات والمحافل العلمية ، لتدلي بدلوها وقال : « نحن نفتقر بشدة الى مشاركة نصف المجتمع لنا في عملنا من أجل اعلاء كلمة الاسلام والعروبة ، لأن مجتمعا يحرم من نصفه هو مجتمع أعرج » .

● **سالم بن محمد العبري**

وتأتي مداخلة الاستاذ الباحث سالم بن محمد العبري المستشار بوزارة الاعلام لتؤكد على أهمية دور المرأة في المشاركة في المحافل والمناشط الثقافية ، ويمكننا أن نستشف من خلال مداخلته الأمور التالية :

١ ـ الثناء على ورقة البحث معللا ذلك بقوله : « اننا بحاجة إلى مثل هذه الدراسات التي تلامس عمق الفكر ، كما اننا بحاجة إلى اثراء الجوانب الفكرية التي تدعم روابط الأخوة بيننا وتقرب الأسرة من بعضها البعض ، وتزيد المجتمع ترابطا وتلاحما ، وتوضح اننا في بوتقة واحدة » .

٢ ـ وفي ملاحظته الثانية أعرب عن أمله في « أن يتوسع البحث في القضايا الفكرية بعمق وشمولية ، بعيدا عن التركيز على جوانب الاختلاف فقط ، وكم كنا نتمنى أن يشمل التناول الجاد والمركز أيضا جوانب الاتفاق ، وان مثل هذه الدراسة توضح كثيرا من نقاط التفاوت » .

٣ ـ « ان الباحثة وصفت القلهاتي (بالالمام) ، فماذا تقصد ؟ هل تقصد أنه عالم ؟ وفي اعتقادي انه عالم وملم » .

● **سعيد الهاشمي**

وتوقف الباحث سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس عند العديد من النقاط ، ويمكن ايجازها بالتالي :

١ ـ ان الباحثة ذكرت « ان كلا من القلهاتي والسيوطي يمثلان المدرسة العمانية والمصرية » .

ورأي الهاشمي « ان القلهاتي يمثل المدرسة العمانية ، بينما لا يمثل السيوطي المدرسة المصرية لأن هنالك مذاهب وآراء تخالف مذهب السيوطي ، وانه لا يخفى على أحد ان السيوطي شافعي المذهب ، والمدرسة المصرية تمثلها المذاهب الأربعة » متسائلا « كيف تسنى ذلك ؟ » مطالبا الاستاذة الباحثة بالتوضيح .

٢ ـ « مسألة الرؤية ليست ركنا من أركان الاسلام على الرغم أن بعض المذاهب يكفرون من يؤمن بالرؤية » موجها سؤاله إلى الاستاذة الباحثة « فهل أوضحتم لنا وجهة نظر السيوطي ؟ وهل السيوطي يمثل المذهب الشافعي ؟ » .

● **د . عبدالله شحاته**

أما الدكتور عبدالله شحاته من جامعة السلطان قابوس فإنه توقف في مداخلته طويلا عند المعاني الكريمة في القرآن الكريم ، والمبادىء الانسانية التي نادى بها الاسلام ومازالت تنادي بها الشريعة السمحاء مفتتحا مداخلته بالدعوة إلى الاهتمام بمثل هذه الدراسات .

على المداخلات والمناقشات التي دارت حول ورقة بحثها انبرت الدكتورة آمال محمد حسن مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية البنات ـ جامعة عين شمس ـ لترد على تساؤلات المتسائلين ، ولتفك لغز العديد من علامات الاستفهام والتوضيح إلى جانب كلمات الاطراء والثناء التي حيكت حول البحث .

بادىء ذي بدء عبرت عن شكرها الجزيل للشيخ أحمد بن سعود السيابي مدير عام الشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية وقالت : « أما فيما يتعلق بملاحظاته على البحث فإنه يمكن تلخيص ما جاء في تعقيبه في نقاط ثلاثة هي » :

١ ـ الأولى تتعلق بالمقدمة ، وما جاء في التعقيب عليها « ان الباحثة قامت بتعريف التأويل والتفسير في اثنتي عشرة صفحة » وقالت معقبة على عبارة الشيخ أحمد بن سعود السيابي : « لقد قصدت ذلك لأن مفهوم هذا المصطلح تناوله الكثيرون من الفقهاء ، وعلماء اللغة ، ومن بينهم السيوطي والقلهاتي ، ولم أحب أن أكرر ـ عندما أتحدث عنهما ـ نفس الكلام ، فجعلت ذلك في الحديث عنهما في المقدمة » .

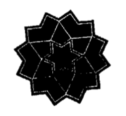
٢ ـ النقطة الثانية جاءت لتوضح ما تناوله التعقيب فيما يتعلق بترجمة حياة القلهاتي ، وقالت موضحة هذه النقطة :

« لما لم أجد في العديد من التراجم والمصادر التي كانت بين يدي شيئا يذكر على حياة القلهاتي ، وجدتني أعتمد على كتاب (الكشف والبيان) تحقيق الاستاذه الدكتوره سيدة كاشف .

معربة عن اتفاقها مع المعقب فيما يتعلق بالمعلومة التاريخية التي تناولت القرن الذي عاش فيه القلهاتي وقالت : « اتفق مع الشيخ أحمد بن سعود السيابي وأشكره على تصحيح المعلومة ، وأعده بأنني سوف أقوم بتصحيحها » .

٣ ـ الملاحظة الثالثة تدور حول الآية الكريمة ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ﴾ ومما جاء في تعليق الاستاذة الباحثة على هذه الملاحظة : « وبما انهم اتفقوا في الكثير ، واختلفوا في القليل ، كان لابد من الاشارة إلى هذا الاختلاف وخاصة أن الأبحاث المقارنة لابد فيها من الاختلاف والاتفاق في وجهات النظر ، وكما قيل : الاختلاف لا يفسد للود قضية » .

وفي ختام ردها توجهت الدكتورة آمال محمد حسن بالشكر لكل من الاساتذة : الدكتور عبدالرحمن الصالحي وعبدالتواب يوسف وعبدالله شحاته لملاحظاتهم القيمة ، كما وعدت الاستاذ الباحث سالم بن محمد العبري بأن تبذل جهدها للتوسع في البحث ، موجهة الخطاب إلى الباحث سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس بأن السيوطي شافعي والبحث مقارنة بين السنة والاباضية .



فنون العمارة في مصر

وعمان من حيث التشابه والاختلاف

المهندس

سعيد بن محمد الصقلاوي الجنيبي

تقـــديم

حينما وجهت لي الدعوة من قبل وزارة التراث القومي والثقافة (ممثلة في المنتـدى الأدبي) للمشـاركـة في ندوة العـلاقات المصرية العمانية بالبحث حول « الفنون المعمارية من حيث التشابه والاختلاف » بدت مهمة القبول بها أمرا ليست فيه من الصعوبة والمشقة الشيء الكثير ، ولكن منذ وضع برنامجها وتخطيط مسارها بدت تتصاعد صعوبتها أمام الكم من الأبحاث والآراء المتفقة والمتناقضة والمستندة على رؤى علمية ومسببات تقنية في العمارة الاسلامية بحيث تقف مشدوها من جهة ومشدودا اليها من جهة أخرى فلا تجد منفذا أمامك الا المثل الشعري « من يركب البحر لا يخشى من الغرق » .

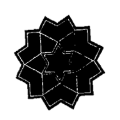
وبـدت عملية البحث عن العـمارة المصرية في المراجع التاريخية أيسر من عملية البحث عن العـمارة العـمانية وعن مكوناتها ذلك لتيسر المراجع في الأولى ونـدرتهـا في الثـانية وبالتالي سوف تقطع دربا وعرا وشاقا برغم محاولة المسؤولين المشكورة لتذليل الصعوبات وتيسير المهمة .

ولقـد وضعت برنـامجا حافلا وغنيا للتحدث عن العمارة العمانية على وجه الخصـوص . الا أن الأسباب المذكورة آنفا دعتني الى اعادة تخطيط البرنامج بما يخفف مشقة السير في فضائه ، ولذا آثرت أن تكون الدراسة بالاضافة الى التمهيد متضمنة مناقشة حول التشابه والاختلاف في العناصر المعمارية في كل من مصر وعمان ، ثم العوامل المؤثرة على العمارة في البلدين واشتمل هذا المحور على ثلاث جزئيات ، تنـاولت العـامـل الفكري والحضاري ، والعامل الحاجي ، وكذلك العامل البيئي والانشائي .

ثم الخاتمة التي شرحت فيها أهمية المضامين المختلفة التي ناقشتها في سياق الدراسة .

وإذا كان لابد من اشارة في هذا المقام فإن توفير المعلومات حول الموضوعات المعمارية والحضارية وغيرها سوف يخدم الى حد بعيد طموح وتطلعات الأجيال ، ويساعد على التمكن من اجراء الدراسات والأبحاث ، بما يعود بالنفع على عمان في مسيرتها المباركة ويبرز دورها الحضاري والتاريخي على مر العصور .

والله ولي التوفيق . .



تمهيــد :

تلتقي عمان ومصر في كثير من نقاط الالتقاء وتفترقان أيضا في كثير منها وأيا كان الالتقاء أو الافتراق فإن لكل منهما دواعيه ومسبباته ترتبت عليها نتائج أثرت في الصبغة الحضارية التي اصطبغ بها كل مجتمع ، وقد دل على ذلك كثير من الشواهد التاريخية المكتشفة حتى الآن .

فمسمى مصر وإن اختلفت التفاسير في أصل تسميته إلا أنه يعني البلاد فالمصر هي البلد ،[1] وكـذلك عمان فهي من الناحية اللغوية تعني نفس المفهوم ويقال أعمن الرجل بمعنى ذهب الى عمان .[2]

وهذا التفسير يقودنا الى أن الدلالة في مسمى البلدين دلالة مكانية تشير الى الثبات والاستقرار الذي شجع بدوره على نشوء التجمعات السكانية فيهما .

وتشـير المـراجع التاريخية إلى أن ثمة تجمعات متعاقبة استمرت في هذين البلدين وخلفت وراءها شواهد تدل على حضارتها التي ازدهرت ثم توارت في غفلة من الزمن .

وتعاقبت على عمان حضارات متعددة من السومرية ، كما تشير الألواح ،[3] إلى الأشـورية ،[4] فضلا عن الفينيقية[5] والكلدانية[6] والفارسية[7] ومرت عليها

---

(١) انظر القاموس المحيط .
(٢) نفس المصدر .
(٣) انظر عمان وتاريخها البحري .
(٤) عمان ونهضتها الحديثة .
(٥) تاريخ عمان .
(٦) عمان عبر التاريخ .
(٧) عمان وتاريخها البحري .

حضـارات كالاغـريقية[٨] وحاولت أخرى الاتصال بها كالرومانية[٩] ثم الحضارة الاكسـومية التي نشأت في القرن الرابع الميلادي ، وأتاحت وضعا طيبا للتجارة العـمانـية ، ولـلتـجـار كي يتصلوا بمختلف الشعـوب في مصر والسـودان وافريقيا[١٠]،[١١] ، وجاء الأزد الى عمان ليفتحوا فصلا جديدا في حضارتها ، تعانق مختلف الحضارات على وجه البسيطة .[١٢]

وكـما تعـاقبت الحضـارات المختلفة على عمان تعاقبت على مصر أيضا ، واختلطت الحضارة المصرية الفرعونية بالحضارات المختلفة من يونانية ، وفارسية ، وأشورية ورومانية ، وغيرها ، كما احتضنت مصر قبل الاسلام تدفق الهجرات العربية خاصة من جنوب الجزيرة .

وهذا التعاقب الحضاري شكل حضارة البلدين وطرزها بسمات تدل على خصوصية كل منها وجعل الانفتاح على العالم أكثر سهولة ويسرا ، مما خلق قنوات اتصـال اختلفت اتجاهاتها في كل من البلدين ، ففي حين كانت مصر تركز في اتصالها بالعالم على الغرب بسبب موقعها كانت ـ عمان ـ أيضا ولنفس السبب تتجه نحو الشرق وغربا نحو افريقيا ، وكان تلامسها مع الحضارات الغربية أقل بكثير عما عليه الوضع بالنسبة لمصر ، ولذا نجد أن التجمعات الحضارية في عمان كانت تقيم علاقات وطيدة مع بلاد الرافدين ،[١٣] ومع فارس[١٤] وحضارة كولي وحضارة

---

(٨) عمان تاريخ يتكلم .
(٩) حصاد ندوة الدراسات العمانية جـ ٤ .
(١٠) نفس المصدر .
(١١) عمان وتاريخها البحري .
(١٢) تحفة الأعيان جـ ١ .
(١٣) عمان ونهضتها الحديثة .
(١٤) عمان وتاريخها البحري .

ملوخـة التي يعتقـد المؤرخـون بأنها تقـع في السـاحـل الغـربي لشبـه القـارة الهنـدية ،[١٥] ومـع حضـارات في سيلان وحضـارة بونت وغيرها من الحضارات القائمة في ذلك التاريخ .

وكذلك الوضع بالنسبة لمصر التي كان اتجاه اتصالها بالغرب بسبب موقعها الاسـتراتيجي ، وكـذلك بسبب وقوعها أيضا تحت احتلال القوى التي خلفت حضـارات مزدهـرة على أرض مصر خاصة الحضارتين (اليونانية ، والرومانية) وهـذا مما لا شك فيه أثـر في كثير من المعطيات والمفاهيم ، والقيم التي ظهرت ملامحها في العمارة المصرية[١٦] فأظهرت مقدار الفخامة والرخاء .

ومما لا شك فيه أن الاتصال بالشعوب والحضارات أثر الى حد بعيد خاصة بالنسبـة للتجـارة العـمانية التي ازدادت نشاطا ، باهرا حدا بالمؤرخين اليونانيين كهيرودوتس وثيوفراست تلميذ أرسطو أن يشيدا بالعمانيين كتجار يركبون البحر ، ومحـاربـين وزراع[١٧] ويبـدو أن هذا الاعجـاب يمتـد الى كتـاب القـرن الأول الميلادي ، ومنهم ستـارابـون ، فيذكـر رخـاء عمان وأهلهـا ، ويصف أوانيهم المذهبة ، وجدران وأبواب وأسقف مساكنهم المكسوة بالفسيفساء الذهبية والعاجية المزدانة بالحجارة الكريمة ،[١٨] وصحيح أن الاكتشافات الأثرية حتى الآن لم تظهر لنـا أي شواهـد تشـير الى ما ذكر ، إلا أن بطليموس لم يفته أن يدرج عمان في أطلسه ، ويشير اليها بالاسم .[١٩]

---

(١٥) عمان ونهضتها الحديثة .
(١٦) تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى .
(١٧) الجزيرة العربية .
(١٨) الجزيرة العربية .
(١٩) عمان ونهضتها الحديثة .

ثم اسـطورة تشيع في التراث الفلكلوري العماني تقضي بأن فرعون مصر عماني ـ وتعني أن أحـد ملوك الفراعنة عماني ـ وتحدد أيضا البلدة التي هاجر منها وتدعى (فرق) ، في داخلية عمان ، وعلى أي حال فإننا لن ننساق وراء صحة هذه الاسطورة أو بطلانها ، الا أنها اشارة من قريب أو بعيد الى أن ثمة ترابطا وجدانيا بين الحضارة العمانية ، والحضارة المصرية ، وبين الانسان في عمان والانسان في مصر .

والغـريب أن بعض المؤرخين يقولون (بأن هجرة وفدت من جنوب شبه الجزيرة العربية هي التي جاءت بالأسرات التي حكمت مصر)[٢٠]وهو ما يشكل تقاربا مع منطوق الاسطورة .

ان الروابط بين عمان ومصر قديمة ، حضارية ، ضاربة في عمق الزمن تمتد الى الألف الثانية قبل الميلاد ،[٢١]حيث كانت التجارة أهم وسيلة نقلت من خلالها المفـاهيم الحضارية ، بالاضافة الى السلع الاحتياجية كالأخشاب ، والفضة ، والنحاس ، وأشجار المر ، والبخور وغيرها ،[٢٢]وتوجد كثير من الوثائق المصرية الدالة على هذا الارتباط الحميم حتى انه أصبح من الممكن اجمال أهم الرحلات التجارية التي تمت بين عمان ومصر ، وحصرها في حدود ـ ١١ رحلة ـ بدءا من ٢٥٩٠ق.م ، وحتى ١١٦٠ ق.م[٢٣]وهذه هي الرحلات الرسمية فقط .

وهذا التلاحق في الحضارة القديمة لا شك قد طبع نفسه على كثير من نتاج الحضارة في عمان ومصر فمثلا مفهوم البعث قد كشفت عنها الآثار العمانية في منطقة

---

(٢٠) نفس المصدر .
(٢١) انظر حصاد الدراسات العمانية جـ ٤ .
(٢٢) نفس المرجع .
(٢٣) نفس المصدر .

بات بعبري ،[٢٤] حيث وجدت القبور ذات الشكل القمعي . إذا جاز لنا التعبير علما بأن بعض البلاد تسميها القبور التلية ،[٢٥] وهي عبارة عن خلية نحل مقسمة الى حجرات متعددة يدفن فيها الموتى مع أشيائهم ، إيمانا بأنهم بحاجة اليها في الآخرة ، وهو معتقد ارتبطت به الديانة المصرية القديمة .

علما بأن عمان كان يوجد لها إله خاص يدعى نندولا ،[٢٦] بينما يعتبر الفرعون نفسه إلهاً ، ولقد وجد في بلاد النوبة شبيها لهذه القبور .[٢٧]

كما يظهر التأثير العماني على الحضارة المصرية القديمة في عدة جوانب منها أن يد سكين مصنوعة من العاج قد وجدت في جنوب مصر ـ تظهر عليها نقوش توضح التأثيرات العمانية ـ[٢٨] ثم ان النقوش التي أمرت بها الملكة حتشبسوت تخليدا للرحلة الى ظفار قد وضحت أشجار الصمغ والمر وغيرها .[٢٩]

ويبدو أن استقرار المد الاتصالي بين البلدين تلاحق في فتراته المختلفة ، ففي العصر الاسلامي اتخذ العمانيون الذين قدموا مع عمرو بن العاص مصر مقرا وموطنا ثم تولى بنو المهلب[٣٠] ،[٣١] ولاية مصر للعباسيين ، وشاركوا في حملة الفاطميين عليها ، وكان شاعرهم ابن هانىء الأندلسي ،[٣٢] وهو شاعر عماني من الذين انحدروا من نسل المهلب بن أبي صفرة ، كما تولت الشخصيات المتعاقبة

(٢٤) تراثنا .
(٢٥) حصاد ندوة الدراسات جـ ٤ .
(٢٦) انظر تاريخ عمان .
(٢٧) حصاد ندوة الدراسات العمانية جـ ٤ .
(٢٨) نفس المصدر .
(٢٩) نفس المصدر .
(٣٠) تاريخ آل المهلب .
(٣١) ابن الاثير ـ الكامل .
(٣٢) ابن هانىء الأندلسي

من أبناء المهلب أيضا مواقع مختلفة في الفقه والقضاء .[٣٣]

ومنهم من تصدر الشعر حتى أصبح أشهر شاعر في الدولة الايوبية كالبهاء زهير وغيرهم .[٣٤]

وحتى في القرن السابع عشر كان الاتصال الحضاري أيام العثمانيين قائما فضلا عن بداية القرن العشرين ، حيث زار السيد خليفة بن حارب سلطان زنجبار ـ مصر ـ[٣٥] وكذلك السلطان سعيد بن تيمور في الأربعينات ، وصلى في الحسين بمعية ملك مصر

فضلا عن الاتصال الثقافي من خلال المجلات المصرية التي كانت تأتي الى عمان في الاربعينات والخمسينات كمجلة المصور والاثنين والرسالة وغيرها .

ومما لا شك فيه أن جوانب هذا الاتصال عاد على البلدين بمردود خير سواء من الناحية الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية .

وانعكس تأثير هذا الاتصال على مفاهيم التحضر والتشييد والبناء ، غير أن عمان ظلت مشدودة أكثر الى التمسك بعاداتها ، وتراثها ، وكان تأثير الحضارات الوافدة طفيفا ، أما في مصر فكان تأثير التيارات الوافدة أكثر انتشارا ، نظرا لانفتاحها عليها أكثر من انفتاح عمان .

وقد انطبعت لمسات هذه التأثيرات في عمارة مصر فأثرتها ونوعتها في حين انحسرت تأثيراتها في عمارة عمان فجعلتها أكثر محلية وأقرب للبيئة .

---

(٣٣) وفيات الأعيان لابن خلكان .
(٣٤) نفس المصدر .
(٣٥) مجلة الدراسات العمانية ـ مترجم ـ .

التشابه والاختلاف في العناصر المعمـارية في عـمارة عـمان ومصـر

إن نقاط الالتقاء التي تعني بالضرورة التلاحم الفكري في قضية معينة أو الوقوف على نفس الأرضية حول ذات الموضوع ، هي مرتكز الوسائل التي تنطلق لتحقيق الهدف وهذه الوسائل تتشابه في مظهرها بحسب المؤثرات التي تسيطر على الحقيقة الزمنية التي تدور في فلكها ، وسواء كانت هذه المؤثرات محلية ، مما يجعلها تشكل الثقافة المحلية المدنية أو الثقافية المحلية غير المدنية كالريفية والصحراوية الا أن تشابهها وتلاقيها يقف على أرضية معرفية واحدة ، في حين أن اختلاف أنماط الوسائل الحضارية ، وعدم تلاقيها ينبع من كونها لا تتماس في نقاط ذات مركز واحـد وانـما تتفـرق فتخلق دوائـر ذات مراكز متباعدة مما يجعلها غير قادرة على الاتصال أو التلاقي مع بعضها البعض ، وهذا أيضا يعود الى المرجعية الثقافية والبيئية وغيرها .

ولذا فإن التشابه في الأساليب المعمارية أو الاختلاف فيها من حيث تخطيط المـدن القديمة وتخطيط المساقط الأفقية ، والواجهات للأبنية ، ومن حيث مواد الانشاء المستخدمة وكذلك من حيث الحلول المعمارية يعود في الأساس الى اتحاد نقاط الالتقاء في مركزها مما يحقق التشابه التام أو حتى تلامسها مما يحقق تشابها جزئيا في ملامح العمل المعماري ، وكذلك فإن الاختلاف ناتج عن عدم تلاقي النقاط في مركز واحد أو حتى تلامسها .

وإذا ما حاولنا أن نبحث عن هذين الملمحين في العناصر المعمارية في عمارة عمان ومصر فإننا سنجدهما يتقاربان وأحيانا لدرجة الالتحام ، وأحيانا يلتقيان من

بعيد ، غير أن بعضا من هذه العناصر تبتعد كثيرا عن بعضها لدرجة الانفصال في عمارة عمان قبل عام ١٩٧٠م .

ومن الناحية التاريخية فإن الاكتشافات الأثرية العمانية ، والتي يعود تاريخها الى الألف الثالثة قبل الميلاد ، تقدم لنا نموذجا لمستوطنات عديدة في وادي إبرا ، ووادي الأثلي ووادي الفرع ، وكذلك مستوطنات وادي سمد ، والباطنة ، والظاهرة ، وخور روري وغيرها كلها شواهد على الحركة العمرانية في ذلك التاريخ ونماذج لتخطيط المدن واستعمالات الأراضي ، ومثال للتخطيط البنائي القديم ، وكيفية استخدام أساليب البناء ، ومواد الانشاء .[٣٦]

وهذه الأنواع من المستوطنات تلتقي الى حد ما بمثيلاتها من المستوطنات المصرية القديمة والتي تواجدت في نفس الفترة الزمنية ، ويكمن هذا التلاقي في مضمون فكرة تخطيط المستوطنة حيث اعتمدت الفكرة على وضع المباني الرئيسية كالتحصينات وغيرها في وسط المستوطنة ، واختير لها مكان مرتفع للتمكن من الاشراف عليها[٣٧]واتخذت المساكن جانبا آخر ، وكذلك القبور والمزارع في موقع مختلف .[٣٨]

كما اقيمت السدود لحجز المياه لامكان سد حاجيات المستوطنة ، وبالنظر الى مدينة مصرية قديمة كمدينة تل العمارنة نجد أن المعبد يتخذ المكانة المهمة فيها فيتوسطها ويقف شامخا بارتفاع ، بحيث تظهر المساكن أقصر قامة ، وأقل مستوى وهو ما يحقق فكرة السيطرة على المدينة ، كما انه يمثل نقطة تتلاقى عندها طرق

---

(٣٦) حـ ١ ـ جـ ٢ تراثنا .
(٣٧) تراثنا جـ ١ .
(٣٨) نفس المصدر .

المدينة الرئيسية ، وبذلك تتحقق السيطرة عليها .[٣٩،٤٠]

ولأن عمان كان لها إله خاص يدعى (نندولا)[٤١]فإن فكرة سيطرة المعبد على المدينة لم تكن قوية ، وانما أضعفتها فكرة سيطرة التحصينات وذلك لانفصال الدين الممثل في الاله والدولة الممثلة في شخص الملك بينما توحدت فكرة الدين والدولة في شخص واحد وسيطرت نزعتها على مقاليد الأمور في المدينة المصرية .[٤٢]

وقد تشابهت أساليب البناء القديمة من حيث استخدام مواد انشائية تتفق ـ الى حد ما ـ ذلك ان كلا من العمارة المصرية والعمانية القديمة قد استخدمت الحجارة الكبيرة التي تصل بعض مقاساتها الى (١×١×١م)[٤٢]ووضعها فوق بعضها البعض بدون ملاط ،[٤٤،٤٥]وهي فكرة استخدمها الفينيقيون أيضا في تشييد مبانيهم في قرطاجنة ،[٤٦] كما استخدمت كل من مصر وعمان الطوب الأحمر المحروق في التشييد ، إذ استخدم في العديد من المباني القديمة كالحجرات والآبار في عمان ، واستخدمه المصريون في المساكن وغيرها من المباني .[٤٧]

ولقد ظهرت تشابهات واضحة في أساليب بناء القبور في عمان ومثيلاتها في بلاد النوبة وهو ما يعرف بالقبور التلية هناك ، ويعرف في عمان بمباني خلية النحل .

---

(٣٩) تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى .
(٤٠) تاريخ تخطيط المدن ـ د. أحمد حماد .
(٤١) عمان ونهضتها الحديثة .
(٤٢) نفس المصدر .
(٤٣) مجلة الدراسات العمانية جـ ١ ـ جـ ٢ .
(٤٤) تراثنا جـ ١ .
(٤٥) تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى .
(٤٦) تاريخ قرطاجة .
(٤٧) تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى / مجلة الدراسات العمانية .

وقد تأكد التشابه بصورة جلية في أساليب تخطيط المدن المصرية والعمانية التي نشأت في العصر الاسلامي ، من حيث موقع المسجد الذي يتوسط المدينة وتحف به المحلات التجارية ، ومن حيث الطرق الضيقة والفراغات الرأسية والأفقية .

وكذلك من حيث فتحات المباني من شبابيك ومداخل وكيفية وضعها واتجاهاتها المتبعة بين الجيران وكذلك تحصيناتها[٤٨]فنجد مدنا مصرية كالفسطاط والقطائع ، وسيوة ، تلتقي مع مدن عمانية كنزوى والرستاق وابراء والمضيرب[٤٩]يجمعها قاسم مشترك من الاسلام ، شكل تكويناتها وصبغها بروحه السماوية .

ويرى الدكتور عبدالباقي ابراهيم أن هناك « قيما مشتركة عامة تجتمع حولها المدن العربية الاسلامية تتضمن أساسات عديدة منها التعبير العضوي والتلقائية وتباين المسطحات المقفلة والمفتوحة ، والتعبير المعماري الصريح للعناصر الانشائية والتشكيل المعماري المتناغم فضلا عن تكامل الفراغات والفتحات من شبابيك وفتحات هواء وغيرها » .[٥٠]

ويشير ابن خلدون الى اهمية معرفة العمل في اتخاذ البيوت للسكن والمأوى في المدن ،[٥١]كما أن الاختلاف ينتج عن مواقع المدن من حيث هي ساحلية أو جلبة أو صحراوية أو سهلية ، وبالتالي تلعب البيئة والتضاريس الجغرافية دورا مهما في تشكيل النسيج العمراني للمدينة ، فضلا عن وسائل الاتصال المستخدمة ومدى تحضرها وتقدمها .

---

(٤٨) المدينة الاسلامية .
(٤٩) حصاد ندوة الدراسات العمانية .
(٥٠) تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الاسلامية المعاصرة .
(٥١) انظر مقدمة ابن خلدون ـ الباب الخامس والعشرون .

المساقط الأفقية والواجهات :

بالنظر الى كيفية تخطيط المساقط الأفقية في المباني البيئية ـ كالمساجد والمباني السكنية ـ كالمنازل المنفصلة أو ما يعرف الآن بالفيلات فإننا نرى أن المسجد في المدن المصرية غير الصحراوية اشتملت عناصره المعمارية من الناحية التصميمية على الميضأه ـ أي مكان الوضوء ـ والأروقة المسقوفة ودكة المبلغ والصحن والمحراب والمئذنة وبيت الصلاة والمنبر الخشبي أو غير الخشبي والقبة والقبوات .(٥٢) أما عناصر المسجد في مدن عمان غير الصحراوية أيضا ـ كمسقط مثلا ـ فقد اتفقت الى حد ما مع العناصر المعمارية المصرية غير أن مواقعها اختلفت عنها إذ أن مكان الوضوء يقع دائما في المساجد العمانية بقرب مدخل المسجد وكذلك وضع المآذن وارتفاعها .

ونادرا ما نرى مسجدا تحفه الأروقة من كل اتجاه ، ولكن معظم المساجد تشتمل على رواق ملتصق بالصحن أو (ببيت الصلاة من جهة واحدة) ، كما أننا لا نلاحظ وجودا لدكة المبلغ ولكنها تتفق مع المساجد المصرية في المنبر الخشبي أو غير الخشبي كما أن أغلب مساجد مسقط وصور وصلالة تشتمل على المحراب كعنصر معماري بارز عن خط البناء ، غير أن كثيرا من مساجد داخلية عمان يعتبر المحراب رمزا لاتجاه القبلة ، واتجاه تحديد موضع الامام ، ولذا فإننا لا نراه بارزا عن خط بناء المسجد ولكن يكتفى بتحديده ببرواز محلى بزخرفة جصية كما انه ليس له ارتفاع محدد .

وتمتاز أغلب المساجد العمانية بالبساطة ،(٥٣) كما ان الفتحات في المسقط

(٥٢) المساجد ، حسين مؤنس .
(٥٣) عمارة عمان في العصر الاسلامي ـ سمات ومظاهر ـ د. غازي رجب محمد .

الافقي للمساجد العمانية غالبا ما تكون من جهتين جانبيتين ، وتخلو جهة القبلة من أي فتحات كما ان معظم المساجد لا تحتوي على مداخل جانبية كالمساجد المصرية ، حيث يتم الدخول أحيانا مباشرة الى بيت الصلاة وانما تعتمد حركة المصلين على مدخل رئيسي وحيد أو مدخل مساعد يفضي الى الفناء ، وقد تتفق مساجد واحة سيوة الى حد بعيد مع مساقط المساجد العمانية .(٥٤)

أما المئذنة في المساجد المصرية فإن مساقطها تعتمد على تشكيل يتزواج فيه الشكل المربع في القاعدة ثم المثمن فالدائري الذي يقل قطره كلما ارتفعت المئذنة(٥٥)بينما تكاد تنحصر المئذنة في المساجد العمانية في شكلين يغلبان على كافة المساجد وهما الشكل المربع والشكل الدائري(٥٦)كما انها قليلة الارتفاع مفتحة الجدران بنوافذ وأحيانا مرتكزة على أعمدة يقف المؤذن بالداخل ، وأسقف المئذنة تكون قبة بيضاوية وأحيانا مدببة ،(٥٧)وأحيانا أخرى مزدانة بشرفات ركنية كمسجد الزواوي بمسقط على سبيل المثال لا الحصر .

أما أسقف المساجد العمانية فإن معظمها مسطحة تعتمد على الخشب كمادة انشائية والصاروج (مادة اسمنتية) أو الطين المخلوط بالقش ولا نرى فيها اثرا لاستخدام القباب البصلية أو غيرها كالمساجد المصرية ،(٥٨)وإنما وجدت بعض الشواهد القليلة التي استخدمت القبوات المتتابعة كسقف للمسجد .

وتعد هذه ظاهرة انشائية برزت في مسجد ولاية جعلان بني بوعلي ومسجد

---

(٥٤) عمارة الصحراء .
(٥٥) تاريخ العمارة الاسلامية .
(٥٦) عمارة عمان في العصر الاسلامي .
(٥٧) نفس المصدر .
(٥٨) تاريخ العمارة / المساجد .

صغير في صور يسمى مسجد أولاد علي بن ربيع المخيني ـ قامت البلدية بهدمه أثناء شهـر البـلديات ـ في حين نرى القبـوات تستخـدم في أروقـة المسـاجـد المصرية ،[٥٩]ولكن مساجد واحة سيوة المصرية لا يستخدم فيها القباب كثيرا ، وحتى مآذنها تمثـل مخروطا ناقصا تقريبا ،[٦٠]وعلى أية حال فإن ظاهرة القباب كعنصر معماري وانشائي غير موجودة بكثرة في العمائر العمانية المدنية أو العسكرية أو الدينية إلا نادرا ، وتظهر بعض الأبراج في بيت النعمان مسقفة بالقبوات .[٦١]

وفيما يتعلق بواجهات المساجد العمانية فإنها جاءت بسيطة خالية من الزخرفة الهندسية ، واعتمدت فقط على التشكيل الكتلي وتناسقها وانسجامها ، وشكلت النوافذ وفتحات الهواء عنصرا جماليا في تكامل الواجهة مع عنصر الأسوار والمداخل فضلا عن العقود أعلى أعتاب الشبابيك أو المداخل والأبواب ونادرا ما يحلى بطن العقد بزخارف جصية وربما تعود هذه البساطة التلقائية الى التأثير الديني الذي لا يحبذ زخرفة دور العبادة ، لأنها تعمل على الهاء المصلي وتوجيه نظره إلى غير موضع سجـوده في الصـلاة ، كما ان جدران المسجد من الداخل تحتوي على تجاويف تستخـدم ارففـا للقـرآن (المصاحف) والكتب الدينية ، وهذا موجود أيضا في مساجد الواحات الصحراوية في مصر كواحة سيوة .[٦٢]

أمـا المهنـدس المعماري المصري فقد تفنن في ابداع واجهات المساجد ، والذي ينظر الى مسجد السلطان حسن ، وابن طولون ، والأزهر ، ومسجد قايت باي وغيرها من المساجد المنتشرة على أرض المدن المصرية كالقاهرة والاسكندرية

---

(٥٩) تاريخ العمارة .
(٦٠) عمارة الصحراء .
(٦١) مجلة الدراسات العمانية .
(٦٢) عمارة الصحراء .

فإنـه سوف يلاحظ أن هذه المسـاجـد اعتمـدت في واجهاتها على تناسق الكتل المعمارية مضافا اليها تناسق الفتحات الحقيقية ، وغير الحقيقية كالبانوهات التي تتخذ في كثير من الأحيان لكسر حدة الصلادة ، والصرامة في الواجهة فضلا عن الارتفـاعـات الكبـيرة المـوحية بجـلال وهيبـة المكـان[٦٣]ولا نلاحظ مثـل هذه الارتفاعات الكبيرة في المساجد العمانية وقد زينت البانوهات بزخرفات جصية أو خشبية أو مقرنصات ، وأحيانا تزين بنوع من المزررات .

أمـا داخل المسجد فإن أعمال الزخرفة لعبت دورا بالغا في عملية الابهار البصري باستخـدامهـا الزخارف الجصية الملونة وكذلك الفسيفساء والارضيات المرصعة ببلاط الرخام كمسجد محمد علي في القلعة وغيرها .

وتغلب الأشكال المستطيلة والمربعة على مساقط المساجد العمانية[٦٤]ولا نكاد نرى أثرا لغير هذين النوعين وتبدو النسبة في أطوالها وعروضها مقبولة جدا الى حد بعيد إن لم تكن ذات مستوى مثالي بالنسبة لصحن المسجد وبيت الصلاة حيث تكـون (١ : ١) في الشكـل المـربع ، (١ : ٢) في الشكل المستطيل ، ومما لا شك فيه أن هناك تفاوتا طفيفا في نسب بعضها .

غير أن المساجد المصرية وإن سادت الأشكال المربعة والمستطيلة الا أن هناك من الأشكال الأخرى الكثيرة ، ومن المرجح أن المعماري العماني استلهم فكرة بناء مسجده البسيطة من فكرة بناء مسجد الرسول ﷺ وكان للعامل الديني والثقافة الروحية أثرها البالغ على أساليب تفكيره الهندسي .

مما حدا به أن يلتزم هذا النهج الذي لا نراه مسيطرا على أسلوب المعماري

(٦٣) تاريخ العمارة .
(٦٤) عمارة عمان في العصر الاسلامي .

المصري الذي تأثر بالثقافات الوافدة عليه سواء كانت اسلامية أو غير اسلامية مما جعله ينوع أشكال المساقط في المساجد ويستخدم القبة التي تأثر بها عن طريق الحضارة الفارسية وكذلك الحضارة البيزنطية(٦٥)في حين أن هذه التأثيرات ظلت بعيدة قليلا عن المعماري العماني ، ولربما كان لمقاومة العمانيين للأمويين والعباسيين وغيرهم ، ومحاولة الاستقلال بحكم بلادهم أثره الأكبر في عدم تمكن التأثيرات الوافدة من روح المعماري العماني فجاءت تصميمات مساجد بسيطة ، محدودة الأشكال وذات نسبة مثالية وأشكالها المربعة والمستطيلة هي المفضلة في بناء المساجد في نظرية التصميم في العمارة الاسلامية .(٦٦)

ومن الجدير بالذكر أن المساجد في كل من عمان ومصر استخدمت في النواحي التعليمية بالاضافة الى دورها التعبدي حيث كان الأزهر مثلا ، يعتبر أقدم جامعة اسلامية تخرج منها فطاحل علماء المسلمين وكذلك كانت المساجد في عمان حيث استغلت كمراكز للاشعاع العلمي والأدبي تفاعل فيها وجدانيا وفكريا العالم وطالب العلم ، وربما أضيفت بعض المزيات لاستخدامات المساجد في عمان منها المسجد الجامع في نزوى الذي كان ينصب فيه أئمة عمان وحكامها والذي تم هدمه وبني مكانه جامع السلطان قابوس بنزوى .

ولعلنا نشير الى أن أقدم مسجد في عمان ؛ كان مسجد مازن بن غضوبة أول من أسلم من أهل عمان في عهد النبي ﷺ حيث اتخذه مازن دارا للعبادة ، واستطاع من خلاله هداية الناس في عمان ،(٦٧)وأصبح بعد ذلك هذا المسجد مثالا يحتذى به ونموذجا يتبع في تشييد المساجد العمانية مما أضفى عليها صفة البساطة

---

(٦٥) تاريخ العمارة .
(٦٦) المساجد / حسين مؤنس .
(٦٧) تحفة الأعيان جـ ١ .

والتخفيف من الأعمال الزخرفية فضلا عن أنه لم توجد عبادة سابقة لديانات كالمسيحية مثلا يمكن النظر اليها كما هو الحال في مصر ودمشق التي كانت خاضعة لسيطرة الديانة المسيحية آنذاك .

وبالنسبة لمصر فإن مسجد عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط يعتبر أول مسجد أقيم هناك ،[٦٨] وأصبح المثل الأول الذي تبعته عمارة كثير من المساجد مثل مسجد أحمد بن طولون في القطاع الذي تأثر أيضا باللمسات والملامح المعمارية في مساجد بغداد ومن ثم بنيت مساجد أخرى كثيرة منها كالأزهر ، والحسين ، والسلطان حسن تتضح فيها تأثيرات العمارة الفارسية والعثمانية وغيرها ،[٦٩] لكن هذه التأثيرات الوافدة صبغت جميعها بروح الاسلام وأضاءت جانبا هاما من التعاليم الاسلامية وهو التذكير بحب آل البيت الذي اتخذه الفاطميون مناسبة احتفالية سنوية ، ظلت محدودة نوعا ما في المساجد العمانية واستعيض عنها بالأحاديث الدينية .

إلا أن المساجد المصرية احتضنت أيضا الطرق الصوفية ، بفرقها المتعددة وكانت تقيم فيها الحلقات الخاصة بها وتنشد الموشحات الدينية وتعقد حلقات الذكر في حين نرى جانب التصوف أو السلوك أخذ منظورا مختلفا في عمان حيث اتجه الى الخلوة وحلقات الذكر فقط ، من أحاديث وتلاوة للقرآن ، وتفاسير للآيات الكريمة ، ثم التعبد الخالص لوجه الله ، ولم يلاحظ أية تأثيرات لفرق صوفية كتلك التي وجدت في مصر أو العراق ، مثل النقشبندية والبكطاشية ، والقادرية وغيرها .[٧٠]

---

(٦٨) المساجد .
(٦٩) تاريخ العمارة .
(٧٠) التصوف في الاسلام .

وعلى أي حال فإن المساجد في كل من مصر وعمان مازالت تؤدي دورها الحيوي والهام في خدمة الدين والدنيا ، في توجيه الفرد والمجتمع للأخذ بأسباب الحياة الأولى والحياة الأخرى ومن ثم التركيز على الاعتماد على الله والتوكل عليه بالجد والعمل والاجتهاد في ظل تعاليم الاسلام السمحة الخالدة ، الداعية الى المحبة والوئام انطلاقا من مبدأ ﴿**وقل أعملوا** . . . . . . ﴾ قرآن كريم .[٧١]

وإلى مبدأ (أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) .[٧٢]

المســـــاكن :

المساقط الأفقية للمساكن في كل من عمان ومصر ، تبدو فيها عملية التشابه مشدودة الى تقارب حميمي وثيق ، بينما تتحرك عملية الاختلاف على مسافة قصيرة ضمن مناظير معينة تتحكم فيها احتياجات الانسان المادية والمعنوية[٧٣]وهذه الاحتياجات يتفق جانب كبير منها مع نظرية ماسلو لتدرج الاحتياجات الانسانية ،[٧٤]وتؤثر هذه النظرية على مستوى وكيفية تخطيط المساقط الأفقية للمساكن ، لأن الحاجات الأساسية الدنيا لابد وأن تقابل وتشبع قبل الاحتياجات العليا .[٧٥]وهو ما يفسر بالضرورة اختلاف عناصر ومكونات المساكن التي يتدخل في تحديدها ايضا مستوى الوعي[٧٦]لكن المسكن العربي احتفظ بخصائص معمارية ثابتة برغم اختلاف البيئات العربية واختلاف أنماطها وسعي كل مجتمع لأن يزاوج بين العناصر الأساسية في التصميم وبين تأثير البيئة الطبيعية ، وبذلك ظل الاطار

---

(٧١) قرآن كريم ، الآية رقم ١٠٥ من سورة التوبة .
(٧٢) حديث نبوي .
(٧٣) تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الاسلامية المعاصر .
(٧٤) الاسكان والمسكن والبيئة .
(٧٥) نفس المصدر .
(٧٦) تاريخ العمارة والفنون جـ ٣ .

العربي واحدا كان أهم منطلق له الاسلام .

وتكاد لا ترى أي مسكن عربي في أي بقعة من الوطن العربي الا ويشترك في هذه الخصائص مع اختلاف طفيف في معالجة التفاصيل[٧٧]

فخصائص المسكن العربي تكمن في المدخل الرئيسي والفناء والحوائط ، والنافورة والفتحات والمداخل الجانبية ، وفي فصل الحريم عن الرجال وهو ما يسمى في مصر بالسلاملك والحراملك[٧٨]ولو حاولنا تتبع هذه الخصائص في مساكن عمان ومصر فإننا بلا شك سوف نجد اختلافات طفيفة ناتجة عن كيفية المعالجة بينما يظل المبدأ الذي صممت عليه ثابتا ومستمرا .

فالمدخل الرئيسي في المسكن المصري إما أن يكون متعرجا أو مفضيا الى ردهة صغيرة ثم ردهة أكبر فالفناء ، وذلك لغرض توفير الخصوصية عن طريق حجب الرؤية أو كسرها وتخفيف حدتها[٨٩]وهذا موجود في المساكن العمانية أيضا[٨٠]لكن ثمة اصرارا على كسر هذه الرؤية نراه متمكنا في المسكن العماني الذي لا يسمح تصميمه بوجودها وذلك بعمل حاجز خشبي أو جدار من الطوب في مواجهة فتحة الباب بغرض فصل الفناء الداخلي وحجبه عن مستوى رؤية الداخل فضلا عن المارة في الخارج ويتأكد ذلك الاصرار في نجارة الأبواب الرئيسية ـ أبواب المداخل ـ التي تصمم عادة من مصراعين رئيسيين (أو فردتين رئيسيتين) ، كما هو الشائع في التعبير العماني المحلي .[٨١]وثم تفتح فردة ثالثة في جانب منه تسمى « فرخة » .

---

(٧٧) تاريخ العمارة والفنون جـ ٣ .
(٧٨) نفس المصدر .
(٧٩) تاريخ العمارة والفنون جـ ٣ .
(٨٠) فنون العمارة المحلية .
(٨١) مجلة الدراسات العمانية جـ ٢/٣ .

وإما أن تكون مستطيلة أو مقوسة من الأعلى ولكن جلستها مرتفعة بالنسبة لوضعها في الباب ، وكذلك عتبها منخفض بالنسبة لعتب الباب أو حجابه(٨٢)ولا يمكن للداخل منها الا ان يخفض جسمه ورأسه الى أسفل فيتمكن من الولوج الى الداخل ، وهذه الطريقة تحجب الرؤية كلية في مرحلتها الأولى ثم حين يستعيد الداخل وضعه الطبيعي يجد نفسه في الردهة أو أمام الحاجز الجداري أو الخشبي المسمى (بالرده) فلا يستطيع أن يرى شيئا غير اتجاه يفضي الى المجلس (السبلة) المخصص للرجال ، وبالتالي تحقق نظرية الخصوصية .

أما خاصية الافنية فنجدها تشكل طابعا متميزا للمساكن العربية ولكنها في المساكن المصرية حددت بالأشكال المستطيلة أو المربعة (كما يراها الدكتور توفيق أحمد عبدالجواد)(٨٣)وذلك واضح في مساكن الفسطاط والقطائع وغيرها في حين لا ينـطبق هذا التحديد في المساكن العمانية فهي بالاضافة الى الشكلين الموجودين ـ المربع والمستطيل ـ كمساكن المضيرب وصور وصلالة ومسقط مثلا(٨٤)نراها مختلفة ولا تتخذ أشكالا نمطية كمساكن صحار(٨٥)ومناطق عديدة من عمان .

وبـالاضـافـة الى وظيفة الفناء المرتبطة بالبيئة بحيث تؤدي عملية التهوية والاضاءة في آن واحد(٨٦)وكذلك يمثل الحيز الخاص للمسكن من السماء الربانية فضلا عن حمايته من التقلبات المناخية ، وكذلك اضفاء الشعور بالأمان والطمأنينة والهدوء(٨٧)إلا أن وظيفة أخرى يقوم بها الفناء كفراغ حركي أفقي ورأسي في آن

(٨٢) فنون العمارة المحلية .
(٨٣) تاريخ العمارة والفنون جـ ٣ .
(٨٤) مجلة الدراسات العمانية جـ ٢/٣ .
(٨٥) البيوت الصحارية ـ حصاد ندوة الدراسات العمانية جـ ٧ .
(٨٦) عمارة الصحراء .
(٨٧) التصميم والبناء حسب التراث العربي ـ حسن فتحي .

واحد فهو يمثل حركة توزيعية أفقية للحجرات المختلفة وللمداخل والمخارج فضلا عن الحركة الرأسية للأدوار العليا وذلك عن طريق ارتباطه بالفراغات الحركية الأخرى كالممرات المكشوفة والمسقوفة وغيرها[٨٨]وهو أي الفناء يدخل ضمن تصنيف فراغات الحركة الداخلية .

ولذا فإن جميع المساكن العمانية تنظم حجراته حول هذا الفناء دون تفريق في مستوياتها سواء كانت بيوتا عادية أو قصورا ، وسواء كانت مشيدة بالمواد الثابتة أو تلك المباني السعفية[٨٩]وقد انتهجت ذلك البيوت المحصنة (كبيت السيد نادر) وبيت البرزة ، وبيت الجزيرة في مسقط[٩٠]وبيت صدرة وبيت ترنجيه[٩١]في الرستاق أو القصور المحصنة كالحزم في الرستاق وجبرين في بهلاء أو غيرها[٩٢]وليس غريبا أن نرى الارتفاعات المطلة على الفناء تتراوح من ٣ أمتار إلى أكثر من ٢٥ مترا ، وهو يتراءى على مرآة الواقع جليا في عمارة عمان .

كالأمثلة التي أشرنا اليها ، وفي عمارة مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر كمنزل عبدالوهاب الطبلاوي المعروف بمنزل السحيمي ومنزل الكريدليه وآمنة بنت سالم بميدان أحمد بن طولون وغيرها من الأمثلة الكثيرة .[٩٣]

ومن المعروف أن طريقة الانشاء المتبعة في بناء تلك المساكن في وقت لم تعرف المنطقة العربية الأسمنت والخرسانة المسلحة ـ هي طريقة البناء بالحوائط الحاملة ـ وهي طريقة مستخدمة الى يومنا هذا في جميع أنحاء العالم ولكن هذه الطريقة

---

(٨٨) فراغات الحركة في العمارة ـ المهندسة هالة حسين ابراهيم ـ المجلة المعمارية ـ العدد الأول ١٩٨٥ .
(٨٩) فنون العمارة المحلية .
(٩٠) تاريخ بناء الحصون والقلاع في عمان .
(٩١) فنون العمارة المحلية .
(٩٢) تاريخ الحصون والقلاع في عمان ـ الرائد هلال بن محمد بن أحمد .
(٩٣) تاريخ العمارة والفنون جـ ٣ .

اقتصرت أن تكون الحوائط بأسماك وعروض كبيرة ثم البحور « في الأسقف » غير كبيرة ومن الطبيعي أن تعمل الحوائط بالنسبة لعروضها على اظهار عدة مميزات منها العزل الحراري ، والعزل الصوتي فضلا عن أنه أمكن استخدام التجاويف فيها كما هو الحال في عمان[٩٤] كأماكن لوضع الملابس أحيانا[٩٥] أو للزينة ووضع التحف والمباخر وغيرها .[٩٦]

في حين ان استعمالاتها تركزت في أغلب الأحيان في مصر على استخدامها كخزائن مغطاة بأبواب خشبية مزخرفة بالنقوش المختلفة[٩٧] وشيدت الحوائط إما بالحجارة أو الطوب الأحمر[٩٨] أو الطوب اللبن ـ النيء ـ[٩٩] أو المزج بين الطوب النيء والحجارة في الأساسات والمداميك (الدور) الأولية[١٠٠] ولقد حفلت المساكن المصرية بالنافورات وسط الأفنية شأنها في ذلك شأن بيوت الشام والعراق والمغرب العربي[١٠١] غير أننا لا نكاد نرى لهذا العنصر تواجدا في المساكن العمانية الخاصة أو الرسمية القديمة ، وانما استعيض عن ذلك بشيئين رئيسيين يدخلان في صلب الانسان أولا ويوفران التلاؤم البيئي ثانيا وهما البئر ـ الطوي ـ أو الفلج ، وحفلت معظم المساكن العمانية بهذين النظامين تبعا لأنظمة الري من كل منطقة .

فنرى المساكن في ساحل الباطنة وصور ومسقط وصلالة وغيرها بالآبار ، وسواء كانت هذه الآبار عذبة أو مالحة . الا أن استخدامها كان واردا حسب الامكانات المتاحة[١٠٢] في حين أن مساكن المضيرب وسمائل والحمراء والرستاق

(٩٤) مجلة الدراسات العمانية جـ ٣/٢ .
(٩٥) فنون العمارة المحلية .
(٩٦) مجلة الدراسات العمانية جـ ٣/٢ .
(٩٧) تاريخ العمارة والفنون جـ ٣ .
(٩٨) نفس المصدر .
(٩٩) عمارة الصحراء .
(١٠٠) فنون العمارة المحلية ، البيوت الصحارية .
(١٠١) تاريخ العمارة والفنون ، تأصيل القيم الحضارية .
(١٠٢) ـ البيوت الصحارية ـ حصاد ندوة الدراسات العمانية .
ـ فنون العمارة المحلية .
ـ تاريخ الحصون .

ونزوى وغيرها تعتمد على الأفلاج ـ أي القنوات المائية ـ ويصل الفلج الى المسكن ويمر من خلاله الى المساكن الأخرى .(١٠٣)

أما الفتحات فقد اتخذت منطلقا آخر ففي حين يوجد ما يسمى بالفتحات القمرية أو الشمسية في المباني المصرية(١٠٤)نجد لها شبيها في المباني العمانية يسمى المراق ، والكوة(١٠٥)وهي جميعها فتحات في الحوائط تعمل بجانب الشبابيك على تهوية المساكن وخلخلة الهواء عن طريق ، تحريكه حيث يعرف علميا بأن الهواء الساخن أقل كثافة من الهواء البارد وهو بالتالي اقل وزنا فيرتفع الى الأعلى ليخرج من فتحات الكوة والقمرية فيفتح المجال لهواء بارد قادم من الشبابيك فضلا عن استخدامها أيضا لزيادة الاضاءة المتساقطة ليلا من أشعة القمر كما أنها تضيف جمالا على تشكيل واجهات المباني .

وفتحات الشبابيك في المساكن المصرية نجدها تضيق في الطابق الأرضي ثم تتسع في الطابق العلوي(١٠٦) لكنها على عكس ذلك في المساكن العمانية حيث نجدها تتخذ مقياسا نمطيا تتساوى في جميع الأدوار لكنها تختلف في التشكيل اما أن تكون مكررة التشكيل أو أن يختلف الطابق الأرضي عن الأول أو عن الثاني وهكذا ، (١٠٧) وسوف نتحدث عن ذلك تفصيلا أثناء مناقشة العناصر المعمارية .

تتخذ كل من عمارة مصر وعمان في مداخل جانبية في انشاء مساكنها وهي تستخدم كمخارج أثناء الضرورة أو للخدمة أو لدخول وخروج النساء دون الحاجة الى استخدام المدخل الرئيسي الذي يركز استخدامه على الضيوف

(١٠٣) مجلة الدراسات العمانية جـ ٢/٣ .
(١٠٤) المساجد كمسجد الحسين .
(١٠٥) فنون العمارة المحلية ، مجلة الدراسات العمانية جـ ٢/٣ .
(١٠٦) تاريخ العمارة والفنون جـ ٣ .
(١٠٧) ـ مجلة الدراسات العمانية جـ ٢/٣ .
ـ فنون العمارة المحلية .

وخاصة الرجال .

غير أن هناك بعض المساكن التي لا تسمح أوضاعها المعمارية باتخاذ مثل. تلك المداخل .

ومن الملاحظ أن وضع الفتحات من أبواب وشبابيك في المساكن العمانية لا يتخذ جانبا تناظريا أو تقابليا مع الجيران في خط متصل بين الفتحتين المتقابلتين وانما تتخذ وضعا غير تقابلي بحيث لا يمكن للخط المتصل من فتحة ما أن يصل الى الفتحة الأخرى ، ولكن يصل الى جدار أصم ، وذلك بغرض المحافظة على حقوق الآخرين - أي حق الجار في الخصوصية العامة دون جرح لها أو خدش لحياة المساكن(١٠٨)

وتبرز خاصية فصل الحريم (الحرملك) عن الرجال (السلاملك) كواحدة من الخصائص الهامة في عمارة المسكن العربي لانها نابعة من الدين الذي يدعو الى عدم الاختلاط وبالتالي توفير أكبر قدر من الخصوصية والراحة لأهل المنزل ، وبالتالي فإن قضية الحجاب وكسر حدة الرؤية تعاونت على تحقيقها عدة عوامل منها المدخل واستخدام الستائر الخشبية والجصية وكذلك المشربيات (تاريخ العمارة والفنون) والابواب العمانية (مجلة الدراسات العمانية) فضلا عن توفير الخصوصية بفصل الحريم عن الرجال .(١٠٩)

لكن عملية الفصل هذه اتخذت مبدأ مهما في المساكن المصرية وذلك من خلال تخصيص الدور الأرضي لاستخدام الرجال ووضع المجالس وغرف الطعام

---

(١٠٨) ورقة للكاتب مقدمة إلى ندوة المدينة العربية ١٩٨٨ المدينة المنورة .

(١٠٩) عمارة الصحراء .

وغيرها التي يستعملها الرجال بينما ظل الدور الأول للنساء من غرفة استقبال النساء وغرف النوم وغيرها بحيث لا يتمكن الرجال من مشاهدة النساء بالدرجة الأولى أثناء الدخول والخروج والجلوس وبالتالي تحقق قضية الفصل .

وبالنسبة لوضعية المساكن العمانية فإن جانبا منها يتفق مع هذا المبدأ خاصة المساكن المؤلفة من طابقين (تاريخ الحصون والقلاع) ،[١١٠](البيوت الصحارية) في حين أن جانبا آخر لا يتفق مع نظرية الفصل هذه وخاصة المساكن المؤلفة من طابق واحد والتي تتحقق فيها الخصوصية للنساء بدون الفصل الى طابقين (فنون العمارة المحلية)[١١١]وذلك من خلال المداخل التي تمنع الرؤية البصرية وتحد منها عن طريق انكسارها أو تعرجها أو الحواجز (الرده) بالاضافة الى استخدام الابواب ذات « الغرفة » والتي أشرنا الى كيفية عملها (مجلة الدراسات العمانية جـ٣/٢)[١١٢]أو المداخل الجانبية التي تستخدمها النساء بعيدا عن التعرض لاستخدام المداخل الرئيسية (نفس المصدر)[١١٣]وكذلك فإن المساكن المكونة من طابق واحد حققت أيضا الخصوصية من خلال استخدام الستائر الخشبية والجصية والحديدية كما هو حاصل في معظم مساكن عمان في مسقط ، وصور ونزوى وصحار وصلالة . . الخ . (نفس المصدر)[١١٤] واستخدامها مختلف المباني مع اختلاف مستوياتها سواء كانت بيوتا عادية أو متوسطة أو قصورا محصنة كبيت النعمان ، والحزم (مجلة الدراسات العمانية)[١١٥]

---

(١١٠) تاريخ الحصون والقلاع .
(١١١) فنون العمارة المحلية .
(١١٢) مجلة الدراسات العمانية جـ ٣/٢ .
(١١٣) نفس المصدر .
(١١٤) نفس المصدر .
(١١٥) مجلة الدراسات العمانية .

أو جبرين[١١٦] أو بيت السيد نادر والجزيرة وبيت البرزة (تاريخ الحصون والقلاع)[١١٧] أو تلك التي ادخلت بعض التحسينات عليها مع المحافظة على نسقها العربي كبيت فرنسا ومبنى السفارة البريطانية (تراثنا العدد ٢٤) .[١١٨]

والجدير بالذكر أن هذه المباني وما تستخدم من طرق في تشييدها نابعة من فلسفة فكرية وحضارية اعتمدت في تحقيقها على معرفة ودراية بكيفية التعامل مع البيئة المحيطة سواء كانت بيئة اجتماعية أو بيئة طبيعية تتحكم فيها عوامل المناخ والتضاريس الأرضية .

وبالاضافة الى تأثيرات الحاجات المختلفة على تخطيط المسكن فإن هناك عوامل مهمة ومؤثرات في مستويات المباني من حيث طرق انشائها والمواد المستخدمة في تنفيذها سواء كانت مواد التشطيب (كالرخام والاصباغ والدهانات والزخرفة الخشبية والجصية والفسيفساء وغيرها أو كانت مواد رئيسية كالحجارة والطوب والاخشاب وغيرها) .

وهذان العاملان هما عامل الاقتصاد الشخصي أي اقتصاديات الفرد ومدى قدرته على المساهمة في انتاج بناء يتلاءم مع احتياجاته التي أشرنا اليها (رؤية عصرية لخريطة مصر)[١١٩]أو عامل الاقتصاد العام ـ أي اقتصاد الدولة ـ الذي تؤدي قوته الى ازدهار عملية البناء انتشارا وجوده والعكس صحيح كما أن السياسات المتبعة سواء كانت على مستوى تنظيم المدينة أو مستوى الدولة يكون لها تأثير بليغ على تقدم الحركة البنيانية ونحوها ويكون لها التأثير في توجيهها (الطابع

---

(١١٦) نفس المصدر .
(١١٧) تاريخ الحصون والقلاع .
(١١٨) تراثنا العدد ٢٤ .
(١١٩) رؤية عصرية لخريطة مصر .

المعماري بين التأصيل والمعاصرة)[١٢٠]نحو نوع وشكل وجودة المساكن ولذا نرى أن مجالس المدن والبلديات تتدخل كثيرا في هذه العملية محافظة على طابع المدينة وأنماط المساكن فيها لأنها جزء هام من مكونات الدولة على الصعيد المعنوي والمادي المكونة لشخصيتها الحضارية .

عوامل مؤثرة في كل من عمارة مصر وعمان

إن الفنون المعمارية في كل بقعة من العالم تتركز على عوامل ومقومات تشرع معـاييرها وتحدد كيفية استخدامها وتؤثر الى حد بعيد في رموزها . وتخضع هذه العوامل والمقومات الى أمور ترتبط بالبيئة المحلية كالمناخ من حرارة ورطوبة ورياح وغيرها وكالتضاريس الأرضية من ارتفاع وانخفاض وانبساط . ثم مواد بناء محلية لتشكل الركيزة الأساسية في هيكلة البناء ، وتستنبط طرقا انشائية نابعة من البيئة كما هو الحال في مصر خاصة في الصعيد وبلاد النوبة وغيرها (البناء حسن فتحي ، عمارة الصحراء) .[١٢١] وهو ما نراه متمكنا في موروث عمان المعماري في مختلف مناطقها ومدنها (فنون العمارة المحلية) .[١٢٢]

وهنـاك عامـلان آخـران يزاحمـان في أهميتهما العامل البيئي ويسيران معه متزاملين في خطين متوازيين لا يمكن مجهما أو تأخير سرعتهما وهما العامل الفكري والحضاري ، ثم العامل الحاجي والنفسي ويؤثر هذان العاملان على الصيغة التي يتم فيها تشكيل المبنى الخارجي والداخلي وتوزيع الاستعمالات وتخطيط مساقطه الأفقية وواجهاته وقطاعاته .

(١٢٠) الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة .
(١٢١) البناء ـ حسن فتحي ـ عمارة الصحراء .
(١٢٢) فنون العمارة المحلية .

ومما لا شك فيه أن هناك عوامل جانبية مؤثرة ايضا متعلقة بتفصيلات جزئية لكنها لا تؤثر على جوهر المبنى ولا تمثل قاعدة في التأثير ولكنها تحاول الانسجام بما يحقق التكامل له من حيث الوظيفة والشكل مما أخرج المبنى عن كونه فنا هندسيا فقط كما يرى المهندس لوكور بوزييه (١٨٨٧-١٩٦٥) من أن الفن كالتكنولوجيا مشتق أساسا من الشكل الهندسي (عمالقة العمارة في القرن العشرين)[١٢٣]ولا هو فن يعبر فقط عن المضمون الاجتماعي النابع من البيئة كما يراه اوسكار نيماير (نفس المصدر) .[١٢٤]بحيث يبدو « أن الجمال والتناسب والترتيب والتتابع هي لغة التكامل والخلق المعماري » . ولكن هو الى حد بعيد يتفق مع رؤية المهندس بييرلودجي نيرفي « الذي أحس بأن الشكل يتبع الوظيفة » وأن جمال الانشاء ليس حصيلة الحسابات الرياضية ولكنه نتيجة لسرعة فهم هذه الحسابات واستعمالها وتطبيقها (نفس المصدر) .[١٢٥]

يعتبر الموروث ، من أهم العوامل المؤثرة في تصميم المباني وقد أضاء لنا التاريخ كثيرا من جوانب الاهمية هذه تجسدت في عدد من القطاعات المعمارية سواء على صعيد تخطيط المدن القديمة في مصر (تاريخ العمارة)[١٢٦]وكذلك في عمان (تراثنا)[١٢٧]أو على صعيد تخطيط المباني المختلفة كالمعابد والمقابر وغيرها (تخطيط المدن ـ محمد أحمد حماد)[١٢٨]ودور الحكم في مصر وكذلك الحال في عمان (مجلة الدراسات العمانية) .[١٢٩]

---

(١٢٣) عمالقة العمارة في القرن العشرين .
(١٢٤) نفس المصدر .
(١٢٥) نفس المصدر .
(١٢٦) تاريخ العمارة .
(١٢٧) مجلة الدراسات العمانية .
(١٢٨) تاريخ العمارة .
(١٢٩) مجلة الدراسات العمانية .

وظهر الدين كعامل أساسي مؤثر في توجيه التصميمات المعمارية وتخطيطات المدن منذ أقدم العصور حيث بدأ الاهتمام بالمعابد والمقابر منذ ما قبل التاريخ في مصر (تاريخ العمارة)[١٣٠] فشيدت الاهرامات ، والقصور التلية كنماذج لهذه المقابر وشيدت الكرنك وأبو سمبل وغيرها كنماذج للمعابد المهمة التي أضاءت لنا أهمية الدين في تلك الحضارات القديمة وما كان يمثله ويحتله من مكان في نفوس الحاكم والمحكومين على السواء (نفس المصدر)،[١٣١] (حصاد ندوة الدراسات جـ٧) .[١٣٢]

وقد تجلت هذه الفكرة الدينية في الحضارة العمانية القديمة من خلال مقابر خلية النحل والاهتمام بالموتى (تراثنا)[١٣٣]بدفن أشيائهم معهم وغيرها من الأمور التي أوضحتها سجلات الحضارتين وكشفت عنها الآثار .

كما اثرت فكرة الأمن على تخطيطات المدن القديمة في مصر وعمان اذ أن كلا من الحضارتين ترسخ لديه اعتقاد وثيق بأهمية المحافظة على الأمن وهي فكرة ممتدة حتى يومنا هذا وسوف تستمر الى الابد ـ غير أن المهم في هذا الجانب هو تلك التحصينات كالقلاع التي وجدت في المستوطنات العمانية (مجلة الدراسات العمانية)[١٣٤]والاستحكامات التي وجدت في المدن المصرية كطيبة وتل العمارنة وغيرها (عمارة الحضارات القديمة)[١٣٥]وهي فكرة سادت معظم الحضارات القديمة .

---

(١٣٠) تاريخ العمارة .
(١٣١) نفس المصدر .
(١٣٢) حصاد ندوة الدراسات جـ ٧ .
(١٣٣) تراثنا .
(١٣٤) مجلة الدراسات العمانية .
(١٣٥) عمارة الحضارات القديمة .

لقد ساد الاسلام بتعاليمه السمحة الاجتماعية والفكرية وأثرت هذه التعاليم من تخطيط المدن العربية التي بدأت مع انتشار بقعة الضوء الاسلامية واستقرار المجتمع مما جعل للمدن الاسلامية سمات مشتركة متحدة في بؤرة فكرية واحدة وهي الاسلام وان اختلفت محاور الحركة فيها حسب طبيعة كل بلد (المجتمعات الاسلامية) ولذا فإن السمات التي طبعها الاسلام في القطائع وسيوة والفسطاط (المدينة الاسلامية)[١٣٦]هي ذات السمات التي طبعها في نزوى ، وابراء والمضيرب وجعلان (حصاد ندوة الدراسات) .[١٣٧]

واحتل المسجد أهمية بالغة في تخطيط المدينة الاسلامي . كما أن المسكن بما ظهر عليه من خصوصية سعى الى تحقيقها كان منبعها الاسلام والذي حدد الحقوق وأمر باحترامها سواء كانت حقوق النفس أو حق المجتمع (الاسلام وحقوق الانسان)[١٣٨]وهو الذي نظم العلاقة بين المسلم وغير المسلم تحت مظلة مجتمع واحد خاصة في بلد كمصر (العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين)[١٣٩]وهي علاقات قامت على احترام حقوق الغير في اطار المجتمع المسلم الأمر الذي شكل هندسة النوافذ والأبواب والمداخل وحدد مواصفاتها بالنسبة للمبنى بحيث تبتعد عن الجرح والخدش والمآذن التي تمتد إلى السماء داعية رب الكون طالبة المغفرة والرحمة ، لاهجة بالأذان الذي يدوي في أرجاء الفضاء يدعو لعبادة الله وتوحيده . هي مظهر فريد في فن العمارة الاسلامية (المساجد) .[١٤٠]

---

(١٣٦) المدينة الاسلامية .
(١٣٧) حصاد ندوة الدراسات .
(١٣٨) الاسلام وحقوق الانسان .
(١٣٩) العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين .
(١٤٠) المساجد/حسين مؤنس .

والاسلام هو الذي فجر كثيرا من فنون الزخرفة المنتشرة في أرجاء الوطن العربي المبتعدة عن كل ما يخالف تعاليم الدين التي لا تقبل بالصور الحية فاعتمدت على الخطوط المستقيمة والمتقاطعة والمتكسرة حتى أصبحت من أجمل فنون الزخرفة وأعظمها (فن العمارة الاسلامية في سياق التراث)[١٤١]المجلة المعمارية العدد الأول ١٩٨٥[١٤٢]والاسلام لم يمارس الغلو العقائدي ولم يدعُ له كما انه لم يحرم الفن الذي يسعى الى رخاء البشر وتحضرهم (نفس المصدر) .[١٤٣]

كما أثرت العادات والتقاليد على صياغة المدن الاسلامية وتخطيطات مبانيها مما ساهم في التشكيل الفراغي الخارجي والداخلي على حد سواء بحيث أوجدت الساحات الخارجية للاستخدامات المختلفة كالاحتفالات الدينية والاجتماعية في المناسبات المختلفة وساعدت هذه الساحات على توفير مشاركة وجدانية واجتماعية كبيرة بين أفراد المجتمع مما ساعد على تقويتهم وتوحدهم (المجتمعات الاسلامية) .[١٤٤]

كما أوجدت العادات والتقاليد عدة منشآت معمارية قائمة بذاتها تمارس دورها في توحيد المجتمع وتكامله ومنها ما يعرف بالسبلة في عمان (الفنون المعمارية المحلية)[١٤٥]وهي مجلس للتجمع السكاني للحي فضلا عن استخدام المساجد في عقد القرآن واقامة العزاء والاحتفالات الدينية الأخرى .

وفي المقابل نرى في مدن مصر الاسلامية مثيلا لأثر العادات والتقاليد النابعة

---

(١٤١) فن العمارة الاسلامية في سياق التراث .
(١٤٢) المجلة المعمارية العدد الأول ١٩٨٥ .
(١٤٣) نفس المصدر .
(١٤٤) المجتمعات الاسلامية .
(١٤٥) الفنون المعمارية المحلية .

أساسا من روح الاسلام فنرى مثلا مباني جميلة لسبيل الماء ونرى الاضرحة والمقامات للأولياء الصالحين كمقام الحسين ومقام الامام الشافعي وأخرى للسلاطين المماليك على وجه الخصوص مثل خانقاه وضريح السلطان ببرس ، والسلطان قلاوون وغيرهما . (تحديات التوسع العمراني) وكذلك انتشار الحمامات ، وعلى كل فإن العادات والتقاليد لعبت دورها في تشكيل المدينة ومبانيها كمؤثر فاعل كان للاسلام في بلورته نصيب أكبر .

أما الاتصال والعلاقات الدولية بالشعوب والحضارات المختلفة فقد أوضح لنا التاريخ مدى التأثير الذي يتركه في التشكيل البنائي والتخطيط خاصة إذا ما تم هذا الانفتاح بصورة فيها من الشمولية ما يسمح لها بعملية الأخذ والعطاء بنصيب وافر . ولذا فإن الحضارة اليونانية بقدر اخذها اعطت ايضا للحضارة المصرية (تاريخ العمارة)[١٤٦]فنرى ملامح تلك الحضارة وأبنيتها وهو الشيء نفسه الذي حدث بالنسبة للتأثر الحضاري المصري بالحضارة الرومانية (نفس المصدر)[١٤٧]حيث المعابد والمسارح والأبنية والآثار الأخرى وكذلك التأثير الاسلامي كالفارسية والعثمانية وغيرها (نفس المصدر)[١٤٨]مما ساعد على تشكل الطرز المعمارية المختلفة (الطرز المعمارية ـ دكتور محمد أحمد حماد)[١٤٩]وانفتاح مصر على الحضارة الحديثة قد أدى الى تأثيرات ايجابية فيما يخص التكنولوجيا والى تأثيرات غير مرغوبة فيما يخص انهيار الطابع المعماري العربي (تأصيل القيم الاسلامية في المدينة) .[١٥٠]

---

(١٤٦) تاريخ العمارة .
(١٤٧) نفس المصدر .
(١٤٨) نفس المصدر .
(١٤٩) الطرز المعمارية ـ دكتور محمد أحمد حماد .
(١٥٠) تأصيل القيم الاسلامية في المدينة .

وبما لا شك فيه أن عمان خضعت أيضا لمثل هذه التأثيرات إذ أنها لم تكن بمنأى عن الاتصال الحضاري بالحضارات الاخرى في الهند وبلاد الرافدين وفارس (عمان ونهضتها الحديثة)[151] ولكن أثر هذه التأثيرات القديمة لم يبدُ واضحا حتى الآن وربما تحمل الاكتشافات الاثرية الشيء الذي تخبئه الطبقات الأرضية . لكن ملامح هذا التأثير نلمسها في المقتنيات الأخرى كالأواني الفخارية والسيوف وغيرها (تراثنا) .[152] كما ان التأثيرات ناجمة في مواضع أخرى من الاسباب الحضارية كصناعة السفن (عمان وتاريخها البحري)[153] وكالمصطلحات المستخدمة سواء في البناء أو غيرها (الملاحة البحرية ـ يوسف الشاروني) .[154]

وهناك عامل ملح وهام تخضع له عمليات البناء أثناء تخطيطها وتنفيذها مرتبط بالانسان نفسه أو بالمجتمع وهو ما يمكن تسميته بالعامل الحاجي . وفي هذا العامل لابد من أن تكون الاحتياجات الانسانية مشبعة من قبل المسكن فالحاجات الاجتماعية كالحب والعلاقات الودية ومشاركات الآخرين لابد أن يتم تلبيتها من قبل السكن الذي يوفر مأوى يكون قادرا على تثبيت ذلك الشعور فضلا عن الحاجة الى تحقيق الذات التي تتكامل مع الحاجات الاجتماعية والتي تتلاقى مع معايير المبنى والمسطحات المطلوبة والكتل البنائية التي يحتوي عليها المبنى بحيث تسمح بتحقيق ذات الفرد من خلالها وبالتالي يسمح للأسرة بتحقيق ذاتها والقيام بدورها الكامل في سياق المجموعة والافراد (الاسكان والمسكن والبيئة) .[155]

(١٥١) عمان ونهضتها الحديثة .
(١٥٢) تراثنا .
(١٥٣) عمان وتاريخها البحري .
(١٥٤) الملاحة البحرية ـ يوسف الشاروني .
(١٥٥) الاسكان والمسكن والبيئة .

ويمارس المسكن تبعا لذلك وظائف وادوارا هامة في حياة المجتمع تتعلق بسيكلوجية الانسان وثقافته وصحته وقد يكون له أثر سلبي إذا اختلت معايير الاسكان وانعدمت قدرتها على تلبية حاجات الانسان الأساسية (نفس المرجع)[١٥٦]كالحاجات الجسمية ، وبما يمكن الفرد من ممارسة دوره بصورة طبيعية وفاعلة ، وكذلك الحاجة للأمان والاطمئنان بمدى ما يشيعه من راحة وهدوء وسكينة ولذا فسر المهندس العبقري حسن فتحي بأن الفناء في المسكن العربي يبعث على الهدوء والسكينة ويوفر للانسان قدرا من الخلوة والراحة ويعطيه حقه ونصيبه من الحيز السماوي والفضاء الكوني ويفصله عن العالم الخارجي بواسطة الجدران الصماء ويجعله يستمتع بمملكته الخاصة (الفناء : حسن فتحي) .[١٥٧]

ومما لا شك فيه أن ظروف كل مكان تختلف عن الآخر في كيفية توفير تلك الحاجات الا أنها ضرورة (الاسكان والمسكن والبيئة)[١٥٨]ولذا فان المسكن العربي في الريف أو المدينة استطاع أن يقابل تلك الاحتياجات الانسانية والجسمية فضلا عن الاحتياجات المادية المتعلقة بتكاليف الانشاء والبناء (تاريخ العمارة)[١٥٩]سواء كانت المساكن في المدن أو الريف أو الصحراء .

وقد أشرنا إلى أهمية الثقافة أو الوعي الثقافي في اختيار وتخطيط المبنى والقدرة على الاستيطان والاستقرار ولذا فالثقافة الصحراوية تعتبر « محصلة لتفاعل النشاط الانساني مع البيئة من أجل اشباع الحاجات البشرية » . (المجتمعات الصحراوية)[١٦٠]ولذا جاءت مساكن واحة سيوة قادرة على اشباع المواطن المصري

(١٥٦) نفس المرجع .
(١٥٧) الفناء ـ حسن فتحي .
(١٥٨) الاسكان والمسكن والبيئة .
(١٥٩) تاريخ العمارة .
(١٦٠) المجتمعات الصحراوية .

في سيوة (عمارة الصحراء)[١٦١]وكذلك جاءت المساكن في المضيرب في عمان مشبعة حاجة الانسان العماني (مجلة الدراسات العمانية)[١٦٢]ومن هنا يتضح أن الثقافة البيئية تأتي محصلة للتفاعل البشري مع البيئة المحلية أيا كانت هذه البيئة ـ مدينة أو ريفا أو صحراء أو غابة أو بيئة جبلية حارة أو باردة أو رطبة أو غيرها ويحاول الانسان التفاعل معها ولذا جاءت المباني العمانية وعلى الأخص المساكن متمازجة مع هذه البيئة . . فمساكن الجبل الأخضر اختلفت في تخطيط جزئياتها عن مساكن صور التي اختلفت عن مساكن صلالة ومسقط وغيرها وذلك لاختلاف نمط البيئة المؤثرة في تشكيل السكن .

وبالنظر الى مجموعة من المساكن في مختلف المناطق العمانية تتضح لنا هذه الحقيقة جلية واضحة (فنون العمارة المحلية)[١٦٣]وما ينطبق على المباني ينطبق على المدن أيضا ذلك لأن المبنى هو أصغر وحدة في تشكيل وتكوين المدينة .

وكما اختلفت أنماط البيئة في عمان اختلفت أنماط البيئة في مصر فالمسكن في القاهرة مختلف عن المسكن في الريف ولكن كل واحد منها قادر على تلبية واشباع الحاجات المعنوية والمادية للانسان . وهذا يفسر لنا اختلاف أنماط المساكن وطرق انشائها بحسب كل بيئة (عمارة الصحراء)[١٦٤]التي أيضا تختلف من مكان الى آخر وان كانت تشترك في الملامح والظواهر العامة .

عوامل بيئية وانشائية :

يجدر بنا أن نعرف مفهوم البيئة قبل أن نناقش الأثر البيئي على تخطيط المباني

(١٦١) عمارة الصحراء .
(١٦٢) مجلة الدراسات العمانية .
(١٦٣) فنون العمارة المحلية .
(١٦٤) عمارة الصحراء .

من الناحية الافقية والرأسية وكيفية الاستفادة من المحيط البيئي عن طريقة ملاءمة المباني ومعالجة الاثنين معماريا بحيث تتم الاستفادة القصوى من الظروف البيئية وتحويلها الى عنصر ايجابي يخدم الاسرة التي تشغل المبنى وتتعامل معه .

لقد أعطى مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة عام ١٩٧٣ مفهوما عاما وشاملا حيث اعتبر البيئة « رصيدا للموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لاشباع حاجات الانسان وتطلعاته » (البيئة ومشكلاتها ـ عالم المعرفة) .[١٦٥]

وليست فقط كما يصفها بعض الكتاب ويحددونها بالمحيط الخارجي أو هي المناخ من حرارة ورطوبة وأشعة شمسية وغيرها (تخطيط وبناء المدن في المناطق الحارة) .[١٦٦]

ومن ضمن الموارد المادية للبيئة ـ الموارد الطبيعية وفيها عوامل متعددة تؤثر على البناء منها المناخ والجغرافيا والجيولوجيا والتضاريس وكذلك مواد البناء والمياه وغيرها (الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة) .[١٦٧]ونرى أن في طرح الأمم المتحدة حول البيئة شمولية تقتضيها مسيرة الانسان الحضارية فهناك بيئة سكنية وأخرى اجتماعية وثقافية ، وصناعية وغيرها (ورقة للكاتب مقدمة الى ندوة البيئة مسقط ١٩٨٧) .[١٦٨]ومنطوق هذا المفهوم يتناسق مع ما ذهب اليه المهندس حسن فتحي في شرح لأهمية الفناء واستخدامه في المساكن العربية . (الطبيعية والعمارة التقليدية) .[١٦٩]

---

(١٦٥) البيئة ومشكلاتها ـ عالم المعرفة .
(١٦٦) تخطيط وبناء المدن في المناطق الحارة .
(١٦٧) الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة .
(١٦٨) ورقة للكاتب مقدمة الى ندوة البيئة مسقط ١٩٨٧ .
(١٦٩) الطبيعة والعمارة التقليدية .

وتشترك المساكن العمانية مع المصرية في استخدام عدد من العناصر المعمارية في مواجهـة البيئـة ومعالجة مؤثراتها على الفرد منها الفناء والنوافذ وملاقف الهواء والحوائط السمكية فضلا عن مواد البناء المستخدمة (تاريخ العمارة ـ فنون العمارة المحلية)(١٧٠)

فعلى صعيد الفناء داخل المساكن نرى أن معظمها تستخدم هذا العنصر بغرض التهوية والاضاءة ومنع الضوضاء الخارجية فضلا عن مساهمته في الحركة الداخلية وكذلك أهميته في تنقية الهواء وترشيحه وذلك من خلال توارد التيارات الهوائية وتقلبها مما يسمح بعمل الخلخلة الهوائية داخل المساكن فضلا عن أن هناك جانبا مهما في دور الفناء والحفاظ على توازن الضغط الجوي بالنسبة للمبنى حيث يستمر مرور الهواء وخروجه من طريق الشارع في المحيط الخارجي أو داخليا عن طريق الفناء وبذلك يحفظ العلاقة التعادلية بين الضغط الخارجي والداخلي للمبنى .

وعن طريق الفنـاء يخرج الانسـان من الانـطلاق من كبت الجـدران الى الانفتاح على السماء الصافية والهواء النقي ويستشعر معنى الصفاء الذي يقول عنه المهندس حسن فتحي ليس وهما وانما حقيقة (عمارة الصحراء عمالقة القرن العشرين) .(١٧١)

وتؤدي الملاقف وظيفة أقل من وظيفة الفناء الا انها تشترك معها في جانبين مهمـين هما التهـوية والاضاءة وتكاد معظم المساكن العربية التراثية تحتوي على الملاقف ولكن تصميماتها تختلف من منطقة الى أخرى فبعضها يأخذ شكلا قببيا

(١٧٠) تاريخ العمارة ـ فنون العمارة المحلية .
(١٧١) عمارة الصحراء ، عمالقة القرن العشرين .

وبعضهـا شكـل برج ربـاعي وبعضها يأخذ شكلا مغايرا . وفي بعض المناطق العربية يسمى مسقط الهواء .

وعلى أية حال فإنه يعمل على عملية تبديل الهواء الساخن بالهواء البارد اثناء النهار اذ يدخل الهواء البارد في ملقف الهواء فيمر من خلال الجدران الى الحجر ويخرج الى الفناء (الحوش) بينما هذه العملية تحدث عكسيا اثناء الليل اذ يدخل الهواء من الفناء فيخرج من الملقف وهي متشابهة الى حد ما لعملية التمثيل الضوئي في النبات تلك العملية التبادلية نهارا وليلا .

ويكثـر استخـدام الملاقف الهوائية في المناطق الحارة على وجه الخصوص كواحـة سيوة والمطروح والصعيد المصري (عمارة الصحراء)[١٧٢]بينما نرى هذا النوع من وسائل التهوية منتشرا في المضيرب ، وابراء ونزوى والرستاق وغيرها من مناطق عمان . (مجلة الدراسات العمانية) .[١٧٣]

وقد استخدمت النوافذ والفتحات العلوية كعوامل تهوية واضاءة في ذات الـوقت فنـرى أن القمرية والشمسية في العمارة المصرية تقابلها الكوة والمراق في مصـطلح العـمارة العـمانية وكـل منهما يؤدي وظيفته بكفاءة عالية وترتبط الكوى والقمرات بفتحات نوافذ الشبابيك حيث يدخل الهواء والضوء من الشباك نهارا ويخـرج الهواء الساخن من الكوة والقمرية ليلا وتساعد الكوة القمرية في ادخال الأشعة الضوئية ليلا ومنها اشتق اسمها وتعمل متضامنة مع الشبابيك التي اختلفت في طريقة تصميمها في كل من عمان ومصر .

ففي حين اننا نرى الشباك في العمارة العمانية ذا جلسة منخفضة تصل الى

(١٧٢) عمارة الصحراء .

(١٧٣) مجلة الدراسات العمانية .

مستوى الارضية أو ترتفع عنها قليلا بمقدار ١٠سم (مجلة الدراسات العمانية ، فنون العمارة الصحارية)[١٧٤]نرى أن جلسة الشباك في العمارة المصرية المدنية والصحراوية (تاريخ العمارة ـ عمارة الصحراء)[١٧٥]ترتفع عن الارضية بمقدار لا يزيد عن متر واحد وذلك مؤداه يعود الى أن العمانيين يجلسون على الارض مباشرة فيحتاجون الى الاضاءة لتكون في مستوى بصرهم والتهوية تلامس أجسادهم في حين أن المصريين يتخذون مقاعد للجلوس تفرض أن يكون الشباك في مستوى جلوسهم .

ولكن ظاهرة الشبابيك الضيقة في الطابق الأرضي ثم تتسع في الطابق العلوي كما هو في العمارة المصرية (نفس المصدر)[١٧٦] لا نراها شاخصة في العمارة العمانية . إذ أن فتحات الشبابيك تتخذ مقاسا تتراوح عروضها بين ٦٠ـ٨٠سم تقريبا ولكنها تكون نمطية وذات مقاس متحد في جميع الادوار والطوابق اما متطابقة الشكل في واجهة المباني أو يختلف شكلها في الطابق الأرضي عن الطوابق العلوية وتحلى أعتابها بزخارف جصية أو تغطى ذاتها بستائر خشبية أو حديدية أو جصية بغرض تقليل كمية الحرارة ، وزيادة المساحة الظلية ثم توفير قدر من الخصوصية للمبنى (عمارة عمان في العصر الاسلامي)[١٧٧]وتشترك العمارة المصرية معها في هذا السياق (تاريخ العمارة) .[١٧٨]

ومن الملاحظ أن معظم الشبابيك العمانية تكون مستطيلة الشكل ونرى نادرا أشكالا رباعية في حين أن المراق والكوة يأخذان أشكالا اما مستطيلة أو عقدية

---

(١٧٤) مجلة الدراسات العمانية ، فنون العمارة الصحارية .
(١٧٥) تاريخ العمارة ـ عمارة الصحراء .
(١٧٦) نفس المصدر .
(١٧٧) عمارة عمان في العصر الاسلامي .
(١٧٨) تاريخ العمارة .

وأحيانا دائرية وبالنسبة للكوة أما مربعة أو مستطيلة .

وأحيانا شكلا عقديا (فنون العمارة المحلية)[١٧٩]وتتحكم تناسق الواجهات الى حد بعيد في وضعها الشكلي المختار لها بحيث لا يشكل شذوذا على تناغم عناصر الواجهة (تراثنا ـ حصن جبرين) .[١٨٠]

ونرى أن الشمسية في العمارية المصرية غير مرتبطة بشكل محدود ولكنها فتحة مزخرفة أقرب الى الشباك في حين أن القمرية تأخذ شكلا معينا اما مربعا أو مسدسا أو مثمنا أو مستديرا يفتح من أعلى الجدران وفي رقاب القباب وتغطى بالزجاج الملون فيضفي وجودها جمالا على واجهة المبنى الداخلية والخارجية فضلا عن الوظيفة الأساسية في التهوية والاضاءة (المساجد) .[١٨١]

وبالاضافةالى دور الحوائط الرئيسي والهام في العملية الانشائية الا انها كانت تمارس دورا آخر بجانب ذلك اذ أن اسماكها الكبيرة والمواد المستخدمة في انشائها من طين وملاط وأحجار وطوب وقش وجير وجص وغيرها كلها ساعدت على توفير امكانية العزل الحراري والعزل الصوتي وهي مؤثرات بيئية استطاع المهندس المعماري أن يكسر حدتها باستخدامه الحوائط السمكية وأدى العزل الحراري الى تلطيف المناخ الداخلي للمسكن ومن ثم العمل على تبريده . كما وفر قدرا كبيرا من الهدوء والراحة النفسية عن طريق العزل الصوتي وعدم السماح للأصوات الخارجية بالنفاذ الى داخل المبنى (تاريخ العمارة ـ عمارة الصحراء ـ حسن فتحي) .[١٨٢]وهو ما تعمل على تقليلة وتنادي من أجله هيئات البيئة في العالم اذ

---

(١٧٩) فنون العمارة المحلية .
(١٨٠) تراثنا ـ حصن جبرين .
(١٨١) المساجد .
(١٨٢) تاريخ العمارة ـ عمارة الصحراء ـ حسن فتحي .

يعتبر من المؤثرات الخطيرة على سمع الانسان وحواسه (خالد أحمد علام ـ الايكولوجي) .[١٨٣]

ونلاحظ أن عمائر عمان ومصر تشترك في استخدام هذا النوع من الحوائط شأنها في ذلـك شأن المنـاطق العـربية الأخـرى وتبرز هذه الخصائص في معظم المساكن والمباني الحربية والدينية في عمان (مجلة الدراسات العمانية) .[١٨٤]

لقـد بنيت معـظم المساكن أو المساجد ، وحتى المباني الحربية ، والدينية الاخرى بطريقة الحوائط الحاملة ، ولم يكن البناء الهيكلي المعتمد على الخراسانات المسلحة كان معروفا في السابق لكن طريقة البناء بالحوائط أثبتت أنها لا تقل كفاءة عن غيرهـا بل وانها تتحدى تقلبات الزمن منذ فجر التاريخ وحتى الآن والذي ساعد تلك المباني في كل من مصر وعمان على الثبات هو أن معظم مواد البناء كانت ربيبة البيئة المحلية فهي ليست غريبة عن التقلبات الجوية ، ولديها من المناعة ما يكفيهـا للاستمـرار عمرا طويلا ، ومن هنا كانت مناداة المهندس حسن فتحي بالالتفات الى البيئة والاهتمام بمواردها المحلية واستغلالها في عملية البناء والتشييد (عمالقة القرن العشرين) .[١٨٥]

ونجد أن معظم المواد الأساسية المسخدمة في التشييد هي عبارة عن الطوب النيء كما في المساكن الصحراوية في سيوة بمصر (عمارة الصحراء)[١٨٦]أو في مساكن مناطق كثيرة من عمان كجعلان وبدية وغيرها (فنون العمارة المحلية) .[١٨٧]أو أنها تستخدم الطوب المحروق الذي استخدم في المباني الأثرية القديمة في المستوطنات

(١٨٣) خالد أحمد علام ـ الايكولوجي .
(١٨٤) مجلة الدراسات العمانية .
(١٨٥) عمالقة القرن العشرين .
(١٨٦) عمارة الصحراء .
(١٨٧) فنون العمارة المحلية .

العمانية (تراثنا) .[188] واستمر استخدامه الى فترات طويلة (البيوت الصحراوية) .[189] ومتقدمة ثم الحجر بكافة أنواعه الرملي والجيري والصواني وغيرها ، وقد اعتمدت عليه المباني الحربية بصفة خاصة والقصور الحربية وكذلك المدرجات ومساكن صور ، وصلالة ، ومسقط ، والرستاق ، والمضيرب ، وغيرها من المناطق العمانية (مجلة الدراسات العمانية)[190]

ودخل الجير والجص والصاروج والطين ، والقش في تركيب الخلطات (الغيلة) المستخدمة كملاط لهذه الأبنية وكصلحة (بياض أو تلييس) وكدهان من الداخل والخارج في تهيئة الجدران واعطائها منظرا جميلا كما أن الحصن لعب دورا كبيرا في اظهار جمال المشبكات الجصية (مشربيات) والنقوش وأعمال الزخرفة في الجدران والعقود والشبابيك كاطارات للأبواب والمحاريب وما شابه ذلك (عمان ونهضتها الحديثة) .[191]

وتدخل الأخشاب كعنصر هام وأساسي في صنع عملية البناء مشاركة على قدم المساواة مع العناصر الرئيسة الأخرى إذ أنه يدخل عنصرا مكونا لكثير من جزئيات المبنى سواء كان السقف أو الأبواب والشبابيك أو الأعتاب أو المشبكات الخشبية (المشربيات) أو الزخارف أو مزاريب المياه ويساهم في عملية تشكيل العقود المختلفة حيث تشكل دعامات لها ، فضلا عن كونه العنصر الرئيسي الذي تتكون منه المباني السعفية .

ولقد تعددت أنواعه المستخدمه فمنها محلية كأخشاب النخيل ، والسدر ،

---

(١٨٨) تراثنا .
(١٨٩) البيوت الصحراوية .
(١٩٠) مجلة الدراسات العمانية .
(١٩١) عمان ونهضتها الحديثة .

والسمـر ، والجوز وأحيانا مستوردة كأخشاب الكندل وهي أخشاب افريقية ثم هناك خشب الساج المستورد من الهند وأفريقيا ويدخل البساط أو الحصيرة السعفية في عملية مزدوجة بالنسبة للأسقف فهي تشكل من الداخل مسطحا جميلا يمكن زخرفته وأحيانا تكون في الأصل مزخرفة ومعدة لهذا الغرض ومن الأعلى تصبح السطح الذي يحمل المادة المصبوبة من الصاروج والتبن أو الطين المطروق التي تشكل بلاطة السقف (فنون العمارة المحلية) .(١٩٢)

والحديد يدخل كعامل مكمل ومساهمته تصبح محدودة بالقياس للأخشاب حيث انه يدخل في حماية الشبابيك والمنافذ باستخدام القضبان والستائر الحديدية كما انـه يعتـبر عامـلا هامـا ، في الأمان من حيث توفير المشغولات الحديدية ، والأقفال والمسامير ، ومحاور الحركة وما شابه ذلك .

وتتشابه مواد البناء المستخدمة في فن العمارة المصرية التراثية مع ما هو موجود في العمارة العمانية ، ولكنها تختلف عنها في استخدام بعض المواد ، كالصاروج ، وكذلك المواد السعفية ، وتركز على استخدام الأحجار والطوب الأحمر أو المحروق (تاريخ العمارة)(١٩٣)الا أن المباني الصحراوية في سيوة ومثيلاتها تتلاقى مع المباني العمانية في استخدام الطوب النيء (عمارة الصحراء) .(١٩٤)

والملاحظ إما أن يكون في العمارة العمانية مكوناته من الطين أو الجير وفي كل منهما يدخل الرماد والفحم كمادة رابطة ومساعدة على عملية التماسك (فنون العمارة المحلية) ويكـاد الجـير يأخـذ مركـز الصدارة في عملية طلاء المباني والتكسيات الداخلية والخارجية وتشارك في تكوين مزيج الطلاء مواد أخرى كالفحم النباتي

---

(١٩٢) فنون العمارة المحلية .
(١٩٣) تاريخ العمارة .
(١٩٤) عمارة الصحراء .

والرماد والرمال البركانية (مجلة الدراسات العمانية) وتشهد مساكن المضيرب بكثير من هذه الاستخدامات لكن الجبس أيضا يستخدم بجانب الجير في هذه العملية ولكن في نطاق أقل اتساعا ونرى نماذج له في صور ، ومطرح ، ومسقط ، وابراء وغيرها (نفس المصدر) . ويأخذ الطلاء الطيني والتبن حيزا في مشاركته عملية البناء .

وللطوب مقاسات مختلفة في عمان بحسب نوعه ، فنرى أن الطوب الطيني ـ النيء ـ والمكـون من الـطين المخلوط بالجص أو بالتبن تكـون مقـاسـاتـه ١٢×١٢×٣٠سم ، في حين أن الطوب المحروق أو الأحمر ينفرد بقياسين بشكل مربع في مقاسين مختلفين ، فالأول ١٧×١٧×٤ , ١سم والثاني ١٩×١٩×٥ , ٤سم (فنون العمارة المحلية) .[١٩٥]

وقـد أوضحت لنـا الكشوف التاريخية والمستوطنات العمانية نوعا آخر من الـطوب ، ذي الشكـل المخـروطي وغالبا ما يستخدم في بناء المنشآت الدائرية كالأبراج ، والآبار وغيرها (تراثنا) .

وتستخدم في مصر أنواع أخرى من الأخشاب بمسميات مختلفة كخشب المـوسكي والخشب الأبيض ، وغـيرهمـا تدخل في صناعة الأبواب والشبابيك ، والأسقف والأرضيات ، والمشربيات وغيرها (الموسوعة الهندسية) .[١٩٦]

أمـا النخيل فتدخل في جانب كبير من انشاءات المباني في سيوة والمناطق الصحـراوية (عمارة الصحـراء) ، ولكن الطوب المستخدم في مصر يختلف في

---

(١٩٥) فنون العمارة المحلية .
(١٩٦) الموسوعة الهندسية .

مقاساته عن الطوب المستخدم في عمان وفي أغلب الأحيان يكون مستطيلا وبمقاسات عديدة منها ٢٥×١٢×٦سم ، أو ٢٥×١٤×٦سم ، ٢٩×١٤×٩سم ، وأحيانا ١٤×٨×٤سم ، أما الطوب المربع فيكون قياس بعضه ٢٥×٢٥×٦سم (مواد البناء وطرق الانشاء)[١٩٧]وهو أكبر حجما عن الطوب المربع المستخدم في البيوت الصحارية في عمان والذي مقاسه ١٩×١٩×٥,٤سم (فنون العمارة المحلية) .[١٩٨]

أما فيما يتعلق بالملاط ، فان مواد الجير والطين والجبس ، دخلت في تكوينه كمواد أساسية مضافا الى مزيجها التبن في البيوت الريفية والصحراوية المصرية (عمارة الصحراء)[١٩٩]واعتمدت الزخارف والنقوش والستائر على الجص اعتمادا كبيرا في تكويناتها البديعة فضلا عن الأخشاب (تاريخ العمارة) .

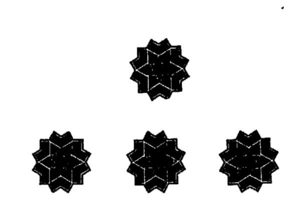
وكان للحجر شأن كبير في المشاركة الانشائية بالنسبة للمباني المصرية حيث دخل هيكله أبنية المساجد والمدارس والمساكن ، والقلاع والأسوار وغيرها واستخدم بنوعيه القشيم أي غير المنتظم والدستور أي المنتظم وأوضح دليل على ذلك الأهرامات العظيمة (عمارة الحضارات القديمة)[٢٠٠]وقلعة قايت باي ، وقلعة صلاح الدين وغيرها من الشواهد والمعالم الأثرية الخالدة (تاريخ العمارة)[٢٠١]واستخدام (القيشاني) في عدة مباني في عمان منها المبنى الموجود في قلهات في ولاية صور (عمان ونهضتها الحديثة ـ مجلة الدراسات العمانية) ، ومبنى

---

(١٩٧) مواد البناء وطرق الانشاء .
(١٩٨) فنون العمارة المحلية .
(١٩٩) عمارة الصحراء .
(٢٠٠) عمارة الحضارات القديمة .
(٢٠١) تاريخ العمارة .

السفارة البريطانية (لمحة تاريخية على المباني الاثرية في مسقط)[٢٠٢]وأخرى متناثرة على امتداد الوطن العربي في حين أن استخدام القيشاني في مصر كان أكثر عنه في عمان حيث استخدم في المساكن ودور العبادة وغيرها ، ذلك راجع الى انفتاح مصر على الغير وتأثرها مما في الشام والعراق وتركيا ، وغيرها (تاريخ العمارة) .[٢٠٣]

وعلى كل فإن أوجه المقارنة بين ما تمثله العمارة العمانية ومكوناتها وعناصرها المعمارية وبين مثيلاتها في مصر نرى أنه يستحق تفصيلا أكثر ، ربما يتيح لنا الزمن مندوحة منه .



(٢٠٢) لمحة تاريخية عن المباني الاثرية في مسقط .

(٢٠٣) تاريخ العمارة .

خاتمة

لقد سعينا في هذا البحث الى التعرف على العلاقة الوطيدة التي ربطت مصر بعمان منذ أقدم العصور الممتدة الى ما قبل التاريخ وذلك عن طريق استعراض جوانب من هذا الترابط في العلاقات التي تجسدت في كثير من المفاهيم الدينية الدالة على توحد الفكرة حول البعث والايمان بالحياة الأخرى ، حيث صممت القبور في الآثار العمانية المسماة بخلية النحل (تراثنا)[٢٠٤]بما يتقارب الى حد التماثل مع القبور الشبيهة بها في بلاد النوبة والمسماة بالقبور التلية (حصاد ندوة الدراسات العمانية) .[٢٠٥]كما ظهرت أهمية فكرة التحصينات في كل من مصر وعمان وبرز الدين كعامل رئيسي موجه لمسيرة الحضارة في مصر من خلال الاهتمام بانشاء المعابد الضخمة كالكرنك وأبو سمبل وغيرهما .

إذ يمتد جسر يربط بين المعبد وقصر الحاكم ويبين هذا الاتصال فكرة توحيد السلطة الدينية وامتزاجها بسلطة الدولة (عمارة الحضارة القديمة) .[٢٠٦]في حين لاحظنا غيابا لهذا الامتزاج في الآثار العمانية قبل الميلاد (تراثنا)[٢٠٧]ولكن السلطة السياسية الممثلة في التحصينات المنفصلة والموجودة في أماكن مرتفعة ـ وفي أغلب الأحيان ذات موقع وسطي ـ برزت بشكل أقوى ومنفصل عن السلطة الدينية حيث أوحت المقابر الموجودة في أماكن منعزلة في طرف المدينة بهذا الانفصال مما يشير الى ضعف السلطة الدينية بالنسبة للسياسية أو على الأقل كانت تمارس دورها بمعزل عنها ولا تتدخل في شؤونها وربما ذلك عائد الى وجود اله خاص .

---

(٢٠٤) تراثنا .
(٢٠٥) حصاد ندوة الدراسات العمانية .
(٢٠٦) عمارة الحضارات القديمة .
(٢٠٧) تراثنا .

ولكن الاكتشافات القادمة سوف تثير قضايا مهمة على هذا الصعيد وسوف تظهر لنا جوانب حضارية كثيرة وشواهد أثرية قد تساعد الى حد بعيد على بلورة مفهوم أوضح وأكثر صراحة . كما أظهرت لنا العناصر المعمارية من مساقط وواجهات وأساليب للتهوية والاضاءة وكيفية الانشاء وغيرها للمساجد والمساكن ـ التي تناولناها في هذه الدراسة ـ جوانب هامة من التشابه في مكوناتها وأخرى من الاختلاف في تفاصيل جزئياتها ونرى أن مرد ذلك يعود الى اعتبارات عدة منها طبيعة البلاد المحلية وطبيعة مواردها ونوعية مواد البناء المستخدمة في هذه الأبنية ومقدار التفاعل مع التأثيرات الواردة من الحضارات الوافدة على المجتمع ثم موقع كل من البلدين إذ حتم موقع مصر عليها الاتجاه نحو الغرب في حوض البحر الأبيض المتوسط بينما حتم موقع عمان عليها الاتجاه نحو الشرق في الهند والصين والتعامل مع أفريقيا غربا .

ونرى الاتجاه العماني كان أغلبه ذا حركة خطية أفقية من الشرق الآسيوي الى شرق أفريقيا غربا ولكن ظلت منطقة الرافدين وحضارة فارس قاسما مشتركا في اتجاه الحركة لكل من مصر وعمان ولا يعني هذا الرأي أن عمان لم تتجه الى شمال افريقيا أو حتى انها لم تتصل بالحضارات الأخرى كاليونانية والرومانية ولكن مقدار هذا الاتصال أقل عما هو بالنسبة لمصر وكذلك بالنسبة للاتصال المصري نحو الشرق وقد دلت الاكتشافات الأثرية العمانية على وجود حيوانات افريقية على الأرض العمانية (مجلة الدراسات العمانية)[٢٠٨] كما ان رحلة السندباد التي نظمتها وزارة التراث القومي والثقافة تأتي في نفس سياق هذا المفهوم (رحلة السندباد) .[٢٠٩]

---

(٢٠٨) مجلة الدراسات العمانية .

(٢٠٩) رحلة السندباد .

ويعود توثق علاقة عمان بشمال افريقيا في فترة ما بعد الاسلام الى التوافق في كثير من القضايا ولكون موقع عمان كبوابة للشرق العربي والمغرب كبوابة للغرب العربي . ولقد دون المؤرخون اليونانيون والرومانيون معلوماتهم عن عمان بشيء يثير الرغبة في معرفة المزيد ، وأوضحوا مدى الاتصال بالحضارة اليونانية ورغبة الرومان في تعزيز هذا الاتصال حتى وان كان عن طريق القوة بغزو البلاد وشن الهجمات عليها (عمان تاريخ يتكلم ، الجزيرة العربية) .[٢١٠]

لقد انطلقت حركة العمران في كل من مصر وعمان من معطيات كثيرة ساهمت في تكوين الأرضية الواسعة لفكر المهندس المعماري وتوجيهه وظهرت في أساليب التخطيطات وطرق الانشاء ومواد البناء المستعملة وكيفية المعالجات المختلفة .

وكان الموروث من العادات والتقاليد والتاريخ يتفاعل مع المعطيات الحضارية الأخرى التاريخية عن الاتصال الحضاري والعلاقات الدولية بحيث يشكل جزءا من النسيج الفكري المؤثر في عملية التخطيط والانشاء كما ان الحاجات الانسانية للفرد من نفسية واقتصادية واجتماعية تتمثل في الحاجة الجسمية والأمان والاطمئنان والشعور بتحقيق الذات ، امتزجت جميعها مع ما سبق من معطيات ولعبت دورا في تخطيط المبنى وتحديد مستوياته .

وبدأ الاسلام بمفاهيمه السمحة كاطار شامل احتضن تلك المعطيات وأضفى عليها مزيات أخرى تتعلق بالمشاركة الاجتماعية المتمثلة في الاحساس بالغير والتعرف عليه فكانت قضية الحقوق سواء للنفس أو للغير من المؤثرات البليغة على تخطيط المبنى وكذلك تخطيط المدينة وتوجيهها وقد ساعد كل ذلك على

---

(٢١٠) عمان تاريخ يتكلم ، الجزيرة العربية .

توسيع مفهوم نطاق الوعي الثقافي الذي ظهرت ملامحه في كثير من العناصر المعمارية في العمارة الاسلامية وكان الاسلام هو القاسم المشترك والارضية التي تقف عليه فكرة التخطيط والبناء في مسيرة الحضارة الاسلامية وتاريخ عمارتها .

ولقد حاولنا التأكيد على أن العامل البيئي يدخل شريكا رئيسيا مع العامل الفكري والحضاري والعامل الحاجي ويمثل مساحة واسعة في المشاركة الانتاجية في عملية التخطيط والبناء . والأمثلة التي سقناها تبرز كيفية تعامل المهندس المعماري العربي مع البيئة وكيفية الاطروحات في معالجة جوانبها المختلفة من خلال خلق تلاؤم المحيط الداخلي للبناء مع المحيط الخارجي باستخدام تقنيات بسيطة ومحكمة كالفناء وملاقف الهواء والفتحات من شبابيك وقمريات (مراقات) وكوى (شمسيات) وحوائط سميكة كما أظهر معرفته الكاملة بالنظام البيئي المتعلق بحركة الهواء والاضاءة والحرارة والتهوية ليلا ونهارا .

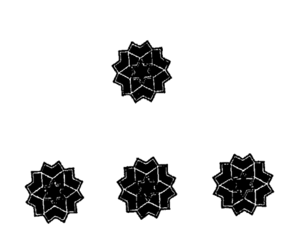
وبدت المواد المستخدمة في البناء كجزء من هذا النظام البيئي المتكامل الذي تتجاوب فيه عناصر أخرى كالتضاريس والجيولوجيا والمياه وغيرها وبحيث شكلت ملحمة بنائية في نظام بيئي متكامل يقاوم صروف الزمن ويقهر كل ما يسعى الى تعريته ومسخه .

إن الأهمية القصوى تكمن في التعرف على النظام البيئي المحيط الذي سوف تتم فيه عملية التعمير ويبدو أن التعرف على البيئة قد اتسع أكثر فجاوز الدراسات التاريخية والأدبية والعلمية التي تحاول ـ قبل الشروع في بحث أي مشروع ـ التعرف على البيئة التي نشأ فيها أو سينشأ فيها ذلك المشروع بغرض تحديد اتجاهاتها الصحيحة وبلورة رؤية واقعية ومنظور يجنح الى الصحة والصواب .

وتكمن أهمية الـدراسـة التاريخية في الحصول من خلالها على المعرفة التي نحتاجها في أعمالنا قبل الشروع فيها خاصة اذا كانت هذه الأعمال معمارية وتحتاج منا الى معرفة الأنظمة المتبعة التي لا يمكن التوصل اليها الا من خلال الدراسة التاريخية .

وبمزيد من التحليل لعناصرها ومعطياتها سوف نتمكن من الحصول على نتائج أفضل ملاءمة لنا وأكثر تقنية وبالتالي فإن دراسة أساليب البناء والتشييد في عمان سوف تعود علينا بمردود ايجابي يمكننا من اختباراتنا التي تتلاءم مع طبيعة وواقـع ومتـطلبـات وتطلعات واقتصاديات بلادنا وقد يتأتى لنا ذلك من خلال مشروع قومي يحدد أهدافه ومضامينه وأساليبه .

والله نسأل أن يوفقنا سواء السبيل .



المناقشات والمداخلات

د. الحسيسي

أشاد بالبحث ولكنه توقف عند ثلاث نقاط هي :

١ ـ تلخصت الأولى في دعوته لاعادة النظر في العنوان الذي اختاره الباحث لورقـة بحثـه مقترحا استبداله بعنوان (دراسة معمارية مقارنة) بدلا من (الفنون المعمارية في كل من مصر وعمان من حيث التمازج والاختلافات) .

٢ ـ لدى تعقيبه على (العوامل المؤثرة) دعا الى جعل (الاسلام) على رأس العوامل المؤثرة باعتباره الأساس في ايجاد التشابه المعماري بين مصر وعمان .

٣ ـ تمثلت النقطة الثالثة في مداخلة الدكتور الحسيسي في تأييده دعوة الباحث الى توحيد مصطلح العمارة .

د. رجب محمد عبدالحليم

أمـا الـدكتـور رجب محمـد عبـدالحليم فقد توقف عند بعض اللمحات التاريخية الواردة في البحث معلقا على ما ورد فيه بأن (عمان اتجهت اتجاها شرقيا ، ومصر الى بلاد الـرومان) فقال : (عمان اتجهت شرقا) « هذا صحيح ، لكن الصلة النـاجمـة عن ذلك الاتجاه إلى الشرق لم تقطع صلة عمان بالجوار القريب والمتمثل في صلتها بشبه الجزيرة العربية وغيرها » .

ضاربـا المثـل على نوطُّد هذه الصلة بأسواق العرب التي كانت تنتشر في الجزيرة العربية ، ومن بينها (٣) أسواق تقام في عمان من مجموعها العشر .

ويتابع حديثة مؤكدا على عمق هذه الصلة فيقول : « ان الصلة التجارية

والبشرية موجودة بين عمان وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية ، وهناك أيضا تجارة عمان مع بلاد الرافدين والبصرة بعد الاسلام ، وهناك طرق تجارية عرفها العمانيون منذ أقدم العصور ، طريق تجاري الى العراق . . الشام . . أوروبا ، وطريق آخر من عمان . . عدن . . ينبع . . السويس .

وبعد ظهور الاسلام شاركت عمان في فتح بلاد الشام ومصر بل نرى الكثير من الأزد ومهرة العمانيين يستقرون في مصر ، وهناك المذهب الاباضي الذي انتشر في شمال افريقيا وهذا غيض من فيض يؤكد على أن صلة العمانيين لم تقتصر على الشرق فقط » .

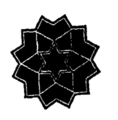
- المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي

بكلمات شديدة الايجاز يجيب المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي على المداخلات التي اثيرت في بحثه ، متوقفا بادىء ذي بدء عند ملاحظات الدكتور السيد الحسيسي ، مشيرا إلى ان « اصطلاح (التمازج) لأن التشابه تعني التمازج سواء كان تمازجا من قريب أو بعيد » ويتابع توضيحه فيقول : « ولقد آثرت اختيار كلمة (الاختلاف) وهي اختلافات غير عميقة لاعطي القارىء انطباعا أوليا بأن هناك شيئا جديدا ، أما بالنسبة للاسلام فإنه العامل الرئيسي لتطوير الفنون وتشابهها ، ووضعه رقم (٢) ضمن (العوامل المؤثرة) لا يعني التقليل من دوره » .

ويتوقف المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي عند النقاط التي أثارها الدكتور رجب محمد عبدالحليم فيقول : « نعم . . اشرت الى عمان وعلاقتها بالشرق ، وشرق افريقيا ، ولكنني أشرت ايضا الى ان عمان وصلت الى شمال

افـريقيا وذكرت الوسائل والدوافع التي كانت وراء هذه الصلة . كما أشرت إلى علاقة العمانيين بحضارة السند والهند والحضارة الرومانية ، ولم تفتني الاشارة الى المؤرخين الرومان الذين ورد ذكر عمان على السنتهم » .

مشـيرا بهذا الصدد الى بقايا الحيوانات التي تم اكتشافها مؤخرا بالسلطنة وتعود في أصلها الى افريقيا ، وأنه لم يسهب في هذه الناحية خشية أن يخرج عن صلب موضوع ورقة البحث .



لمحات مضيئة في مسيرة التاريخ المصري العماني

بحـث مقـدم مـن

د. أحمد السيد الصيسي

استاذ مساعد بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس

إذا استعـرضنـا تاريخ البلدين نجـد التلاقي واضحا في فترات كثيرة من التـاريخ لكـل منهـما ، كما نجـد أنهما يكملان مسيرة بعضهما البعض في فترات أخرى ، ومرة ثالثة نجد كلا منهما يتبادل المواقع القيادية في بعض نواحي الحياة في المنطقة وخاصة الناحية البحرية .

وتبدأ الصلات منذ عصر قدماء المصريين الذين كانوا يجلبون ما يلزمهم من مواد تحتاجها عملية التحنيط التي اكتشفوها ـ من عمان ـ أو على الأقل كان ينقلها البحارة العمانيون الذين لعبوا دورا متزايدا في التجارة البحرية في المحيط الهندي ، وهي التجارة التي كان يعتمد عليها الى حد كبير ، في رخاء منطقة جنوب جزيرة العرب ، لاسيما سبأ ، فتجارة مواد الطيب والبخور التي كانت تنقل بحرا من الهند وشرقي افريقية ، ثم برا على امتداد الساحل الغربي لجزيرة العرب كانت من أهم ما ساهمت به جزيرة العرب في حضارة العالم القديم . فالتوابل ، ومواد الطيب ، لم تكن تستعمل في منطقة البحر الأبيض المتوسط فحسب ، وانما كانت تدخل في تركيب المراهم والعطور والمساحيق ، ومواد التجميل والبخور والأدوية ، ومن ثم كان الاقبال عليها كبيرا ، وكانت المراسم الدينية والاحتفالات العامة تستهلك منها مقـادير كبـيرة على نحو ما كان يفعله المصريون مثلا في عمليات التحنيط ، أو الرومانيون عند حرق موتاهم .[١]

ومن المعروف أن أغلب شعوب العالم القديم طمعت في الخلود واستئناف الحياة بعـد المـمات ، كما طمـع المصريون سواء بسـواء ، ولكن بينما رتبت هذه الشعـوب طمعهـا في الخلود على الأمـل وحـده ووقفت عنده ، رتب المصريون طمعهم فيه على المنطق والعمل والأمة والعقيدة في آن واحد ، وكانوا أول أمة آمنت

(١) وزارة التراث القومي والثقافة (سلطنة عمان) ـ عمان في أمجادها البحرية العدد ٨ ط ٢ ص٨ ـ ٩ .

بالبعث والخلود من تلقاء نفسها وأصرت عليهما .

ونستطيع أن نفترض أنهم حينما رتبوا أملهم في الخلود على مبررات مقنعة وجدوا في خصائص بيئتهم ما يوحي لهم بمنطقية فكرية ويشجعهم على طلبه ، فقد اعتادت أغلب أجيالهم منذ فجر تاريخهم على أن يدفنوا أمواتهم في الحواف الصحراوية (والغربية منها بخاصة) لينأوا بمقابرهم عن رطوبة الأرض الطينية ، ويتركوا الأرض الطمية للزراعة ويوفروا أراضي القرى لاحيائها ، وشيئا فشيئا تبينوا أن مقابرهم الصحراوية تحفظ جثث موتاهم بحالة لا بأس بها لفترات غير قصيرة ، وعندما اختلطت هذه الظاهرة بأحاسيسهم الدينية ردوها أساسا إلى قدرة ربانية حانية ، وقدروا أنهم إذا حنطوا جثثهم وتوجهوا لمعبودهم الذي تخيلوه ربا راعيا لجثث الموتى وقادرا على حفظها وحاميا للجبانات أن تظل محفوظة لأطول مدة ممكنة .

وننتقل من موضوع التحنيط عند قدماء المصريين والذي كان سببا في ربط البلدين منذ أقدم العصور الى لمحة مضيئة أخرى في بداية القرن الخامس الهجري وبالتحديد في امامة الامام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي وهو أحد الائمة الأجلاء في عمان واليه ينتسب آل الخليل الذين بعمان ، وقد سار في الناس سيرة حسنة جميلة ، ودفع عنهم الجبابرة وأمنت بعدله البلاد واستراحت في ظله العباد ، ودانت له الممالك ، ووفدت اليه الوفود لظهور العدل ، وانتشار الفضل ، وقام الخليل بواجبات الأمة في حلها وترحالها ، ودافع الخصوم وصارع الجبابرة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وانتشر له حيث شاع في الجزيرة إلى اليمن ، وحضرموت ونحوها ، وقامت امامته على أعمدة العدالة والانصاف والمساواة بين المسلمين .

ووفد عليه الامام أبو اسحاق ابراهيم بن قيس بن سليمان الحضرمي ، من أرض حضرموت مستنجدا به ومستعينا بالمسلمين على حرب أهل بلاده الخارجين عن طاعته في حضرموت واليمن ، فأيده الامام الخليل بالمال والرجال حتى وطد به دعائم ملكه في تلك الاطراف اليمانية . . فاستقر الأمر للامام الحضرمي البطل المقدام في أرض حضرموت بهمة الامام الجليل الخليل بن شاذان رحمه الله .[1]وقد ورد ذكر هذه المساعدة في كثير من الكتب التي تعرضت لتاريخ المنطقة . فقد ذكر صاحب المعالم ان ابا اسحاق لم يجد في حضرموت من يناصره في صد غارات القرامطة ، فالتجأ إلى الخليل بن شاذان امام عمان طالبا منه النجدة ، وبعد انتصار ابي اسحاق على مناهضية ارسل بقصيدة الى الخليل امام عمان مع وفد وجهه اليه عقب انتهاء الحرب يخبره فيها بما تم له من النصر وفيها يشير الى الصليحي أحد حكام اليمن في ذلك العهد ، اذ يقول :

ولم يبق لي الا الصليحي قائما وها هو أيضا سعده غير قائم

الى أن قال :

إذا وفده ولى الى مصر رائدا معنى وفدنا قصدا لخير المعالم

يعني عمان أي إذا ولى الصليحي الى مصر مضى وفدنا الى عمان ، فهو يستنجد بمصر ونحن نستنجد بعمان .[2]

وهنا بيت القصيد في هذه الحادثة التي تدل على أن مصر وعمان كانا يمثلان في ذلك الوقت جناحي أمان وأمن للمنطقة بأسرها وكانا يكملان بعضهما البعض في توفير الحماية والاستقرار لشقيقاتهما من الدول العربية المجاورة ، فمصر لها دورها

---

(١) سالم بن حمود بن شامس السيابي - عمان عبر التاريخ جـ٢ ص ٥ - ٨ .

(٢) عمان عبر التاريخ جـ٣ ص١٠ .

المعروف في افريقيا وكذلك كانت تعد عمان من أهم أقطار الشرق ومنطقة المحيط الهندي ، وقد اكتسبت هذه الأهمية من النشاط التجاري والبحري للموانىء العمانية فضلا عن وضع البلاد كقوة سياسية اقليمية لها أهميتها البالغة .

ولمحة أخرى تبين أن الأحداث التاريخية بالمنطقة أدت إلى أن كلا من مصر وعمان تبادلا مركز الصدارة في عمليات التجارة البحرية ، ففي أعقاب التحول الفكري الذي طرأ على الجو السياسي في الشرق الأوسط أخذت حالة ميناء سيراف تتدهور ، فمع انهيار سلطان الخلفاء العباسيين في العراق وانتشار الفوضى السياسية ، أخذ الغزاة يهاجمون سيراف من البر والبحر ، ومن ناحية أخرى فإن ظهور مصر كقوة سياسية وثقافية واقتصادية لم يساعد على تدهور حالة الميناء المذكور وحسب ، بل والى تحول تدريجي في التجارة البحرية عن موانىء الخليج ، بينما كان العراق في ذلك الوقت نهبا لقلاقل واضطرابات سياسية عنيفة . وقد تمخضت الأوضاع في مصر عن قيام الخلافة الفاطمية هناك كقوة منافسة لدولة العباسيين في العراق . وفي القرن الحادي عشر اكتسب طريق البحر الأحمر السويس أهمية تضارع الأهمية التي كان يحتلها الخليج في عهد ازدهار العراق . وهو الازدهار الذي انهار والدولة هناك في أوج قوتها . ومن جهة أخرى كانت مصر في ذلك الوقت تستعيد المكانة التي كانت قد بلغتها أيام الرومان كوسيط للحركة الملاحية في أوروبا والاقطار الآسيوية .

ولقد أسفرت الثورات والغزوات التي كانت تجتاح العراق عن تحول حركة التجارة والملاحة عن طريق البحر الأحمر ـ السويس ـ كما أدى انهيار حكم العباسيين في العراق الى تدهور الاوضاع في الخليج متمثلا في ازدياد القلاقل الملاحية وضعف النشاط التجاري عبر الخليج وهو في أوج قوته .[1]

---

(١) روبرت جيران لاندن ـ عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ترجمة محمد أمين عبدالله ط ٤ ١٩٨٩ ص ٢٧ .

ولمحة أخيرة من اللمحات المضيئة في تاريخ البلدين تبرز دور عمان حديثا في الـدفاع عن المنطقة ضد البرتغاليين فالمعروف أن أوروبا ما لبثت بعد سحق الوجود الاسلامي في أسبانيا ، أن بدأت بقيادة أسبانيا والبرتغال ، ومن بعدهما بريطانيا وهولنده وفرنسا عملية الالتفاف التاريخية المعروفة على عالم الاسلام عبر خطوطه الخلفية في أفريقيا وآسيا والتي كانت بمثابة التمهيد لحركة الاستعمار القديم التي ابتلي بها العالم الاسلامي فيما بعد ، والتي استمرت حتى العقود التي أعقبت سقوط الخلافة العثمانية .

كان المماليك في مصر والشـام قد بلغـوا مرحلة الاعياء ، وكان اكتشاف الطريق البحري الجديد حول رأس الرجاء الصالح قد وجه لتجارتهم التي هي بمثابة العمود الفقري لمقدرتهم المادية ضربة قاصمة .

أما العثمانيون فكان جهودهم منصبا على اختراق أوروبا من الشرق ، ولم تكن لديهم الجسور الجغرافية التي تمكنهم من وقف محاولة الالتفاف تلك في بدايتها الأولى ولكنهم ما لبثوا بعد عدة عقود أن تحركوا لمجابهة الموقف . ومع ذلك فقد دافعت الشعوب والقيادات الاسلامية المحلية في المناطق التي ابتليت بالغزو دفاعا مستميتـا ، وضربت مثـلا طيبا في مقاومتها المتطاولة للعدوان ، وألحقت بالغزاة خسائر فادحة على طول الجهات والمواقع الساحلية التي سعى هؤلاء الى أن يجدوا فيها موطىء قدم لهم .

يقول جورج كيرك : لقد كان هدف هنري الملاح هو استمرار الصليبيين بواسطة التغلب على دار الاسلام حربيا وتجاريا ، وانتزاع تجارة الذهب وغيره من أيدي المسلمين والاتصال في جنوب الصحراء بنجاشي الحبشة للتعاون معه على مهـاجمـة المسلمـين من الجنوب ومن هنا بدأت في أوائل القرن التاسع الهجري

(الخامس عشر الميلادي) وخلال القرن العاشر حركة يقودها البرتغاليون والاسبانيون في الاستيلاء على موانىء شواطىء افريقيا (مراكش والجزائر) سبته وطنجه ومليله والمرسى الكبير ، ثم اتصلت هذه المحاولات باحتلال البرتغاليين للبحرين ومسقط بقصد محاصرة الاساطيل العربية في البحر الأحمر والخليج .

وكان البرتغاليون قد وصلوا الى رأس الرجاء الصالح عام ١٤٨٧ واستطاع الفونسو البوكرك اقامة دولة في الشرق واستولى على مدينة هرمز ، ثم سيطر البرتغاليون على الخليج العربي خلال القرن السادس عشر ، وأبحر فاسكودي جاما الى موزمبيق وفي عام ١٥٠٢م سيطر على زنجبار ، وعام ١٥٠٥ خرج من البرتغال أسطول تعداده عشرون سفينة فاحتلوا سفاله وكلوه وممباسا وبلغوا مسقط وهرمز عام ١٥٠٩ . وفي عام ١٥١٩ احتلوا السواحل الافريقية وانتزعوها من أيدي العرب .

غير أن هذه الحركة لم تصل الى ما كانت تطمع فيه فقد أوقفتها القوة الاسلامية العثمانية النامية التي استطاعت أن تقضي عليها ، فقد ظهر العثمانيون في مياه الخليج عام ١٥٨٥ وقابلهم أهل الساحل بحماس شديد كما دخلت دولة المماليك مع البرتغال في حروب بحرية ، ثم خلف الفرنسيون والهولنديون والانجليز البرتغال وأسبانيا وخطوا خطوات واسعة كان أبرزها استيلاء هولندا على أرخبيل الملايو ، وفرنسا وانجلترا على افريقيا واستأثرت انجلترا بالهند ، كما ناهض الانجليز البرتغاليين وارسلوا سفنهم الى بلاد فارس عام ١٦١٦ ، وقد استطاع العثمانيون انقاذ العالم العربي من الغزو البرتغالي الاسباني الذي استهدف خنق التجارة العربية ، وحين حاولوا السيطرة على ساحل المغرب الاسلامي للاغارة عليه وضربه سارع العثمانيون بالسيطرة على المغرب كله ما عدا مراكش واستطاعوا

مواجهة الاسبان في حوض المتوسط وجزائره وسواحله ، وأدلوا منهم ، وبذلك استطاعت القوة البحرية العثمانية أن تحفظ شاطىء البحر المتوسط للعروبة والاسلام ، واستطاع العثمانيون أن يسيطروا على ساحل شرق افريقيا وشمال المحيط الهندي في مطلع القرن الثامن عشر فأرهب ذلك الأوربيين .

واستطاع أحمد بن سعيد عام ١٧٤٠م أن يقف في وجههم في عمان حيث فقد البرتغاليون الأمل في استرداد هذه المنطقة ، وقد كانت عمان بعد سقوط الاندلس أكبر قوة عربية ودامت نهضتها من عام ١٠٠٠هـ الى ١٢٥٠ هـ وقد استولت على ثغور البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج ، فأفريقيا الشرقية الى رأس الرجاء الصالح ، وفي بضعة أجيال صار أهل عمان سادة هذه البحار العظمى الثلاثة ، وصار لهم أسطول ضخم هاجم الاسطول البرتغالي وأجلاه عن جميع الثغور الهندية والفارسية والافريقية .

وهكذا تبين الأحداث عدم توفيق المماليك ثم العثمانيين في القضاء على الخطر البرتغالي الى أن قامت عمان باقصاء البرتغاليين وتصفية نفوذهم ، وصدهم عن التحكم في التجارة واحتكارها لمصلحتهم .

وبعد ؛ فهذه بعض اللمحات المضيئة على طريق العلاقات المصرية العمانية على طول التاريخ التي تؤكد أن عمان ومصر كانتا بمثابة صمام الأمن للعالم العربي والاسلامي ولعبت كل منهما دورا بارزا على الصعيدين المحلي والعالمي ، ولازالت مصر وعمان من العلامات البارزة التي تضيء الطريق للعرب والمسلمين بما تشارك فيه كل منهما في كافة القضايا العربية والاسلامية وأيضا العالمية .

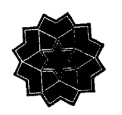
المصـــادر :

(١) وزارة الـتراث القومي والثقافة (سلطنة عمان) ـ عمان في أمجادها البحرية العدد ٨ ط ٢ ص٨ ـ ٩ .

(١) سالم بن حمود بن شامس السيابي ـ عمان عبر التاريخ جـ٢ ص ٥ ـ ٨ .

(١) عمان عبر التاريخ جـ٣ ص١٠ .

(١) روبرت جيران لاندن ـ عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ترجمة محمد أمين عبدالله ط ٤ ١٩٨٩ ص ٢٧ .



تعقيب علي بحث الدكتور أحمد السيد الحسيسي

الاستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة عين شمس

بعنـــــوان

لمحات مضيئة في مسيرة التاريخ المصري العماني

بقلم : خليل بن حمدان طبش

دائرة تطوير المناهج ـ وزارة التربية والتعليم

أيها الأخوة الأعزاء :

لا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل الى الدكتور أحمد السيد الحسيسي على ما تناوله في بحثه من لمحات كشفت عن بعض من جوانب التاريخ المصري العماني عبر العصور التاريخية . ولاشك أن مثل هذا البحث يلقي الضوء على أن العلاقات المصرية العمانية وطيدة منذ القدم ، ومتطورة عبر فترات التـاريخ ، إضافة الى انها تكشف للأجيال هذه الجوانب المضيئة التي تزيد من ترابط الشعبين متانة وقوة ، حيث أشار الباحث إلى أن قوة كلٌ من عمان ومصر في أي مرحلة تاريخية لم تكن لصالح البلدين فحسب ، بل تجاوزت تقديم العديد من المساعدات للشعوب المجاورة لهما ، وبخاصة تقديم يد العون لها ضد أي عدوان يقع عليها .

ومع تقديري للباحث وما بذله من جهد في هذا البحث إلا أن هناك بعض الملاحظات التي ينبغي الاشارة اليها بهدف تحقيق المزيد من الفائدة . ومن هذه الملاحظات .

١ ـ أفاض الباحث في الحديث عن « التحنيط والخلود عند قدماء المصرين » وكم كان بودنا أن يركز على العلاقات التجارية بين عمان ومصر في العصور القديمة . وخير مثال على ذلك رحلة الملكة حتشبسوت في اواخر الألف الثانية قبل الميلاد والتي نقشت على جدران المعابد المصرية القديمة ، وما حملته معها من البخور واللبان وغيرهما .

٢ ـ في ص (٣) أكمل الباحث حديثه عن « التحنيظ عند قدماء المصريين » ثم انتقـل فجأة إلى القرن الخامس الهجري فترة امامة الخليل بن شاذان بن

الصلت دون أن يكـون هنـاك فاصل بين العصور التاريخية . وكان من الأفضل إفراد كل فترة تاريخية بفصل أو عنوان خاص لابراز ملامح كل فترة منها .

٣ ـ في ص (٦) استخدم الباحث عبارة « الشرق الأوسط » عند تناوله الفترة التـاريخية المعـاصرة للدولـة العبـاسية وتـدهور حالة ميناء « سيراف » . والحقيقة أن هذه التسمية بالشرق الأوسط قد جاءت متأخرة في العصر الحديث .

٤ ـ في صفحتي (٦، ٧) تعرض الباحث لانهيار الدولة العباسية ، وكساد ميناء « سيراف » وظهور الدولة الفاطمية . وكان الأجدر أن تبرز هنا دور مدينة « صحار » كسوق وميناء عالمي لهما شهرتها التجارية .

٥ ـ في ص (٩) ذكر الباحث أن البرتغاليين احتلوا البحرين ومسقط ، ثم عاد ليتكلم عن اكتشـاف رأس الرجاء الصالح ، والقائد البرتغالي « الفونسو البوكيرك » وقدومه الى الخليج واحتلاله مسقط وهرمز .

وكم كنـا نتمنى أن ترتب الأحـداث ترتيبا زمنيا من ناحية ، وأن يصحح عام ١٥٠٩م الى عام ١٥٠٧م والذي حدد لاستيلاء البرتغاليين على مسقط .

٦ ـ في ص (٩) أيضـا هناك خلط في الأحداث الخاصة باحتلال البرتغاليين لشرق افريقيا حيث بين الباحث أن « زنجبار » احتلت عام ١٥٠٢ م ، وفي عام ١٥٠٥ م احتلت « سفاله » و « كلوه » و « ممباسا » وعاد ليقول : إن السواحل الافريقية احتلت من قبل البرتغاليين عام ١٥١٩م .

ونود أن نشير إلى أن ما ذكر من مدن سابقة ـ يمثل ساحل افريقيا الشرقي ـ وكم كان بودنا أن يشير الباحث الى صلة عمان بشرق افريقيا منذ أقدم الأزمنة ، وحتى دولة « البوسعيد » مع التركيز على دولة اليعاربة ، مع اعطاء لمحة مضيئة عن دور العمانيين الديني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي في شرق افريقيا .

٧ ـ في ص (١٠) تحدث الكاتب عن ظهور العثمانيين في منطقة الخليج ١٥٨٥م ثم تلاه حديث عن الصدام بين المماليك والبرتغاليين . وكان الأولى أن يشير إلى المماليك أولا ، ويضرب مثلا لهذا الصراع بمعركة « ديو » البحرية .

كما ذكر أيضا الدور الفرنسي والهولندي والانجليزي والاسباني في المنطقة . وأود أن أوضح أنه لم يكن للأسبان دور يذكر في هذه المنطقة .

٨ ـ في ص (١١) ذكر الباحث أن العثمانيين سيطروا على ساحل شرق افريقيا وشمال المحيط الهندي في مطلع القرن الثامن عشر .

وأود أن أنوه الى أن السيطرة على شرق افريقيا ـ في هذه الفترة ـ كانت للعمانيين ، وأن العثمانيين في منطقة الخليج كانوا مشغولين في صراع مع الفرس . والتاريخ يشهد على قوة دولة « البوسعيد » في هذه الفترة المشار اليها . والمتمثلة في نجدة الامام أحمد بن سعيد للعثمانيين لفك حصار الفرس عن البصرة . وبالفعل تم ذلك للامام ، واعترافا بهذا الجميل قامت الدولة العثمانية بارسال خراج البصرة للامام في كل عام .

٩ ـ في ص (١١) ذكر الباحث أن الامام أحمد بن سعيد قام بطرد البرتغاليين من عمان ، في حين أن الـذين قامـوا بطرد هؤلاء هم « اليعـاربة » وعلى رأسهم الامـام ناصر بن مرشـد ، وابن عمـه سلطان بن سيف ، وولده سيف بن سلطان .

وكم كان بودنا أن يشيد الباحث بهذه اللمحة المضيئة التي تبرز دور العمانيين في الدفاع عن استقلال بلادهم ، ومساعدتهم للدول المجاورة والصديقة في صد العدوان البرتغالي عنها .

١٠ ـ لم يشر الباحث للعلاقات القوية بين عمان ومصر ، على عهد كل من السيد سعيد بن سلطان ، ومحمـد علي باشا ، حيث تميزت هاتان الشخصيتان بدور مؤثر في العلاقات الدولية ، فالسيد سعيد بن سلطان كان يمثل القوة في الجنـاح الآسيوي للوطن العـربي ، علاوة على شرق افـريقيا ، وتميز أسطوله البحري بالسيادة على بحار الشرق ، كما أقام علاقات دبلوماسية مع الدول العظمى ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية .

أمـا محمـد علي باشـا ، فيمثـل القوة في الجناح الافريقي للوطن العربي ، إذ كان اسطوله يحسب له كل حساب في البحر المتوسط ، والبحر الأحمر . وخير شاهد على ذلك استنجاد العثمانيين به لاخماد الثورة في بلاد اليونان . ومن قوة هذا الأسطول ، وخشية بأسه تجمعت الدول الأوروبية وتمكنت من الحاق الضرر به أثناء جرب « المورة » .

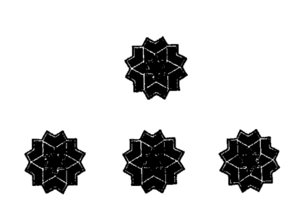
كما انـه لابد من الاشادة بالعلاقة بين عمان ومصر في عهد هذين الحاكمين ، حيث وقعت اتفاقيات تعاون وصداقة في عدة مجالات وبخاصة

المجال التجاري ، حيث شوهدت السفن العمانية في هذه الفترة في الموانىء المصرية ، وبخاصة ميناء « السويس » .

١١ ـ واستكمالا للبحث الذي عالج اللمحات المضيئة في تاريخ البلدين الشقيقين عبر العصور التاريخية ، كان ينبغي أن يشير إلى العلاقات العمانية المصرية في ذلك التاريخ المعاصر ، الذي يشهد بقوة هذه العلاقات .

وفي ختام هذه الملاحظات لا يسعني إلا أن أكرر الشكر مرة أخرى للدكتور على هذه اللمحات التي أضاءت بعض الجوانب من تاريخ البلدين الشقيقين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



المناقشات والمداخلات

● أ. د. عبدالرحمن الصالحي

في تعليقه على ورقة البحث المقدمة من الدكتور أحمد السيد الحسيسي أشار الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الصالحي إلى أن البحث جاء خالياً من تحديد فترة زمنية معينة والتركيز عليها ، متسائلا بهذا الصدد ، فيما إذا كانت العلاقات العمانية المصرية مضيئة وهاجة على مدى فترات التاريخ ، مطالباً باستخلاص العبر والفوائد من مثل هذه العلاقة المضيئة والوهاجة ، مضيفاً ، وإذا كانت كذلك فكيف ندفع بها ونطورها وننميها نحو آفاق أرحب وأوسع ؟

● سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي

أما الباحث سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي المدرس المساعد لمادة تاريخ عمان الحديث بجامعة السلطان قابوس فقد توقف في مداخلته حول ورقة بحث الدكتور أحمد السيد محمد عودة الحسيسي الاستاذ بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب/جامعة عين شمس عند النقاط التالية والتي تعبر عن وجهة نظره الشخصية كباحث ومدرس للتاريخ العماني الحديث .

١ - عدم التزام البحث بفترة تاريخية محددة ، وانه (البحث) يعوزه التسلسل والربط التاريخي مشيراً في هذا المجال إلى أن الاستاذ الباحث ذكر في بداية بحثه قصة التحنيط عند المصريين القدماء ، ثم انتقل فجأة ودون مقدمات إلى القرن الخامس الهجري وبالتحديد إلى إمامة الخليل بن شاذان ، ولا ندري - وجهة نظر الهاشمي - كيف ربط الباحث بين القصتين .

٢ - في (ص ٢) من البحث أشار إلى (صاحب المعالي) دون أن يعرفنا بشخصيته ولا ندري أهو ابو بصير الحضرمي أم غيره ؟

٣ ـ ذكر مصطلح (الشرق الأوسط) وهو مصطلح ـ كما نعلم ـ حديث .

٤ ـ في نهاية (ص ٣) من البحث أشار إلى أن هناك غزاة هاجموا (سيراف) براً وبحراً ، ثم تحدث عن الدولة الفاطمية ثم عن سيراف دون التقيد بالتسلسل التاريخي ، ولا ندري (الهاشمي) لماذا ربط سيراف بالفاطميين علماً بأن الدولة الفاطمية سقطت قبل تلك الفترة المعنية ، وقبل سقوط الخلافة العباسية على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ .

٥ ـ في (ص ٤) أشار الاستاذ الباحث إلى ثورات وغزوات ولم يوضح لنا بالتحديد ماهية تلك الثورات أو الغزوات .

٦ ـ في (ص ٥) الفقرة الثانية والمتعلقة بما أورده الاستاذ الباحث نقلاً عن جورج كيرك بالنص « . . . . ثم اتصلت هذه المحاولات باحتلال البرتغاليين للبحرين ومسقط بقصد محاصرة الأساطيل العربية في البحر الأحمر والخليج » ووجهة نظر صاحب المداخلة بأنه كان على الباحث حين ربط بين البحر الأحمر والخليج أن يختار مدينة تشرف على ممر كل منهما مثل (عدن ، وهرمز) .

٧ ـ وفي (ص ٥ أيضاً) ذكر الاستاذ الباحث أن وصول البرتغاليين إلى رأس الرجاء الصالح كان سنة ١٤٨٧م ، ولعل التاريخ الدقيق هو سنة ١٤٩٨ م .

٨ ـ وفي الفقرة الثالثة من نفس الصفحة قال بالنص « . . . . . . واستطاع الفونسو البركيرك إقامة دولة في الشرق ، واستولى على مدينة هرمز ، ثم سيطر البرتغاليون على الخليج العربي خلال القرن السادس عشر ، وأبحر

فاسكو ديجاما إلى موزمبيق ، وفي عام ١٥٠٢م ، سيطر على زنجبار ، وعام ١٥٠٥م خرج من البرتغال اسطول تعداده عشرون سفينة ، فاحتلوا سفاله وكلوه وممباسا ويلغوا مسقط وهرمز عام ١٥٠٩م ، وفي عام ١٥١٩م احتلوا السواحل الافريقية وانتزعوها من أيدي العرب » .

وتعليق صاحب المداخلة على النص السابق يتلخص فيما يلي :

(أ) ان الاستاذ الباحث أورد في بداية الفقرة المنصوص عليها ، بأن الاستيلاء على هرمز ، والسيطرة على الخليج العربي بشكل عام كان في القرن السادس عشر ، ثم رجع في نهاية الفقرة وخدد أن ذلك الاحتلال كان سنة ١٥٠٩ ، مما قد يربك القارىء أو السامع بالتكرار الذي ورد في النص (وجهة نظر صاحب المداخلة) ، وان ما تشير اليه المصادر بهذا الصدد أن عام ١٥٠٧م كان احتلال مسقط وهرمز ، أما الخليج العربي فقد جاء بعد هذا التاريخ .

(ب) هذا من ناحية عمان ، وما يتعلق بالسواحل الافريقية فإن الاستاذ الباحث لم يحدد لنا الفرق بين تلك التواريخ (١٥٠٢م ، ١٥٠٥م ، ١٥١٩م) وكلها تشير إلى احتلال البرتغاليين لمدن تقع في شرق افريقيا .

٩ ـ أشار الاستاذ الباحث إلى أن ظهور العثمانيين في مياه الخليج ، كان سنة ١٥٨٥م ، وعلى ما نعلم فإن ظهورهم في المنطقة كان قبل هذا التاريخ حيث تشير المصادر إلى ان تواجدهم في المنطقة يعود إلى سنة ١٥٣٤م حين احتلوا البصرة ، كما انهم قاموا بعدة حملات أهمها في عام (١٥٥١م ،

١٥٥٢م ، ١٥٥٤م ، ١٥٨١م) ، ثم عاد وذكر (المماليك) مع أن دورهم كان أسبق من دور العثمانيين ، ويشير صاحب المداخلة في المجال إلى معركة (ديو) البحرية (بين المماليك والبرتغاليين سنة ١٥٠٩م) .

١٠ ـ ذكر الاستاذ الباحث ما نصه « واستطاع العثمانيون أن يسيطروا على ساحل شرق افريقيا ، وشمال المحيط الهندي في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ، فأرهب ذلك الأوروبيين » وتعليق الهاشمي على النص (ان العثمانيين لم يكن لهم أي دور بالمنطقة في الفترة المشار اليها ، وانما الدور كان للعمانيين بقيادة اليعاربة) .

١١ ـ ثم قال ما نصه « واستطاع أحمد بن سعيد عام ١٧٤٠م أن يقف في وجههم في عمان حيث فقد البرتغاليون الأمل في استرداد هذه المنطقة » .

ومداخلة الهاشمي على النص أن :

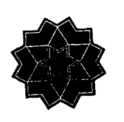
(أ) تاريخ ١٧٤٠م غير دقيق ، وان الصواب هو عام ١٧٤٤م .

(ب) لم يكن هنالك صدام بين البرتغاليين والامام أحمد بن سعيد حيث ان البرتغاليين قد خرجوا من المنطقة كلياً قبل هذا التاريخ بقرن تقريباً ، وبالتحديد سنة ١٦٥٠ من عمان .

● د. أحمد السيد الحسيسي

توجه بالشكر الجزيل على الملاحظات التي وردت على بحثه القيم ، مجيباً على تساؤلات الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الصالحي حول تنمية وتطوير العلاقات المصرية العمانية بحيث وصفها بأنها تسير في المسار السليم والصحيح متمنياً لهذه

العلاقات المزيد من التقدم والاضطراد ، واصفاً ما جاء في مداخلة الهاشمي بأنه تكـرار لما ورد في تعقيب الاستاذ خليل بن طبش من دائرة تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم على البحث[1] مشـيراً إلى المصادر التي استعان بها لدى إعداده البحث وانها مصادر عمانية أيضاً ، معلقاً على ما أورده الهاشمي في مداخلته حول مصـطلح (الشرق الأوسط) ذاكراً أن من حق الباحث أن يلجأ إلى استخدام المصطلحات الحديثة لكونه يتعامل مع العصر .



(١) التعقيب لم يلق في حينه .

مصر وعمان في النصف الأول من القرن التاسع عشر والنصف الثاني من القرن العشرين

دراســـة مقـارنـة

اعداد الدكتور رأفت غنيمي الشيخ

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر وعميد كلية الآداب جامعة الزقازيق

مقـــدمـــة

تميزت العلاقة بين كل من مصر وسلطنة عمان عبر التاريخ الحديث بالثبات والود والتقدير والاحترام المتبادل ، ولم يحدث بين القطرين ما يعكر الصفو في هذه العلاقة ومن ثم وجدنا العلاقة بين البلدين تتوطد باستمرار لما فيه خير ومصلحة الشعبين الشقيقين .

وإذا كانت العـلاقـة بين مصر وعمان منذ أول القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر قد شهدت استقرارا وتوطيدا ، فإنه حدث تشابه بين الأحداث في كلا البلدين خلال تلك الفترة التي امتدت قرابة القرنين من الزمان .

فإن فرنســا مثلا التي غزت مصر عام ١٧٩٨ م تطلعت إلى عمان وسعى بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر الى عقد صداقة مع السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي ، انطلاقا من رغبة فرنسا في أن تشمل سيادتها مصر على البحر المتوسط والجسر بين آسيا وافريقيا وعمان حارسة مدخل الخليج العربي والبحر العربي والمحيط الهندي .

ورغم أن تطلع فرنســـا إلى بسط سيطرتهـا على مصر وعـمان كان تطلعـا استعماريا إلا أنه يؤكد أهمية كل من مصر وسلطنة عمان لا على المستوى المحلي فقط بل وعلى المستوى العالمي في اطار الصراع على مناطق النفوذ بين كل من بريطانيا العظمى وفرنسا .

وإذا كانت عمان قد شهدت في أوائل القرن التاسع عشر عصرا مزدهرا تحت حكم السيد سعيد بن سلطان الذي امتد من عام ١٨٠٦ إلى عام ١٨٥٦ م ، فإن

مصر شهدت أيضا عصرا مزدهرا تحت حكم محمد علي الذي امتد من عام ١٨٠٥ إلى عام ١٨٤٨ م .

فكما شهدت عمان نهضة شاملة في عهد السيد سعيد بن سلطان امتدت الى الزراعة والتجارة والعمران والادارة ، فإن مصر شهدت أيضا نهضة شاملة في عهد محمد علي امتدت إلى الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والجيش والادارة الداخلية وأساليب الحكم .

وكما شهدت عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان امتدادا إقليميا للسلطنة بالسيطرة على أراضيها في منطقة الخليج العربي والامتداد إلى شرق أفريقيا بأسلوب ولهدف حضاري ، فقد شهدت مصر في عهد محمد علي امتدادا إقليميا بتحقيق وحدة وادي النيل مصر والسودان والتواجد في الجزيرة العربية وفي الشام لأهداف حضارية كذلك .

وفي النصف الثاني من القرن العشرين شهدت العلاقة بين كل من مصر وسلطنة عمان عهدا مزدهرا تحت حكم كل من الرئيس محمد حسني مبارك والسلطان قابوس بن سعيد .

ففي الوقت الذي تولى فيه السلطان قابوس حكم السلطنة في **٢٣** يوليو عام ١٩٧٠م كان الرئيس محمد حسني مبارك قائدا لقوات مصر الجوية التي أنجزت مهمة الضربة الجوية الأولى في حرب أكتوبر ١٩٧٣م التي حسمت المعركة لصالح مصر والأمة العربية ، وبعدها تولى منصب نائب رئيس الجمهورية .

وفي أثناء تجميد العلاقات الدبلوماسية بين مصر ومعظم الأقطار العربية من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩م ظلت سلطنة عمان بقيادة السلطان قابوس على وفائها وأصالتها

باستمرار العلاقات الدبلوماسية مع مصر ، ولعبت دورا كبيرا في تقريب وجهات النظر بين مصر وأقطار مجلس التعاون الخليجي بصفة خاصة وشهدت مسقط زيارات متكررة لمحمد حسني مبارك نائب رئيس جمهورية مصر العربية في الفترة المؤرخ لها في هذا الاطار وفي ظل السياسة العمانية المتعقلة والحكيمة .

وعندما تولى محمد حسني مبارك رئاسة مصر في خريف عام ١٩٨١م توطدت أواصر الأخوة بينه وبين شقيقه السلطان قابوس لتستمر المسيرة العربية والاسلامية معا حتى حدث التضامن العربي بعودة الأمور بين مصر والأقطار العربية إلى سابق عهدها قبل عام ١٩٧٩ م . ومازالت العلاقة بين القطرين الشقيقين تتوطد على مر الأيام ، وما نحن فيه الآن من عقد ندوة عن العلاقات بين مصر وعمان سوى مظهر عملي لقوة العلاقة بين شعبي البلدين .

ذلك أن قوة العلاقة بين القطرين العربيين الاسلاميين الشقيقين تقوم على ميراث حضاري عريق منذ ما قبل الاسلام ثم توطدت بعد ظهور الاسلام الذي وحد الثقافة وقرب الأفئدة ومن ثم سارت العلاقة بينهما في العصر الحديث راسخة القدم قوية البنيان لا تهزها عوارض الزمن والأحداث .

وقد تهيأ لمصر ولعمان في هذه الحقبة من التاريخ قيادة واعية وحكيمة ترعى مصالح الوطن والأمة في اطار من التوازن في العلاقات العربية والعلاقات الدولية ، وبذلك حصلت كل من مصر وعمان على احترام العالم ، وشواهد الأحداث المعاصرة خير دليل على ذلك .

مصـــر وعــمـــان
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

أولا : عـمــان :

تعتبر سلطنة عمان من أقدم الأقطار الخليجية التي صارت دولة لها كيانها السياسي ومن ثم كانت لها شخصيتها العربية المنبثقة من هويتها الاسلامية القوية ، وقد نشط أهلها في مجال ركوب البحر بخبراتهم الملاحية سواء للتجارة مع الهند وجنوب شرق آسيا أو للتجارة مع شرق أفريقيا ، وسواء لارشاد السفن التي تمخر عباب المحيط الهندي بين الهند مركز تجارة التوابل وأوروبا عبر الخليج وعبر البحر الأحمر .

ويحتل موقع عمان أهمية استراتيجية حيث تسيطر على مدخل الخليج العربي عند رأس مسندم في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية . ومن ثم لعبت القبائل العمانية دورا مهما في سياسة الخليج والمحيط الهندي ، وقد خرجت من عمان الأسر الحاكمة لكل من سيراف وقيس وهرمز ، وبقي العمانيون حتى مجيء الأوروبيين يشكلون القوة المحركة الكبرى في تجارة الخليج .

وكانت عمان من أوائل البلاد التي اعتنقت الاسلام في عهد محمد بن عبدالله رسول الله ﷺ الذي بعث عمرو بن العاص الى الملك جيفر بن الجلندى بن المستكبر ملك عمان آنذاك يدعوه إلى الاسلام . وكان للاسلام وحضارته الفضل في توحيد القبائل العمانية وجعلها ذات نظام سياسي واجتماعي واقتصادي نشطت من خلاله في ارتياد مياه المحيط الهندي والخليج العربي من القرن السابع الميلادي .

وفي العصر الحديث وفي القرن الثامن عشر بصفة خاصة تولى حكم عمان حكام من أسرة البوسعيد كان أولهم الامام أحمد بن سعيد والي صحار الذي

استطاع عقب تفكك دولة اليعاربة وتعرض البلاد لأخطار الغزو الخارجي حشد القوى الوطنية وتخليص البلاد من الخطر المحدق بها ، فقد تم اختياره إماما على عمان عام ١١٣٧هـ الموافق ١٧٢٤ م (فيه وجهة نظر وعرضة للنقاش ولعله خطأ مطبعي ويقصد ١٧٤٢ م وفيه انظر أيضا) حيث كانت توليته بداية لحكم البوسعيد .

وقد أصبحت مسقط عاصمة السلطنة في عهد حمد حفيد الامام أحمد بن سعيد الذي نقلها من مدينة الرستاق الداخلية . وعندما تولى الحكم السيد/ سعيد بن سلطان عاشت السلطنة طوال حوالي خمسين سنة (١٨٠٦-١٨٥٦م) أزهى عصورها خلال القرن التاسع عشر رغم الصعوبات الكثيرة التي واجهته في بناء الدولة ويرى المؤرخون أن السيد سعيد بن سلطان هو بلا شك أبرز الشخصيات في أسرة البوسعيد التي لعبت دورا في تاريخ عمان والخليج وشرق افريقيا ولا نكون مبالغين إذا اعتبرناه من الشخصيات الهامة جدا في تاريخ العرب الحديث والمعاصر (١)

ومنذ تولى السيد سعيد بن سلطان الحكم في عمان عام ١٨٠٦م على أرجح الآراء واجهته صعوبات شتى في الداخل كثورة بعض القبائل التي تسعى - وكما هو حال القبائل على امتداد الوطن العربي - إلى نبذ السلطة والتمتع بالاستقلال الى جانب بعض الخلافات في الأسرة الحاكمة مما كان يضعف من قوة الحكم ويدفع بالسيد سعيد الى صرف جزء من جهده في معالجة مثل تلك الصعوبات .

وأما الصعوبات الخارجية فقد تمثلت في امتداد السعوديين أصحاب الدعوة

---

(١) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١١٦ .

السلفية المعروفة بالوهابية الى اقليم الظاهرة العماني واستيلائهم على واحات البريمي وسيطرة حلفائهم القواسم من رأس الخيمة على الملاحة في الخليج العربي ، الى جانب محاولة الفرس منذ الأربعينات من القرن التاسع عشر انتزاع ميناء بندر عباس الواقع على الساحل الشرقي للخليج من الحكم العماني .

كل تلك الصعوبات استدعت من السيد سعيد بن سلطان البحث عن حلفاء للمساعدة في التغلب عليها ، ومن ثم اتجهت أنظاره نحو أقطار أخرى عربية مثل مصر وأقطار أجنبية مثل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا .

ثانيا : مصـــر :

وأما مصر فانها كانت تخضع للسيادة العثمانية منذ أن دخلها السلطان العثماني سليم الأول عام ١٥١٧ م وعاشت مصر حتى عام ١٧٩٨ م تحت حكم مشترك عماني مملوكي أساء الى المصريين ولم يهتم الحكام في تلك الفترة الطويلة بشؤون الشعب المصري الحضارية ومن ثم تجمدت أحوال المصريين ولم تشهد تقدما في أي مجال من المجالات .

وفي عام ١٧٩٨م غزت مصر حملة فرنسية بقيادة بونابرت لتتخذ من مصر مركزا لامبراطورية استعمارية فرنسية في الشرق ، وعلى الرغم من أن هذه الحملة العسكرية فشلت في البقاء بمصر بسبب مقاومة المصريين للوجود الفرنسي على أرضهم تلك المقاومة الشعبية التي أجبرت الفرنسيين على الرحيل من مصر عام ١٨٠١ م .

أقول على الرغم من فشل الحملة الفرنسية عسكريا في مصر ، فقد كانت

لها نتائج إيجابية في حياة المصريين كان منها :

- ثقة المصريين في أنفسهم حيث أدركوا أن مصر بلدهم وليست بلد العثمانيين أو المماليك الذين تخاذلوا عن الدفاع عن مصر ، ومن ثم اقتنعوا بأنه يجب أن يكون لهم دور في اختيار من يحكمهم ، وقد تحقق ذلك في اختيار زعماء الشعب المصري محمد علي حاكما على مصر عام ١٨٠٥ م .

- أدرك المصريون أن هناك علوما عصرية لم تكن لهم بها دراية من قبل وعليهم تحصيلها حتى يدركوا التقدم في أوروبا وينفضوا عن أنفسهم غبار التخلف .

- مارس المصريون في زمن الحملة الفرنسية المشاركة في الدواوين التي أوجدها بونابرت فكسبوا خبرة إدارية وسياسية استفادوا منها بعد خروج الحملة .

وبعد خروج الحملة الفرنسية من مصر سيطرت الفوضى على الأمور نتيجة عودة الحكم العثماني الى البلاد بمساوئه القديمة فضج المصريون بالشكوى وبدأت قيادة الشعب المصري المتمثلة في العلماء والأعيان تفكر في كيفية استقرار الأمور في مصر بالصورة التي تحقق الأمن والعدل والسلام .

وانطلاقا من أن الأوضاع في مصر بعد خروج الحملة الفرنسية اختلفت عن الأوضاع قبلها ، بمعنى أن قيادة الشعب المصري أصبحت أكثر وعيا وإدراكا لمصلحة بلادهم ، فقد اجتمع علماء مصر وأعيانها بالجامع الأزهر وقرروا اختيار الضابط العثماني محمد علي واليا على مصر ، وكتبوا بذلك للسلطان العثماني .

وكان لموقف قيادة الشعب المصري هذا أثره في حشد الرأي العام المصري حول محمد علي وتوطيد مركزه . وقد اشترك الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر مع السيد عمر مكرم نقيب الاشراف في الباس محمد علي خلعة الولاية في بيت القاضي عام ١٨٠٥ م واشترطوا على محمد علي أن يحكم بمشورتهم وبالرفق والعدل بالرعية .[١]

استطاع محمد علي أن يقيم في مصر بناء حديثا شمل جميع نواحي الحياة ، فقد اهتم بالتعليم الحديث على النسق الأوروبي متأثرا بأفكار جماعة « سان سيمون » الفرنسية القائمة على أن العلوم الحديثة يجب أن تحتل المكانة الأولى في تنظيم المجتمع بدل الدين وأن التعليم هو أساس بناء المجتمع .

وقد قامت سياسة محمد علي التعليمية على ثلاثة أسس هي :-

١ - إرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا وبصفة خاصة إلى فرنسا وايطاليا .

٢ - الاعتماد على المستشرقين الأوروبيين في مجالات التعليم والاقتصاد والطب وغيرها الى حين يعود أعضاء البعثات لتولي الوظائف والمهام التي أعدوا لها وليحلوا محل هؤلاء المستشرقين الذين كان معظمهم من الفرنسيين .

٣ - ترجمة الكتب والمؤلفات في العلوم الحديثة من اللغات الأجنبية ليستفيد منها طلاب العلم في مدارس التعليم الحديث بمصر .[٢]

وقد أخذت النهضة التعليمية تثبت وجودها في مصر بعودة أعضاء البعثات

---

(١) وزارة الأوقاف : الأزهر ص ٦٧ .
(٢) د. رأفت الشيخ : مصر والسودان ص ٢٥ .

المصرية من الخارج وممارستهم للوظائف المناسبة لاعدادهم وبنشاط حركة الترجمة والتأليف وبقيام المطابع بدورها في نشر المعرفة بين طلاب العلم ، ولا يقلل من قيمة هذه النهضة اعتماد الباشا على الأجانب في شؤون التعليم منذ البداية فقد وضع نصب عينيه ألا يطول اعتماد البلاد على الأجانب حتى إذا آن الأوان لاستبدال بهم أهل البلاد فلا يجب التواني في ذلك ، ففي صرفهم عن المنشآت الجديدة واحلال المصريين محلهم صيانة لأموال الحكومة وفخر لها .[1]

وقد أقام محمد علي بناء دولته في مصر على النسق الأوروبي على أساس مادي فاهتم ببناء جيش يؤمن به حدود الدولة التي يحكمها ويثبت أركان حكمه ، كما اهتم بالبناء الاقتصادي الزراعي والصناعي والتجاري لنفس الهدف ، كما أوجد مؤسسات استشارية تمثلت في نظام الدواوين التي أنشأها محمد علي لبحث ما يعرضه عليها من مشكلات وشؤون مختلفة .

وهكذا جاء بناء مصر في عهد محمد علي شاملا لكل نواحي حياة الشعب المصري مستفيدا من الحضارة الأوروبية المعاصرة ، فقد وجد محمد علي في الثقافة الغربية ما يحقق له هذا البناء الحديث الذي يرغبه ، أي أن النظم الأوروبية لم تظهر أمام محمد علي في مجال التعليم فحسب بل ظهرت في جميع المجالات الأخرى الحربية والاقتصادية والادارية .[2]

كان هذا البناء الحديث في مصر في عهد محمد علي مثار اعجاب الشعوب العربية الشقيقة وحكامها ، خاصة عندما حاول محمد علي نقل هذا البناء الى الاقطار التي ضمها الى حوزته مثل السودان ومثل أجزاء شبه الجزيرة العربية التي

---

(١) د. أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في عهد محمد علي ص ٣٢ .
(٢) د. محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي ص ٩٤ .

صارت جزءا من دولته .

ثالثا : علاقة السيد سعيد بمحمد علي :

نتيجة لتطلع فرنسا الى سلطنة عمان منذ حملة بونابرت على مصر (١٧٩٨ـ١٨٠١م) وامتداد نشاط محمد علي في مصر إلى منطقة الخليج بعد سقوط الدرعية عام ١٨١٨ م ضغطت بريطانيا من أجل عقد معاهدة مع سلطنة عمان لمنع انتشار أي نفوذ أجنبي اليها بسبب حساسية بريطانيا نحو منطقة الخليج باعتبارها معبر التجارة والمراسلات بين بريطانيا وممتلكاتها في شبه القارة الهندية وغيرها .

ولم يهدأ للبريطانيين بال إلا بعد أن وقع السيد سلطان بن أحمد حاكم مسقط (الذي حكم من عام ١٧٩٢ إلى عام ١٨٠٤م) معاهدتين مع بريطانيا الأولى في أكتوبر عام ١٧٩٨م والثانية في عام ١٨٠٠م تعهد فيها بعدم السماح للفرنسيين وغيرهم بأن يكون لهم نفوذ في مسقط وأن يوافق على إنشاء وكالة تجارية بريطانية في بندر عباس ـ وكانت تابعة لمسقط ـ وأن يسمح بوجود وكيل سياسي بريطاني في مسقط .[١]

وبالنسبة لعلاقة السيد سعيد بن سلطان بمحمد علي والي مصر ، فقد اتصفت بالتقدير المشترك غير المندفع بين الرجلين ، ورغم أن الرجلين كانا معاديين للنشاط السعودي في الجزيرة العربية إلا أن الرسائل المتبادلة بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي كانت قليلة ، وان كانت قد عبرت عن اعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة التي أقامها محمد علي في مصر ، كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد في إقامة علاقات أوثق مع باشا مصر .[٢] إلا انه حين أيقن

(١) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ص ١٨١ .
(٢) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٣٩ .

موقف الحكومة البريطانية المعادي لنشاط محمد علي في شرقي الجزيرة العربية اتخذ موقفها وأما مكاتباته للمسئولين المصريين مما لم يكن له حول في تجنبها فقد كان يستعين فيها دائما بمشورة الحكومة البريطانية ، حتى انسحبت قوات محمد علي من الخليج ونجد كلها في عام ١٨٤٠م .[١]

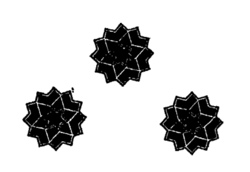
وتـذكـر بعض المصادر أن السيد سعيد أظهر رغبة في السيطرة على جزر البحـرين ومـال الى تنسيق سياستـه مع سياسة والي مصر محمد علي في الجزيرة العـربية ، ولكنه تراجع عن ذلك بسبب موقف العداء الذي أظهرته السلطات البريطانية نحو النشاط المصري في الخليج .[٢]

وتمشيا مع العلاقة الودية بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي وانطلاقا من تقدير محمد علي للدور الذي قام به السيد سعيد بن سلطان في مقاومة النفوذ السعودي في عمان في الفترة الممتدة من عام ١٨٠٦م إلى عام ١٨١٨م ، فقد أحسن محمد علي وشريف مكة يحيى بن سرور استقبال السيد سعيد عندما ذهب للحج عام ١٨٢٤م ، إذ أرسل محمد علي مجموعة من كبار ضباطه لاستقبال وتحية السيد سعيد ، وأطلقت المدفعية في جدة نيرانها حينما اقتربت السفينة العمانية « ليفربول » المقلة للسيد سعيد من الميناء تحية له ، وعند عودته من الحج إلى مسقط حمل هدايا كثيرة من محمد علي ومن شريف مكة ، وعلى الرغم من أن السيد سعيد لم يكن يتبع الحنابلة أي الوهابيين اتباع مذهب أحمد بن حنبل إلا انه لقى معاملة متميزة من شريف مكة .[٣]

---

(١) لوريمر : دليل الخليج ـ القسم التاريخي جـ٢ ص ٧١٢ .
(٢) د. رأفت غنيمي الشيخ : العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ص ١٠٠ .
(٣) لوريمر : المرجع السابق ص ٧٠٢ .

واستمرت علاقة السيد سعيد بن سلطان بمحمد علي ودية على الرغم من موقف بريطانيا ، وتشير الوثائق المصرية الى أن السيد سعيد بعث برسالة إلى محمد علي في عام ١٨٤٠م يطلب فيها بالحاح سرعة ارسال أحد المدفعيين أي أحد جنود المدفعية للخدمة عند السيد سعيد وهكذا يؤكد انه حتى عام انسحاب قوات محمد علي من منطقة الخليج من شبه الجزيرة العربية استمرت علاقة الرجلين معا ودية .



مصـــر وعــمـــان
في النصف الثاني من القرن العشرين

أولا : سـلطنة عـمـان :

اشرقت شمس النهضة العمانية المباركة في صباح الثالث والعشرين من شهر يوليو ١٩٧٠ على يدي القائد الباني جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حيث شهدت عمان انجازات هامة على المستويات المحلية الداخلية وعلى المستوى الخارجي العالمي ، فعلى المستوى الداخلي كان الانسان العماني محط اهتمام السلطان قابوس ولذلك وضعت الخطط والسياسات من أجل بناء المواطن العماني المؤمن بربه والمنتمي لوطنه والمنتج والعامل .

وكان التعليم أول مجال وجد اهتماما ، فعندما تسلم السلطان قابوس الحكم كان عدد المدارس ثلاث مدارس فقط تضم ٢٤ فصلا دراسيا ، بلغ اهتمامه بالتعليم انه ضاعف اعداد المتعلمين خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه ٥٤ مرة ولعلنا اليوم نجد التضاعف يتضاعف .

وشمل الاهتمام بالتعليم تطوير المناهج والامتحانات والأنشطة والوسائل التعليمية وارسال البعثات الى الخارج وعقد الاتفاقيات الثقافية مع الأقطار العربية الشقيقة ، كما وجدت الفتاة العمانية فرصتها للتعليم التي حرمت منها في الماضي في كل المجالات . الى جانب انشاء جامعة السلطان قابوس على المستوى العالمي من حيث الكوادر العلمية والتجهيزات .

كما اهتم السلطان قابوس بانشاء المستشفيات والمراكز الصحية ووسائل العلاج الحديثة في كل مكان بالسلطنة بعد أن كانت البلاد محرومة من هذه الخدمات وأصبح شعار السلطنة الصحي العلاج لكل مواطن مهما بعد مكانه وموقعه باعتبار الانسان العماني أساس التقدم والرخاء .

هذا إلى جانب وضع خطة للتنمية الاجتماعية تهدف إلى تنمية القوى العاملة بالبلاد والوصول الى الاستخدام الأمثل لها ، وافساح المجال أمام الشباب لممارسة مختلف أوجه النشاط الرياضي والاجتماعي والثقافي بافتتاح الأندية الرياضية والمؤسسات الثقافية والاجتماعية وانشاء وحدات للشؤون الاجتماعية والشباب .

وقامت سياسة حكومة السلطان قابوس أيضا على تشجيع الزراعة بانشاء وزارة للزراعة قامت باتخاذ كافة السبل لزيادة الانتاج الزراعي في المجالات الزراعية المتاحة وتوسيع رقعة الأرض وادخال أنواع جديدة من المحاصيل .

وحيث تمتد شواطىء السلطنة ١٧٠٠ كيلومتر اهتمت حكومة السلطان قابوس بتشجيع عملية صيد الأسماك وتوفيره للسوق المحلي وللتصدير ، وقد استعانت الحكومة بالخبرة المحلية والخبرة العالمية في هذا المجال خاصة لاقامة مصانع لتعليب الأسماك وصناعة السفن إلى جانب تشجيع الصيادين ورعايتهم .

كما اهتمت حكومة السلطان قابوس بتنمية الثروة الحيوانية من حيوانات وطيور لتحقيق الاكتفاء الذاتي والحد من الاستيراد من الخارج وذلك بتشجيع المواطنين على تربية الحيوان والدواجن واقامة مصانع للعلف ومصانع لاستغلال جلود الحيوان .

ويمثل النفط مصدرا مهما من مصادر الدخل في السلطنة ، وقد تم اكتشاف النفط بكميات تجارية في عام ١٩٦٤م بعد عمليات تنقيب شاقة منذ عام ١٩٦٢م . ومنذ عام ١٩٦٧م بدأ استغلال النفط اقتصاديا ، وفي عهد السلطان قابوس شهد مجال النفط دفعة جديدة باكتشاف حقول جديدة في وسط السلطنة وجنوبها وتعددت شركات التنقيب عن النفط .

كما شهدت عمان في عهد السلطان قابوس التنقيب عن المعادن ، حيث تم اكتشاف النحاس منذ عام ١٩٧٣م ومعدن الاسبستوس الذي يستفاد منه في صناعة الأسمنت ومعدن الحديد ومعدن النيكل والكروم والمنجنيز .

وكانت عمان محرومة من الصناعة الحديثة قبل عام ١٩٧٠م فيما عدا الصناعات التقليدية التي لقيت رعاية وتطويرا . بينما بدأ إنشاء صناعات جديدة ذات مستوى عالمي فبدأ العمل عام ١٩٧٤م في إنشاء مصنع الأسمنت وانشاء صناعات عديدة مستخرجة من النفط والغاز الطبيعي والقيام بمشروعات الكهرباء والمياه وانشاء محطات لتحلية مياه البحر .

وفي مجال التجارة تم تطوير ميناء قابوس ليقوم بدور كبير في تنشيط الحركة التجارية بين السلطنة والعالم الخارجي كما تقوم غرفة التجارة والصناعة التي تأسست عام ١٩٧٣م بدور كبير في تنظيم وتنشيط التطور التجاري والصناعي بالبلاد .

ولتنشيط اقتصاد البلاد رصفت الطرق التي تربط أنحاء السلطنة وتربط السلطنة بالأقطار العربية المجاورة ، كما زادت حركة النقل الجوي منذ افتتاح مطار السيب الدولي عام ١٩٧٣م .

وفي مجال العلاقات الخارجية فقد قامت سياسة السلطان قابوس على مبدأ عروبة عمان وأن عمان جزء من الأمة العربية ومن ثم انضمت إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٧١م في عهد السلطان قابوس بعد العزلة التي فرضت عليها قبل عام ١٩٧٠م فأسهمت السلطنة في عهده في كل القضايا العربية بدءا بقضية فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي وما اسهام السلطنة في حرب رمضان أكتوبر

١٩٧٣م الا تجسيد لتلك السياسة الرشيدة التي تتبعها السلطنة في عهد السلطان قابوس .

وانطلاقا من حرص جلالة السلطان قابوس بن سعيد على ان تكون عمان عضوا فاعلا ونشطا في الأسرة الدولية انضمت السلطنة إلى هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٧١م وتمسكت بسياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وبسياسة عدم الانحياز والاحترام المتبادل والتعاون الدولي وتأييد قضايا التحرر العادلة في العالم .

وتنفيذا لهذه السياسة بنت السلطنة في عهد السلطان قابوس قوات مسلحة قادرة على الردع لكل من تسول له نفسه المساس بأرض السلطنة وقادرة على حماية الأمن والسلم في المنطقة بما يخدم الأمن الجماعي العربي من خلال مجلس التعاون الخليجي والجامعة العربية ، ولهذا استحدثت تشكيلات عسكرية جوية وبرية وبحرية على المستوى العالمي .

كما انه تنفيذا لهذه السياسة اهتمت حكومة السلطان قابوس بالاعلام ورسائله المختلفة من اذاعة وتليفزيون وصحافة لتقوم بدورها في توعية المواطنين وتوضح لهم وللعالم سياسة السلطنة الواضحة في المجالين الداخلي والخارجي .

ثانيا : مصر :

اتجهت حكومة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م للبناء الداخلي والعلاقات الخارجية على أسس جديدة تعوض بها سنوات البطء وسيطرة قوات الاحتلال البريطانية ، فجاءت مبادىء الثورة الستة ترجمة لخطة الحكومة بعد عام ١٩٥٢م من حيث اقامة حياة ديمقراطية سليمة وتحقيق العدالة الاجتماعية ، واقامة جيش قوي وطني ،

والتخلص من الاستعمار ، وانهاء سيطرة رأس المال على الحكم .

وبالفعل حمل الاستعمار البريطاني عصاه ورحل عن أرض مصر في صيف عام ١٩٥٦م وفشل في العودة في خريف ذلك العام وتأممت شركة قناة السويس العالمية للملاحة البحرية ، وتحقق تمصير المؤسسات الأجنبية ، واستفاد الفلاحون من الاصلاح الزراعي بتوزيع أراضي الاقطاعيين والأسرة المالكة على المعدمين من المزارعين لزراعتها ، كما تم انشاء السد العالي جنوب اسوان لتوفير المياه اللازمة لدى الاراضي المستصلحة الجديدة واقيمت صناعات عديدة لأول مرة في مصر مثل صناعة الحديد والصلب والالمنيوم والسيارات والصناعات الحربية وغيرها .

وتمثل البناء الداخلي على أسس حديثة ؛ تطوير التعليم وتحقيق مجانيته من التعليم الابتدائي حتى التعليم الجامعي وزاد عدد الجامعات بحيث ارتفع غددها من ثلاث جامعات هي : القاهرة (فؤاد) والاسكندرية (فاروق) وعين شمس (ابراهيم باشا) لتصبح ١٣ جامعة الآن ، وأصبح لمصر جيش قوي وشملت النهضة جميع مرافق البلاد من طرق وعمران واتصالات وزراعة وصناعة وتجارة .

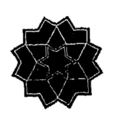
وشهدت مصر عصورا من الزعامات الوطنية بدأها جمال عبد الناصر من عام ١٩٥٢م ومحمد أنور السادات من عام ١٩٧٠م ومحمد حسني مبارك من عام ١٩٨١م ، وخلال تلك الفترة من عام ١٩٥٢م حتى الآن شهدت تطورا في جميع نواحي حياة مصر كان أظهرها الناحية الثقافية والعلمية .

وبالنسبة لسياسة مصر الخارجية حرصت الحكومات المتعاقبة على التضامن العربي والتضامن الأفريقي والعلاقات مع الشرق ومع الغرب بما يحقق مصالح مصر والعالم باشاعة الأمن والسلام الدوليين . وفي هذا يقول الرئيس محمد حسني

مبارك في خطابه أمام مجلس الشعب والشورى يوم ١١/١١/١٩٨٩م ما نصه : -

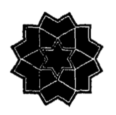
« ولست بحاجة أن أوضح أن مصر توجه علاقاتها الخارجية أساساً وقبل كل شيء لخدمة أهداف التنمية والبناء في الداخل فتلك حقيقة تبرز من خلال الجهود الشاقة المضنية التي نقوم بها في اتصالاتنا بدول العالم المختلفة ، كما انها حقيقة تستوعبها جماهير شعبنا الواعي » .

ومن ثم حرصت مصر على مباركة التقارب بين الشرق والغرب وانهاء الحرب البـاردة بينهـما وبدء علاقة من نوعية جديدة بين الدولتين العظميين . وفي هذا الاطار تقدم الرئيس محمد حسني مبارك مع قادة ثلاث من الدول النامية الصديقة وهي السنغـال والهند وفنزويلا الى طرح مبادرة في باريس في ١٣ يوليو ١٩٨٩م بقصد إحياء الحوار بين الشمال والجنوب .



المصـــادر :

(١) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي.ص ١١٦ .
(١) وزارة الأوقاف : الأزهر ص ٦٧ .
(٢) د. رأفت الشيخ : مصر والسودان ص ٢٥ .
(١) د. أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في عهد محمد علي ص ٣٢ .
(٢) د. محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي ص ٩٤ .
(١) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ص ١٨١ .
(٢) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٣٩ .
(٣) لوريمر : دليل الخليج ـ القسم التاريخي جـ٢ ص ٧١٢ .
(١) د. رأفت غنيمي الشيخ : العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ص ١٠٠ .
(٢) لوريمر : المرجع السابق ص ٧٠٢ .



ملخص لنقاط التعقيب على بحث

مصر وعمان في النصف الأول من القرن التاسع عشر والنصف الثاني من القرن العشرين

بقلم : سالم بن محمد العبري

المستشار بوزارة الاعلام

١ - اختيار الفـترة الزمنية الأولى ، كان جيدا لأن فترة حكم محمد علي لمصر والسيد سعيد بن سلطان لعمان كانت فترة هامة في التاريخ الحديث لبلدين وتجربتين نموذجيتين .

٢ - أما الفترة التاريخية الثانية ، وهي النصف الثاني من القرن العشرين . فلا أحسب أن هنالك رابطا موضوعيا يربط الفترتين يبرر هذا الفاصل التاريخي بينهما وهو قرن كامل من الزمن . كما ان هذه الفترة تمثل زمنا حاضرا ، لم تتسم بصفـة التـاريخ المـاضي القـابـل للبحث الموضوعي ، لذلك فإن مراجعها قد لا يقبلها البحث العلمي ، لذلك فإني لن أقف معها .

٣ - ان البحث مختصر جدا فرغم ثراء الفترة والتجربتين ، فإن الباحث تناولها في خمس صفحـات ، تنـاول عمان في صفحتـين ، ومصر في ثلاث صفحات . فهل هذا يمكننا من دراسة مقارنة لفترة زمنية دامت حوالي ٥٠ عاماً .

٤ - حين تكلم الباحث عن العلاقات بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي اقتصر على مؤشرين فقط هما :

(أ) كيفية استقبال السيد سعيد بن سلطان من محمد علي وهو في طريقه لأداء فريضة الحج .

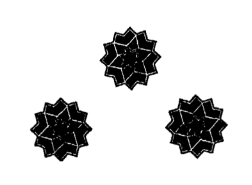
(ب) طلب السيد سعيد بن سلطان من محمـد علي امـداده بأحد جنود المدفعية . وكان يجب أن نبحث عن مظاهر العلاقات الاخرى بين الـدولتـين ، وعن تأثير كل منهما في الأخرى حيث انهما قامتا ببناء دولتين عصريتين كبيرتين .

٥ - كان يجب أن تعمد الدراسة الى البحث عن مظاهر العلاقات والتأثر المتبادل في ثلاثة مجالات :

في الجـانب السياسي ، النواحي الثقافية ، النواحي الاقتصادية ، ولكن البحث أغفل الجوانب الاقتصادية والثقافية ، بل حين أشار إلى العلاقات السياسية اكتفى بضرب المـدافع في مكة تحية للسيد سعيد . وقد أشرنا لذلك سابقا . . ولم يتعمق في البحث عن الجوانب الأهم والأعمق . . ولم يوضح الباحث فيما إذا كانت المصادر التاريخية لم تسجل هذه العلاقات أو لم تعط أهمية لهذه النواحي .

٦ ـ البحث يقول بتبعية السيد سعيد بن سلطان لبريطانيا وهذا رأي مبالغ فيه إذا لم نقـل بعـدم صحته . . ذلك لأن السلطان سعيد بن سلطان كان حريصا على استغلال واستقلال قراره السياسي ومن ثم استقلال عمان .

وكذلك وصف الصراع الدولي القائم وخصوصا بين فرنسا وبريطانيا لكي يجد مستوى أكبر من الاستقلال .



المناقشات والمداخلات

الاستاذ رأفت غنيمي الشيخ :

بادىء ذي بدء أعـرب الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق عن سعادته ، وقال في اطار اجابته على النقاط التي أثارها الشيخ سالم بن محمد العبري لدى تعقيبه على ورقة البحث المقدم من قبله ملخصا رده على المعقب في نقطتين أساسيتين . . الأولى يتفق معه في بعض النقاط التي أثارها ، وفي الثانية يناقشه فيها .

الأولى :

١ ـ اتفق مع ما أورده المعقب بأن هناك اختلافا بين ظروف البلدين ، مشـيرا الى أنـه قصـد مثـل ذلك في بحثه لدى ذكره لكل من شخصيتي السيد سعيد بن سلطان (عماني) وشخصية محمـد علي (ليس مصريا) موضحـا بأنه هدف من وراء ذلك التركيز على العلاقة بين البلدين حتى في وجود قيادتين :

- احداهما عربية من أهل البلاد الأصليين .
- والثانية : شخصية اسلامية وافدة ، ولكنها سعت الى بناء مصر حديثة .

معللا ذلـك بأنـه يقـوم باجراء مثل هذه المقارنة ليبين مدى الارتباط بين البلدين رغم الظروف المختلفة ، وانه تطرق للصراع الدولي بين فرنسا وانجلترا لتوضيح أهمية مصر وعمان ، والقاء الضوء على دورهما في هذا الصراع ، وسعي كل من الدولتين الكبيرتين لكسب ودهما واحترامهما .

٢ ـ اتفق الاستاذ الدكتور الباحث مع ما ورد في تعقيب االاستاذ سالم بن محمد العبري بأنه لم يغط الجوانب الاجتماعية والاقتصادية معللا ذلك بالآتي :

(أ) لم يتطرق إلى الجوانب آنفة الذكر لأنها وحدها من الممكن أن تكون مجال بحث مستقل ، مستدركا أنه تطرق في بحثه الى دور عمان في تعريب مصر .

(ب) لم يتـطرق الى الجانب الثقافي « لأنني ركزت على فترة زمنية معينة ، لاعقد مقارنة ، لأن كلا من عمان ومصر في فترتين زمنيتين مختلفتين كانتا تتمتعان بعلاقات وطيدة مميزة لم تتعرض لهزات أو مشاكل » .

الثانية :

ان اجراء موضوع دراسة مقارنة بين فترتين ممكن إذا كانت هناك مقارنة بين دولتين ، ولكن في دولة واحدة أو علاقة واحدة بين قطرين شقيقين ، فانه لابد أن أقف فترتين زمنيتين وان اشير فيها إلى الايجابيات التي شهدتها العلاقات بين الطرفين .

معللا ذلك « ومن وجهة نظري عندما كتبت هذا البحث انه لا يعيبه وجود فاصل زمني بين فترتين زمنيتين لبيان أوجه المقارنة ، وقد تكلمت في البداية عن هذه الفكرة ، وانني سعيت الى مقارنة العلاقة بين فترتين زمنيتين لاؤكد استمرار هذه العلاقة في ايجابياتها ودعمها حتى مع ظهور هذا الزمن » .

وتناول الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الـزقـازيق / الأمـين العـام المساعد للندوة بالتعليق عبارة الفاضل سالم بن محمد العبري المستشار بوزارة الاعلام حيث وصف الفترة الثانية من ورقة البحث بأنها فترة معاصرة وقال : عندما تفضل المعقب بالحديث عن الفترة الثانية من البحث واصفـا اياهـا بأنها فترة معاصرة « ولكن هذا الذي يصنع الآن لا يعد تاريخا ،

وليست هناك فواصل زمنية حادة بين التاريخ والعلوم السياسية ، وانما نحن نعيش هذه الاحداث ، لأننا نحن الذين نصنعها وفي رأيي ، وانما اكتب الفترة المعاصرة لابين ان المسيرة الممتدة إلى قرون سابقة تعيش الآن امتدادها أيضا بايجابية وتدعيم ، ولا أعتقد أن هناك شيئا يخفى علينا ، وكل ما ذكرته في الفترة المعاصرة يعرفه الجميع فعمر الفترة أكثر من عشرين سنة هي فترة تولي حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم مسيرة الحكم في السلطنة » .

والوثائق - كما يذكر المعقب - غير متوفرة ، والتاريخ لا يكتب - فقط - من كتاب ، وانما يكتب من الذين عاصروا الأحداث وشاهدوها ، ومما تصدره الدولة ، حتى - بالنسبة لوسائل الاعلام أو النشرات الاعلامية - فانها تعتبر وثائق بعد ذلك للاجيال التالية لترى ما دونته الدولة عن نشاطها وأعمالها .

مشيرا الى انه قصد من ذلك كله « وقد قصدت من النقطة الثانية أن اؤكد ان المسيرة مستمرة ، وانه لا يخفى على أحد أنها مسيرة ايجابية لابد أن تؤكد امتدادها من الماضي » .

وعودا الى الفترة الأولى من البحث وانها غطيت في صفحات قليلة ، فقد تحدثت عن ظروف عمان ، وظروف مصر ، ثم تحدثت عن العلاقة بين القطرين في ضوء هذه الظروف ، فليست الصفحات القليلة التي تحدثت فيها عن العلاقة بين الفترتين الا امتدادا للظروف التي ذكرتها .

- مداخلة المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي

المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي أثار عدة ملاحظات :

الأولى : تتعلق بالعلاقة العمانية طالبا التحقق فيما :

- إذا كانت سياسية بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي .
- أم هي علاقة قائمة بين شخصيتين أو دولتين ، أم علاقة ممتدة بالأصل بين عمان منذ عهد الامام أحمد بن سعيد والعثمانيين باعتبار محمد علي واليا عثمانيا على مصر ، وعليه تكون العلاقة امتدادا لعلاقة عثمانية عمانية ، خاصة إذا ما علمنا أن العثمانيين كان لهم وجود قوي في منطقة الخليج وبالاخص في الحجاز والعراق وغيرهما .

الثانية : يتساءل الصقلاوي في ملاحظته الثانية عن الزيارة التي قام بها السلطان سعيد بن تيمور الى مصر في الاربعينات من هذا القرن وصلى فيها مع ملك مصر في مسجد الحسين !![1]

مضيفا في ملاحظته الثانية « ومع ان الاستاذ الدكتور الباحث أشار في ورقة بحثه إلى حج السيد سعيد بن سلطان ، فانه لم ينتبه الى مثل هذه الأمور ، كما أشار الى علاقة سلاطين عمان في زنجبار اشارة عابرة فقط » مطالبا التحقق من الملاحظات التي أثارها .

(١) تعليق الدكتور الصالحي وتصحيح المعلومة التي أوردها المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي .

ـ **مداخلة أحمد بن سعود السيابي :**

أما الشيخ أحمد بن سعود السيابي مدير عام الشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية ، فقد توقف في مداخلته عند العديد من الملاحظات يمكن ايجازها بالتالي :

الأولى : ورد في الصفحة الرابعة من ورقة بحث الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ ما نصه « وبقي العمانيون حتى مجيء الأوروبيين يشكلون القوة المحركة الكبرى في مياه الخليج » مبديا وجهة نظره بأن ما ورد في العبارة يوهم القارىء أن القوة المحركة للعمانيين تضاءل دورها بعد مجيء البرتغاليين ، والتاريخ يثبت لنا عكس ذلك حين يؤكد على امتداد الدور العماني بعد مجيء الأوربيين ، والشواهد على ذلك تفوق الحصر منها اجماع المؤرخين على أن الاسطول العماني اضحى سيد الاساطيل في المحيط والخليج ، وشواهد أخرى من واقع التاريخ العماني حيث كانت هنالك المنافسة على أشدها مع البرتغاليين والانجليز ، ومع الهولنديين .

وقد شكل الاسطول العماني قوة ضاربة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، وذلك باعتراف الأوروبيين ، حيث أصبح الاسطول العماني قوة ضاربة وفاعلة ابتداء من عهد الامام سلطان بن سيف الامام الثاني في سلسلة الائمة اليعاربة ، وكان لهذا الاسطول الفضل الأكبر في اجلاء البرتغاليين عن مناطق الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، وكانت هنالك معارك طاحنة ، حقق فيها العمانيون النصر على البرتغاليين سواء على سواحل الهند ، أو على سواحل شرق افريقيا .

ثم جاءت دولة البوسعيد ، وواسطة العقد فيها السيد سعيد بن سلطان

الذي امتد نفوذه وقوي ، وكان امتدادا للاسطول العماني في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ، وكما سبق وأشرت فان العبارة التي وردت في الصفحة الرابعة من روقة بحث الاستاذ الفاضل توهم بأنه بعد مجيء البرتغاليين تضاءل هذا الدور ، ونحن بحاجة الى شيء من التوضيح يبرز ويوضح ذلك الدور الكبير الذي لعبته سفن عمان واسطولها في التجارة الدولية وغيرها في المحيط والخليج .

الثانية : كما جاء في نهاية الصفحة الرابعة من ورقة البحث ـ واعتقد أن ذلك يعود الى خطأ مطبعي ـ حيث حدد الاستاذ الباحث امامة الامام احمد بن سعيد وجعلها عام (١١٣٧ هـ ـ ١١٥٤ هـ) ، (١٧٢٤ م) ، وكما هو معروف ـ مع خلاف في البداية ـ وانه لا أقلها (١٧٤٢) ، والمرجح (١٧٤٤ م) أي ١١٥٦ هـ حيث اتفق على ذلك .

الثالثة : ورد في الصفحة العاشرة من روقة البحث تلك العبارة ونأتي بها نصا « وعلى الرغم من أن السيد سعيد لم يكن من الحنابلة ، الا أنه لقي معاملة مميزة من اشراف مكة » ، وهذه العبارة ربما توهم ان اشراف مكة كانوا على ذلك المذهب ، والمعروف انهم كانوا على المذهب الشافعي .

ـ مداخلة سعيد الهاشمي :

الباحث سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس يطرح بعض الملاحظات التي تتناول ما جاء في تعقيب سالم بن محمد العبري المستشار بوزارة الاعلام ، وورقة البحث المقدمة من الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق ، ومما جاء في تلك الملاحظات :

الأولى : تناول التعليق ما ورد في تعقيب الباحث سالم بن محمد العبري

حيث ذكر (السلطان سعيد بن سلطان) ، معقبا بأن لقب (السلطان) لم يرد في التـاريخ العـماني وانـما ورد ذكـر (السيد سعيد بن سلطان) كما ورد في الوثائق البريطانية والرسائل والمعاهدات (الامام سعيد بن سلطان) .

الثانية : الاستاذ الباحث لم يشر في ورقة البحث الى أن أول لقاء بين مصر وعمان كان سنة ١٨١٣ ، واللقاء الثاني كان سنة ١٨٢٤ ، وانه في الثلاثينات من القـرن التـاسـع عشر كان هنـاك مشروع هام بين محمد علي والسيد سعيد بن سلطان ، تضـم فيه (الاحساء والبحرين تحت حكم السيد سعيد بن سلطان) على أن يدفع مبلغا من المال لحاكم مصر ، الا أن المشروع لم يتم لرفض السيد سعيد الشروط ، وانشغال محمد علي بحروب سوريا .

ـ الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي يجيب على المداخلات :

معربا عن ارتياحه وسعادته للملاحظات التي وردت في المداخلات جاءت اجابة الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ موجزة حيث بدأها بالرد على تساؤل المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي حول العلاقة بين محمد علي والسيد سعيد فقال : (أنا لا أتحدث عن الدولة العثمانية بل عن العلاقة بين مصر ـ وان وكانت ولاية عثمانية وواليها محمد علي ـ وبين عمان وحاكمها السيد سعيد بن سلطان ، وقد شاركت ببحث قديم عن علاقة الدولة العثمانية بمنطقة الخليج وكان ذلك برأس الخيمة سنة ١٩٨٩م) .

ويعلق الاستاذ الباحث على الملاحظة الثانية التي أبداها المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي فيقول : « واما انني لم اذكر زيارة السلطان سعيد بن تيمور الى مصر في الاربعينات ، فإن ذلك يعود ببساطة الى انني أتحدث عن النصف الثاني

من القرن العشرين ، أما عن علاقة مصر بسلاطين عمان في زنجبار بعد السيد سعيد ، فقد أشرت اليه في البحث حيث ورد ذكر (السيد ماجد والسيد برغش) ، وسوف يقوم الدكتور شوقي عطا الله الجمل بايفاء الموضوع حقه ـ ان شاء الله ـ » .

ويتطرق الاستاذ الباحث لملاحظة الشيخ أحمد بن سعود السيابي مدير عام الشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية حول ما ورد في بداية الصفحة الرابعة من ورقة البحث فيقول :

« أما بالنسبة لملاحظة الأخ الفاضل أحمد بن سعود السيابي فأنا لا أقصد (أن العمانيين انتهوا) ولكن التأثير الأوروبي ـ دون شك ـ حد من فعالية هذه القوة ، ولا يمكن لأحد أن يغفل دور العمانيين في اخراج البرتغاليين من المنطقة ، ولي بحث قدمته في رأس الخيمة عن (دور العمانيين في اخراج البرتغاليين من الخليج) ، أما بالنسبة للاشراف فانني لم أقل : انهم كانوا على المذهب الوهابي ، ولكنهم كانوا خاضعين في ظل الدولة السعودية ، وكانوا خاضعين قبل مجيء محمد علي في حملاته للسعوديين الوهابيين (الحنابلة) » .

ويعقب الاستاذ الباحث على مداخلتي الدكتور أحمد السيد محمد عودة الحسيني الاستاذ بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب/جامعة عين شمس ، والاستاذ عبدالتواب يوسف حيث يطالب الأول منهما بالتأكيد على الأواصر المعاصرة لاهميتها وانها لم تأت من فراغ ، كما يتساءل الثاني عن كيفية استمرار ودعم العلاقات العمانية المصرية على الدوام ، فيقول : « التاريخ كالنهر شرب منه من قبلنا ، ويشرب منه غيرنا ، وهناك جذور تاريخية ، وأصالة حضارية بين الشعبين تمنع أن يحدث أي توقف لهذه العلاقة الودية الخيرة ، والدور علينا أن نعي

أن العلاقة التاريخية التي تربط بين الأمة العربية جميعها تقوم على حقائق الجغرافيا والتاريخ والمصير المشترك ولابد أن نعي ونحن في هذه الندوة ، والندوات السابقة ما جاء في مقـولـة معالي الدكتور (عبدالله بن محسن الطوبي) التي وردت لدى افتتاح أول ندوة عن العلاقات المصرية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز (نحن رجال العلم والفكر علينا دور أن نؤثر في رجال السياسة ، بهذه العلاقات ، وهذه الفعاليات الثقافية ، من اقامة المؤتمرات ودور الجامعات ، ودور الوزارات والهيئات التي تبحث عن هذه الجذور وتؤكدها » .

ويضيف الاستاذ الباحث « وإذا كان هناك خلافات حدثت بين طرفين ، فيمكن ازالتها ، وطالما يقوم أبناء الأمة العربية المفكرون الذين يؤمنون بالوحدة العـربية ، وأهميتهـا في هذه المنطقة من العالم كقوة عربية اسلامية ، لها تاريخها المشترك ، وحضارتها التي يجب علينا أن نفاخر بها ، وهنا لابد لنا أن نركز على دور المثقفين في التركيز على الجوانب الايجابية » .

ويختتم الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ اجابته بالتعليق على ملاحظات الباحث سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس حيث يتفق معه على ملاحظته الأولى والتي أشـار فيهـا الى أن « لقب (السلطان سعيد بن سلطان) لم يرد في التاريخ العماني وان الصواب هو (السيد سعيد بن سلطان) » .

وفي اطار رده على الملاحظة الثانية يقول : « لقد حرصت على الحديث عن فترة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم وفخامة الرئيس محمد حسني مبارك » .

وحول ملاحظة سعيد الهاشمي الثالثة ، يقول الاستاذ الباحث : « تحدثت عن أشخاص السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي وجلالة السلطان قابوس وفخامة الرئيس محمد حسني مبارك » .

خصوصية العلاقات المصرية ـ العمانية

(١٩٧٩ ـ ١٩٨٩)

أ. د / عبدالرحمن اسماعيل الصالحي

استاذ العلوم السياسية ـ جامعة الزقازيق

مقدمة

ان العلاقات المصرية العمانية ليست وليدة فترة الدراسة (١٩٧٩-١٩٨٩) ولكنها علاقات امتدت عبر التاريخ وضربت جذورها راسخة في عمق الزمان . . وهي علاقات أزلية بين شعبين عربيين لهما جذور حضارية وعراقة وأصالة عربية امتدت توجهاتها عبر آسيا وافريقيا والعالم كله في تنسيق وتماثل في سياستهما الخارجية الى حد كبير وتلك خصوصية العلاقة في فترة الدراسة التي امتدت من خلال الشعوب لتصل إلى زعامات البلدين فكانت علاقة جلالة السلطان قابوس بن سعيد وفخامة الرئيس محمد حسني مبارك علاقة نموذجية يحتذى بها ونمطا لو سار الآخرون على منواله لتبدلت كثير من الأمور الى ما هو أفضل في اطار العلاقات الدولية وعلى مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ولعل محددات هذه الفترة (١٩٧٩-١٩٨٩) تبرز أهميتها في أمور كثيرة .

أبرزها حدوث بعض التعارضات في العلاقات المصرية العربية .

ووقوف عمان موقفا مبدئيا ثابتا يعد في الواقع ترجمة حقيقية لمنهاج واستراتيجية الدولة العمانية .

وإعمالا لمبادئها وتلافيا مع الاستراتيجية المصرية وبخاصة فيما يتعلق بالتوجهات العربية فلقد أيدت عمان عن ايمان واقتناع الموقف المصري وهنا يقول جلالة السلطان قابوس :

« ان سلطنة عمان كانت حريصة دائما على أن تقوم بدورها لخدمة المصالح العربية والمصالح الثنائية بين مصر وعمان »[1]

---

(١) مقتبسة من مقال مجيد بن محمد الرواس الملحق الاعلامي لسفارة سلطنة عمان بالقاهرة ، « وأثبتت الأيام مصداقية السياسة العمانية ـ المصرية ، جريدة الاهرام القاهرية ، ١٨/٥/١٩٨٩ » .

ولعل من أبرز محددات هذه الفترة أنها تأتي بدايتها في قرابة انتهاء العقد الأول لحكم السلطان قابوس الذي يعد منارة لبلده فقد عرفت النور ـ بعد اظلام فرضته ظروف معينة ـ منذ توليه الحكم في ٢٣ يوليو ١٩٧٠ .

وبكل هذه المحددات فلا غرابة من القول بأن العلاقة بين مصر وعمان لها خصوصيتها وتميزها خلال هذه الفترة على وجه التحديد فقد حدث تحرك عماني ومصري ولقاءات ومباحثات ورسائل بين الزعيمين المصري والعماني تميزت بالحرص التام على الكيان العربي ككل وعلى تأكيد وتطوير وتدعيم علاقة البلدين بوجه خاص وذلك في اطار من الواقعية والوضوح والصراحة التي تميزت بها عمان ومصر .

ويلقي الباحث الضوء في هذه الأوراق على عروبة مصر وعمان وتوجهاتهما العربية وديناميكية العلاقات بينهما خلال فترة الدراسة والنظرة المستقبلية لهذه العلاقة وضوابط تنميتها الى الأفضل دائما .

واني لست بباحث فقط ولكني مصري عربي تواق ومشتاق وآمل في أن أرى العرب في أحضان مصر ومصر في أحضان العرب فمصر بدون العرب ينقصها الكثير ، والعرب بدون مصر كيان أيضا ينقصه الكثير .

الثقل الحضاري لمصر العربية
وتوجهاتها العربية

ان الاهتمام المصري بالقضايا العربية وبقضية الوحدة العربية هو جزء من السياسة المصرية بل ان السياسة المصرية تعمل في الاطار العربي كأحد الاطر الرئيسية المحددة لسياستها وان كانت هناك حواجز زمنية عاقت مصر عن ممارسة دور عربي فعال ، فإن ذلك لا يعطي انطباعا عن بعد مصر عن المسألة العربية فإن تبلور الوحدة العربية والدعوة لها لم تظهر بصورة فعالة وذات طابع رسمي الا مع مطلع هذا القرن وابان أزمات اجتاحت الأمة العربية وهي تبحث استقلالها في أتون نيران حروب عالمية لا ناقة لها فيها ولا جمل وما بين وعود الحصول على الاستقلال ، وبين جذب في اطار التبعية .

وليس هناك شك أن الارتباط والاهتمام والاتصال المصري بالمنطقة العربية ارتباط قديم وان تعربت مصر ثقافة ولغة وجنسا منذ الفتح الاسلامي ، الا أن العروبة قد دخلت وادي النيل منذ آلاف السنين ، ولقد كان الاتصال مطردا بين وادي النيل وبين جزيرة العرب منذ أقدم العصور ومن ثم فإنه يمكن القول ان وادي النيل كان مسرحا لانتشار السلالات العربية والثقافة العربية قبل الاسلام وبعده ثم أصبح مركزا لانتشار العروبة نحو الغرب .[١]

ولاشك أن الاهمية الاستراتيجية لمصر أضفت أهمية بالغة على العرب والعروبة بالتالي ، كما أن الأهمية الاستراتيجية للمنطقة المحيطة بمصر وتأثيرها على أمن وسلامة مصر كانت محل ادراك مصري منذ عهد الفراعنة .[٢]

(١) د. عز الدين فوده ، المجتمع العربي (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٦١ ص ٥٠-٥١ ، ٥٥) .
(٢) عبدالحميد محمد الموافي ، مصر في جامعة الدول العربية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣) ص ٥٠ .

ومن كل هذه المحددات التاريخية والحضارية فإن مصر أولا وأخيرا عربية ولا يمكن انفصام عروبتها عنها وأنها ليست متناقضة الأدوار الا أنها دولة تضطلع بمسئوليات متعددة[١]فمصر تشارك العرب سمات وقسمات تجمع بينهما وان كانت مصر تقع جلها جغرافيا في افريقيا الا انها بالتاريخ تمت إلى آسيا ، وان كان الجد فرعونيا الا أن الأب عربي .[١]

ولعل دعاة الفرقة والعزلة يدركون جيدا أن مصر عربية وستظل عربية وأن عروبة مصر لا تقبل التشكيك ولا تندثر بمحاولات العزلة فهى قائمة على محددات ومقومات الأمة الواحدة لا انفصام لها دون انفصام لعرى القومية العربية جامعة .

أشرنا من قبل إلى أن الارتباط المصري العربي ارتباط وثيق وان وادي النيل عرف العروبة منذ آلاف السنين وانه عريق في عروبته[٢]حتى لقد ذهب البعض للقول بأن عروبة مصر كانت قبل المسيح عليه السلام بآماد بعيدة ، فلقد كانت « قفط » في الصعيد بلدا عربيا قبل أن يستبشر الناس بظهور عيسى عليه السلام .[٣]

وان كان البحث محددا بفترة زمنية فضلا عن بعض المحددات الموضوعية الاخرى الا أن هناك ضرورة لابراز أو التعرض لديناميكية العلاقات المصرية العربية السابقة على الفترة المعاصرة وذلك للربط بين ما مضى وفترة الدراسة .

ولقد ارتبطت مصر بالعرب بعلاقات وثيقة منذ فجر التاريخ فقد كانت شبه

---

(١) د. صلاح زكي ، مصر والمسألة القومية بحث في عروبة مصر (القاهرة : دار المستقبل العربي ، ١٩٨٣) ، ص ٩٦ .

(١) د. جمال حمدان ، شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان (القاهرة : دار الهلال ١٩٦٧) ، ص ١٣ .

(٢) د. عزالدين فوده ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٣) عبدالرحمن عزام « الوحدة العربية » ، مجلة الهلال (عدد ٥١ ، أكتوبر ١٩٤٣) ، ص ٤٦ .

جزيرة العرب ودول الخليج على مر العصور مستودعا عظيما ومنبعا لموجات بشرية تتدافع في تيارات متتالية على مدى العصور والأجيال نحو الاقطار المجاورة والتي كانت تتجه نحو شرق افريقيا عن طريق باب المندب ثم عبر طرق البحر الأحمر ويمكن النظر إلى برزخ السويس وسواحل البحر الأحمر وبوغاز باب المندب كطريق واحد عريض سلكته الجماعات العربية المتتالية في مسالك متعددة متقاربة أو متباعدة .[٤]

ولقد جاء هذا الارتباط بين مصر والمناطق العربية كنتيجة منطقية لما تتميز به من موقع جغرافي فضلا عن أن هذه المناطق العربية كانت بمثابة معينا لا ينضب للموجات البشرية المتلاحقة وان كان من الصعب حصر وتحديد هذه الهجرات العربية[١]وان كان من المؤكد أن الجاليات العربية الأصل قد أقامت في سيناء والصحراء الشرقية بل وعلى ضفاف النيل وفي الصحراء الغربية ، كما أن الهجرات العربية الأولى استقرت في الوجه البحري ثم توافدت على بلاد الصعيد بمصر .

وتشير الدراسات التاريخية الى أنه لم يكد يبدأ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى كان في مصر شعب جديد هو خليط من العرب والمهاجرين وسكان البلاد قبل الاسلام ومعظمهم يدينون بالاسلام ويتكلمون العربية وتكتب بها مختلف الفنون والعلوم وبهذا فإن مصر باتت دولة عربية وجزءا من الدولة الاسلامية وأصبحت القاهرة في وقت من الأوقات عاصمة للخلافة الفاطمية ثم عاصمة للخلافة العباسية في عصر سلاطين المماليك ، ولعبت مصر دورا هاما في

(٤) د. محمد محمد أمين ، « تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى » د. محمود خيري عيسى (اشراف) العلاقات العربية الأفريقية (القاهرة) : معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٨) ص ٣١-٥٣ .

(١) راجع : بريستيد ، ترجمة حسن كمال ، تاريخ مصر في أقدم العصور - : د. عباس عمار ، المدخل الشرقي لمصر (القاهرة : المعهد الفرنسي ١٩٤٦) .

تطور العلاقات العربية الافريقية في عصر هذه الدول فمثلت رأس جسر للحضارة العربية والثقافة العربية امتد إلى قلب افريقيا .[٢]

والواقع أن العلاقات المصرية العربية والترابط المصري العربي ومن ثم وجود مصر في اطار ارهاصات الفكرة العربية لم يكن جديدا ولا مستحدثا بل ان هذا الفكر كان متمثلا في مصر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وأن العلاقات المصرية العربية امتدت عبر المشرق العربي ، ولقد تمثل هذا الترابط في بعض الصور التي يمكن اعتبار مقتل كليبر بخنجر شاب سوري « سليمان الحلبي » احدى هذه الصور .

ولقد ازدادت الروابط بشكل ملفت للنظر منذ تفجير قضية فلسطين تلك التي كان لها أكبر الأثر في تنمية واثارة فكرة الوحدة العربية وذلك في السنوات التي فصلت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية . ولقد كانت العلاقات المصرية العربية في تلك الفترة علاقات مؤثرة وفعالة وان اتسمت بالجانب الثقافي أكثر من غيره حيث لعب الجامع الأزهر ولعبت الصحافة المصرية والجامعة المصرية دورا هاما[٣]وفي الواقع كانت مصر أول البلاد العربية التي واكبت نهضة أوروبا العلمية وبالتالي عملت على نقل المعارف الى الوطن العربي بعيدا عن استغلال هذا المناخ بتيارات تبشيرية . كما قامت على النهضة الثقافية وامداد الدول العربية بالثقافة العربية والنهضة العلمية في مختلف الفروع .[١]

وان كنا قد قلنا بعروبة مصر وانه مسلمة من المسلمات لا تحتاج لتأكيد

---

(٢) د. محمد محمد أمين ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

(٣) Gommaa, Ahmed M., the Foundation of the League of (London, 1977) PP.

(١) د. عز الدين فوده ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

أو برهـان فإن سياسـة مصر الخارجية وتوجهاتها العربية بصفة خاصة وعلى وجه التحديد خلال أزمة أو موقف قطع العلاقات العربية مع مصر كانت واضحة المعالم ولم تكن جامـدة ولم تأخـذ صورة استمـرارية لسـابقتها ولكنها واكبت المتغيرات وتـواءمت زمنيا مع مقتضيات التغيير ، وبدرجات من المرونة والوضوح في نفس الوقت ، وقد أوضح الرئيس مبارك في أكثر من مرة تمسك مصر بعروبتها بل ان مصر من أكثر المتحمسين لقضايا الوطن العربي ، وان مصر لم تتخل عن واجباتها العـربية رغم تمسكهـا بالتزاماتها التعاقدية . وقد أعلنت مصر أكثر من مرة أنها تتعامل مع العرب من منطلق الالتزام القومي ومن خلال مفهوم حتمية المصير والقدر .

ويمكن القول أنه منذ تولي الرئيس مبارك المسئولية ، انتهجت مصر سياسة تعمل على تحقيق التقارب والقضاء على أسباب الفرقة العربية ، هادفة الوصول الى اتفاق على حد أدنى من التوافق العام لايقاف التردي والتدهور العربي .[٢] ولذلك سعى مبارك لوضع أولويات جديدة للسياسة الخارجية المصرية .[٣]

ويمكن بايجاز تحديد ملامح السياسة المصرية الخارجية تجاه الدول العربية والتي وضحت بجـلاء في الخـطاب السياسي المصري سواء من جانب الـرئيس أو وزير الخارجية :

١ ـ تحقيق مصالح مصر الوطنية والقومية ، مع تدعيم القدرات الدفاعية المصرية تحقيقا للأمن المصري القومي وخدمة الأمة العربية والسلام والاستقرار في

---

(٢) د. بطرس بطرس غالي ، « الدبلوماسية المصرية عام ١٩٨٥ « مجلة السياسة الدولية (عدد ٨٣ ، يناير ١٩٨٦) ، ص ٩ .

(٣) د. محمد نعمان جلال ، « السياسة الخارجية المصرية بين المثال والحقيقة » في : ندوة النظام السياسي المصري ٢ـ٣ ابريل ١٩٨٦ (القاهرة : نقابة التجاريين شعبة العلوم السياسة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ابريل ١٩٨٦) ، ص ١١ .

الشرق الأوسط .

٢ ـ التزام مصر الثابت تجاه قضايا الأمة العربية ، وعدم تخلي مصر عن مسئولياتها القومية رغم القطيعة الرسمية في العلاقات العربية .

٣ ـ ضرورة وأهمية العمل على تجاوز الخلافات العربية وترميم البيت العربي مع عودة علاقات مصر العربية تحت أطر ونظم جديدة .

وفي هذا قال الرئيس :

« أنا لا أريد أن أتحدث عن الذي فات . . . ما فات له ظروفه ومتغيراته ، ولكني أريد أن أفتح صفحة جديدة »[١]« لا مانع عندي أن أذهب الى أي بلد عربي ، أقولها مخلصا ، ولكن يجب أن تسبق هذه الزيارة أرضية تفاهم » .[٢]

وفي نفس الوقت أعلن الرئيس مبارك أنه لن يرد على مهاجمات العرب في سبيل رأب الصدع العربي .

٤ ـ مصر ملتزمة بالاتفاقيات الرسمية ولن تتخلى عنها في مقابل استعادة علاقاتها مع الدول العربية ، وان تمسك مصر بالالتزامات يعني الثنائية منها ومتعددة الاطراف . وان كان تطور العلاقات بين مصر واسرائيل متوقفا على مواقف وتصرفات اسرائيل خاصة تجاه المشكلة الفلسطينية ، ذلك أن مصر مستمرة من أجل دفع جهود التسوية الشاملة والعادلة في الشرق الأوسط .[١]

(١) حديث الرئيس مبارك الى وفد المراسلين الأجانب المعتمدين بالأمم المتحدة ١٩٨٤/١٢/١٣ .
(٢) حديث الرئيس الى مجلة أكتوبر ، ١٩٨١/١١/١ .
(١) بيان السيد وزير الخارجية في مجلس الشعب في ١٩٨٤/٢/٢١ .

٥ ـ الحرص على احترام مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية وقد عبر الرئيس عن ذلك بقوله :

« منذ أن تحملت المسؤولية في أكتوبر ١٩٨١ فقد آليت على نفسي ألا أزج بمصر في الشؤون الداخلية لأي قطر عربي » . [٢]

وأوضح من هذا السياق أن من بين أهداف السياسة المصرية الاقتراب من الدول العربية بغية العمل على رأب الصدع العربي . . ويساعد هذا الاتجاه على خلق حالة من الاتفاق على الحد الأدنى للتنسيق العربي ولضمان وحدة الصف . [٣]

(٢) وزارة الاعلام ، الرئيس حسني مبارك ٦ سنوات من المسئولية العليا (القاهرة : وزارة الاعلام ، ١٩٨٧) ، ص ٣٤ .
(٣) مركز الدراسات الساسية والاستراتيجية بالاهرام ، التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٨٥ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٩٨٦) ، ص ٣٩٠ .

الثقل الحضاري لعمان العربية
وتوجهاتها العربية

تشغل سلطنة عمان رقعة واسعة في الجنوب الشرقي للجزيرة العربية وتعد من أكبر دول الخليج مساحة اذ تبلغ مساحتها نحو ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع وتحيط بالسلطنة دولة الامارات العربية شمالا والمملكة العربية السعودية غربا ، وجنوبا في غرب تحدها اليمن الجنوبية ، أما ساحلها فيدور به خليج عمان شرقا وبحر العرب جنوبا ، ويمتد الساحل قرابة الف وستمائة كيلومتر .

وحري بالذكر أن جزءا صغيرا يحيط برأس مسندم ، منفصل جغرافيا عن السلطنة حيث تقع دولة الامارات المتحدة بينه وبين البلاد العمانية ، وهذا الموقع الجغرافي الهام الذي يضع البلاد كحارس على باب المندب حيث يمر بترول دول الخليج وسفن تجارته مع العالم يفرض في ذات الوقت معادلة صعبة وهي المواءمة بين حماية هذه المساحة الاستراتيجية والبعد في نفس الوقت عن مراكز الصراعات .

وتعد عمان مركزا من المراكز الهامة بالنسبة للطرق التجارية التي تمر بها ، ولذلك كان لعمان نصيب لا يستهان به في التجارة القديمة فالخليج العربي ، وخليج عمان وشطآنها كانت سوقا تجارية عبر التاريخ .

وحري بالذكر أيضا أنه خلال القرنين الرابع والخامس تركزت تجارة الهند والشرق الاقصى في جزيرة سيلان (سري لانكا) وكانت التجارة تنقل عبر البحار ذلك أن الطريق البري كان مقفلا في معظم الأوقات بسبب الحروب والنزاعات التي كانت قائمة بين الفرس والروم . خلال هذه الفترة كان لتجار عمان وسفنها نصيب كبير من هذه التجارة وبخاصة أن موانىء اليمن ومدنه كانت تمر بأزمات

مرتبطة بانهيار الحياة الزراعية بسبب تهدم السدود وبخاصة سد مأرب . [1]

وقد اهتم الجغرافيون العرب بعمان في الفترة العربية الاسلامية في كتبهم فقد ارتبط العباسيون (عاصمتهم بغداد) بالبحار الشرقية في وقت كانت الصين تتمتع بنظام يسمح لها بالقدرة على التعامل التجاري الخارجي المنظم لسد رغبة الأسواق المحلية ، فكانت هناك ثمة تجارة قوية غنية متنوعة بين قلب العالم العربي وبلاد الهند والصين واندونيسيا بحرا وكان ذلك محل اهتمام الجغرافيين بعمان ، فقد ذكرها أصحاب الازياج (الجداول الفلكية) وقيد أصحاب الكتب الجغرافية الأولى (أشبه ما يكون بالدليل الرسمي) بعدها عن البصرة وغيرها ، ووصفوها وصفا غاية في الدقة ، فقد وصفها الجغرافيون البلدانيون حيث ذكروا المدن التالية :

عمان ومسقط وسوقطره (اعتبرها ابن رسته جزءا من عمان) وصحار وقلهات ونزوى والسر . وقال المقدسي (النصف الثاني من القرن العاشر) عن صحار : « صحار هي قصبة عمان وليس على بحر الصين اليوم بلد أجمل منه . عامر أهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات . . . أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر . . . دورهم . . . شاهقة نفيسة . . . (وهي) دهليز الصين وخزانة الشرق والطرق ومغوثة اليمن » .

وقد وصف عمان كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة من العرب وغيرهم فتحدث عنها اليعقوبي ، والمقدسي ، كما تناولتها وثيقة صينية تعود إلى القرن الثالث عشر حيث يذكر مؤلفها (تساو ـ جو ـ كوا) أن الصين كانت تستورد من بلاد العرب عن طريق الموانىء العمانية كثيرا من السلع من بينها اللبان الذكر .

---

(١) د. نقولا زياده ، سلطنة عمان ، مجلة شؤون عربية (عدد ١٢ ، فبراير ١٩٨٢) ، ص ٢٦٥-٢٧٠ .

ولقد كان لموقع عمان المتميز آثاره في ارساء القواعد العلمية للملاحة البحرية على يد البحار العماني أبي عبيدة بن عبدالله بن القاسم الذي قطع بسفينته ٧٠٠٠ كيلومتر من عمان حتى ميناء كانتون في الصين ولقد عمل العمانيون مع ترويج تجارتهم خلال رحلاتهم البحرية على نشر رسالة الاسلام فضلا عن اللغة والحضارة العربية ، ومن نافلة القول أن مرشد البحارة فاسكو دي جاما الذي قام برحلته حول رأس الرجاء الصالح كان الملاح العماني أحمد بن ماجد .[1]

ولقد دهم عمان وما جاورها خطر كبير عندما وصل البرتغاليون المحيط الهندي عن طريق رأس الرجاء الصالح (١٥٠٧) ولقد ثبت البرتغاليون أقدامهم في عمان والخليج العربي لمدة تتجاوز قرنا من الزمان رغم تعرضهم لثورات كثيرة من (قلهات ومسقط عام ١٥٢٦) ولقد أعمل البرتغاليون كل الأساليب الوحشية تجاه البلاد الآمنة فكان التخريب والهدم والتدمير والسلب والنهب ، ولقد كان طرد البرتغاليين عام ١٦٥٠ بداية لمرحلة نشيطة قوية في عمان الا أن البلاد تعرضت في النصف الأول من القرن الثامن عشر لحرب أهلية طاحنة الى ان تولى الأمر أحمد بن سعيد عام ١٧٤٩ والذي يعتبر مؤسس أسرة آل بو سعيد التي تأسست عام ١٧٤١ والذي أعاد الهدوء الى البلاد وأمكنه توحيدها بعد سنوات من الحرب الأهلية ، كما أعاد قوة عمان البحرية مرة أخرى ونقلت العاصمة الى مسقط في عام ١٧٨٦ . . وقد كان مجيء السلطان قابوس في ٢٣ تموز/يوليو عام ١٩٧٠ الى الحكم بمثابة انفتاح للبلاد بعد عزلة فرضتها الدولة على نفسها وبدأ حكم له سمات متميزة ، تقوم على أهداف سامية من أبرزها تنمية البلاد وتوفير الرعاية الصحية والخدمات التعليمية وغيرها من جوانب التنمية الاجتماعية لابناء الشعب .

---

(١) سلطنة عمان ، وزارة الاعلام ، عمان ٨٧ (وزارة الاعلام : ١٩٨٧) ، ص ١٢-١٤ .

وهكذا فإن المد الحضاري العربي في عمان لم يكن وليد اليوم وانما له جذوره الممتدة عبر الزمان والتي تعنى أصالة ورسوخ الحضارة العمانية بعروبتها وبسماتها المتميزة ، وان غشاها ما غشى في فترات معينة من انحسارها عن العالم الا ان انطلاقاتها الحالية غير محدودة بل تعد وثبة حضارية جادة حتى بات لعمان مركز جذب أوى اليه عديد من المتطلعين للدراسة والبحث في بروز دورها على الساحتين العربية والدولية ، خاصة مع نهضتها الحديثة التي تسعى لتواكب العصر من خلال خطط ومعدلات انمائية متلاحقة نقلت عمان الى دولة عربية عصرية في زمن اعتقد أنه قياسي ، ولم تصبح عمان الدولة المنغلقة على نفسها بل باتت تلعب دورا بارزا ومؤثرا في المنطقة العربية بأسرها والتي تموج بأحداث متلاحقة لا نقول ساخنة ولكن مشتعلة .

ولعل هذا يقربنا من الحديث عن السياسة والتوجهات الخارجية للدولة الفتية عمان ، فلقد كانت السياسة العمانية دائما موضع جدل في وسائل الاعلام والندوات التي عقدت في عديد من مناطق العالم .[1]

والحديث عن السياسة الخارجية العمانية يحكمنا فيه عامل هام وهو التحديد الزمني لهذه السياسة والذي نشير اليه لعام ١٩٧٠ عندما خرجت عمان من عزلتها التي فرضت عليها سنوات وكان هذا الخروج بتولي السلطان قابوس شؤون السلطنة حيث غير كثيرا من الأوضاع التي كانت قائمة وسائدة فكانت بداية الانفتاح الحقيقي على العالم الخارجي ، فبادر بانضمام السلطنة الى جامعة الدول العربية والى الأمم المتحدة عام ١٩٧١ ،[1] كما انضمت عمان الى منظمة المؤتمر

(١) حديث جلالة السلطان قابوس بن سعيد لجريدة الخليج ، الامارات ١٩٨٦/١/١١ .

(١) د. نقولا زياده ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ .

الاسلامي في ٢٩ فبراير عام ١٩٧٢ وكذلك الى حركة عدم الانحياز في سبتمبر عام ١٩٧٣ وبادرت الى الانضمام الى مختلف المنظمات الدولية الاخرى المتخصصة .[٢]

وبالرغم من محددات الدراسة بفترة زمنية معينة الا أن السياسة الخارجية التي تنتهجها السلطنة وتوجهاتها الخارجية والعربية على وجه التحديد تتميز بأنها تسير في نسق متوازن ومتزن بجانب التغيرات والتطوير الداخلي المتنامي وتقوم هذه السياسة على رواسخ وثوابت ومبادىء محددة مازالت منذ تولي جلالة السلطان قابوس بن سعيد قائمة ومعلنة واذا جاز لنا أن نستعين بجزء من خطابه الذي ألقاه بمناسبة احتفال سلطنة عمان بالعيد الوطني العشرين ، في ١٩٩٠/١١/١٨ حيث تناول هذه السياسة بقوله :

« لقد كان للسياسة الموضوعية الواضحة التي ننتهجها منذ البداية على الصعيد الخارجي أثرها الفعال في بناء علاقات ايجابية متنامية مع مختلف الدول والشعوب واذ نسعى بكل اخلاص للعمل على تطوير هذه العلاقات بما يخدم الأهداف والمصالح المشتركة ويساهم في تحقيق السلم والاستقرار على كافة المستويات الاقليمية والدولية . . فاننا نؤكد اليوم من جديد على الاستمرار في سياستنا التي تقوم على الايمان بمبادىء التعايش السلمي بين جميع الدول والشعوب والاحترام المتبادل لحقوق السيادة الوطنية . . وحسن الجوار بين الدول المتجاورة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير . . اننا نعمل دائما وفقا لهذه المبادىء . . . وندعو باستمرار الى حل جميع القضايا بالطرق السلمية » .[٣]

---

(٢) سلطنة عمان ، وزارة الاعلام ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٣) خطاب جلالة السلطان قابوس بمناسبة العيد الوطني العشرين ، منشور بجريدة الاهرام القاهرية في ١٩٩٠/١١/١٩م .

وبـاستـطلاع خطاب جلالـة السلطان قابـوس يتضح أن هناك محددات ومبادىء تعد ركائز هامة تتكىء عليها السياسة الخارجية والتوجهات العمانية تجاه الاشقاء العرب وكذلك تجاه العالم كله ومن أهم هذه المبادىء .

١ ـ انتهاج سياسة حسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير .

٢ ـ احترام القوانين والاعراف الدولية .

٣ ـ دعم التعاون بين دول الخليج العربي .

٤ ـ تدعيم العلاقات مع الدول العربية والوقوف الى جانب القضايا التي تهم العالم العربي .

٥ ـ دعم التعاون الاسلامي .

٦ ـ الوقوف الى جانب القضايا الافريقية العادلة .

٧ ـ انتهاج سياسة عدم الانحياز .

٨ ـ اقامة علاقات ودية مع كافة الدول الصديقة .

وفي اطـار هذه المبـادىء التي رسمتها السلطة العمانية منذ اعتلاء جلالة السلطان قابوس سدة الحكم بالسلطنة ، والتي تنعكس على كل الصعد الخليجية والعربية والعالمية والتي كان لها آثار ايجابية في وضع عمان في المكان اللائق بها على خريطة العلاقات الدولية .

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن هناك دوائر ثلاثا هي الدائرة الخليجية ، والدائرة العربية ، والدائرة الدولية .

وان كان ما يعنينا هنا هو التركيز بالدرجة الأولى على العلاقات المصرية العمانية فإن ذلك يدخل في اطار الدائرة العربية ، حيث تؤمن السلطنة ايمانا مطلقا بتحقيق التضامن العربي وتعمل على صيانته ، ولعل ما يمس مصر في هذه الخصوصية هي سياسة عمان بشأن قطع علاقاتها أو تجميدها مع مصر فترة القطع العربي لجل علاقاته مع مصر حيث رفضت عمان قطع العلاقات مع مصر ، ونادت بوحدة الصف العربي ووحدة الموقف العربي وتضامنه ولعل ذلك يطرح تساؤلا ولكن نتيجة لرؤية جادة فقد أثبتت الأيام صحة وبعد نظر الرؤية العمانية وقدرتها على استشراف المستقبل .

ومن هذا البعد أو المحدد العربي في علاقات عمان كان وقوف عمان الى جانب القضايا العربية حيث دعمت كافة الجهود الدولية المبذولة على الساحة العربية وكافة الساحات الأخرى لحل النزاع العربي الاسرائيلي بالطرق السلمية وقد ادخلت عمان في اطار أدوات الحل السلمي اقرار المؤتمر الدولي والتي رأت أنه يمثل خير مكان لانهاء الصراع وصولا لحل عادل يضمن الحقوق المشروعة للجميع ولعل في ذلك ما يؤكد توافق الآراء والسياسات المصرية والعمانية في هذه الخصوصية الهامة ذات البصمات الواضحة على مسيرة العلاقات العربية العربية والعلاقات العربية الدولية .[1]

ويمكن القول ان السياسة العمانية وتوجهاتها العربية لم تكن مجرد شعارات مرفوعة بل اتخذت شكلا حركيا تنفيذيا فأصبحت للسلطنة علاقات دبلوماسية مع عديد من الدول على مختلف تركيباتها السياسية وايديولوجياتها ، وحرص جلالة

---

(١) سلطنة عمان ، وزارة الاعلام ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

السلطان قابوس بن سعيد على عمل دائرة اتصالات دولية قوية من خلال زياراته الشخصية واقامة العلاقات الدبلوماسية مع عدد من الدول العربية وغير العربية وحظيت مصر بهذا الاهتمام - كما سيجيء بعد - .

وان كنا قد قلنا بتعدد دوائر السياسة الخارجية العمانية وتوجهاتها العربية في اطار مبادىء واضحة وصريحة فإن ذلك يستلزم منا القاء الضوء على مفهوم صراحة هذه السياسة وتلك التوجهات ، وان كنا نقول في الدبلوماسية أن هناك دبلوماسية القمة ودبلوماسية كذا . . وكذا . . فإننا عند الحديث عن الدبلوماسية العمانية فاننا نطلق عليها دبلوماسية الصراحة والواقعية فإن المتتبع والمحلل للمواقف والتصريحات العمانية في شتى القضايا العربية والاقليمية يدرك للوهلة الأولى قيام هذه الدبلوماسية على سمات واضحة أهمها الصراحة المطلقة والبعد عن المناورات وعن التغليف وعن المواربة وعدم الوضوح ولعل هذا الأسلوب اثار في البداية دهشة الكثيرين الا أن جلالة السلطان وحكومته الرشيدة يدركون أن هذا الاسلوب هو أفضل الأساليب لمواجهة مشكلاتها والمشكلات المحيطة ويعملون في اطار هذه الدبلوماسية ، عربيا واقليميا وعالميا .

ولقد أصبح هذا الأسلوب واضحا لجميع المتعاملين مع عمان ، بل أضحى من مصطلحات القاموس السياسي في المنطقة العربية ، ولم يعد هذا الاسلوب مجرد عادة سلوكية أملتها الطبيعة العمانية بشريا وجغرافيا ولكنه بات أسلوبا للتفاؤل والادراك الجيد والمواجهة الواقعية لكل القضايا والمشكلات برؤى واضحة ومن ثم تأتي المواقف محددة بدون تردد وعودة الى حيث البداية ولعل هذا ما حدث مع مصر عندما رفضت عمان تجميد أو قطع علاقاتها في عام ١٩٧٩ وما تلاه بل انفردت خلال فترة تجميد العلاقات العربية بمصر بمواقف متميزة نابعة من ادراكها الجيد للمواقف وتفهمها الواضح وتعاملها في اطار واقعي صريح .

ديناميكية العلاقة المصرية العمانية

ان ما عرضناه في الصفحات السابقة عن الثقل الحضاري لمصر وعمان وتوجهات كل منها عربيا ليؤكد أن هناك ترابطا ليس بحكم العروبة فحسب ولا بحكم الانتماء الجغرافي أو المميزات الاستراتيجية ولكن هناك في نفس الوقت تماثل وتشابه كبير في السياسات ومعالجة المواقف فإن مبادىء السياسة المصرية الخارجية القائمة على احترام المواثيق والاعراف الدولية واعمال سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة مع احترام سيادة الدول المجاورة يدعم التعاون العربي في اطار توجهاتها العربية وكذلك دعم التعاون الاسلامي والالتزام بميثاق منظمة الوحدة الافريقية والعمل في اطار أهدافها ومبادئها بجانب انتهاج سياسة عدم الانحياز واقامة علاقات ودية وتنميتها مع كافة الدول الصديقة . كل هذه المبادىء تتواءم وتتمشى تماما مع السياسة الخارجية العمانية وذلك الأمر لم يجىء مصادفة أوعفويا وانما كان نتيجة انتهاج سياسات علمية قائمة على مرتكزات واضحة وادراك جيد للمواقف والتزام باحكام القانون الدولي ومبادئه .

وان كانت عمان قد عاشت فترات طويلة منغلقة على نفسها وموصدة بابها ليس أمام مصر فحسب بل أمام معظم الدول العربية وغير العربية الا أن فجر نهضة عمان والذي لاح ضياه في أفق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٧٠ وهو يوم شاءت المقادير أن يماثل نفس اليوم الذي لاح فجر الحرية في مصر بقيام ثورة يوليو في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وكان ذلك يشير بأسلوب الصدفة الى تلاقي دولتين شقيقتين على عديد من نقاط الاتفاق لتدعيم علاقات أخوية صادقة .

وان موضوع الدراسة محدد ببعد زمني وهي فترة تجميد العلاقات العربية المصرية والتي بدأت في اطار توقيع اتفاقية معاهدة السلام مع اسرائيل ، وعلى أثرها

صدرت مقررات مؤتمر بغداد لوزراء الخارجية والاقتصاد العرب في ٢٧-٣١ مارس ١٩٧٩ تمثل أساسا للمقاطعة العربية لمصر ، وقد شارك في المؤتمر كل الدول العربية عدا عمان والسودان والصومال ، وفي ١٨ ابريل ١٩٧٩ كانت الدول العربية قد سحبت سفراءها وقطعت العلاقات رسميا مع مصر عدا الدول الثلاث ثم سحبت السودان والصومال سفيريهما وأبقتا على علاقات دبلوماسية محدودة فقط .[١]

وهكذا يتضح أن سلطنة عمان قد انفردت بموقف عربي متميز نابع أصلا من إعمالها لسياستها الخارجية وتوجهاتها العربية القائمة على أساس دبلوماسية الصراحة والواقعية وايمانا منها بموقف مصر الذي أيدته - كما سيجيء بعد - ومرة أخرى نؤكد أن سياسة المصارحة كانت ركيزة هامة ومنهجا نهجته السلطة العمانية فكانت مواقفها متميزة وواضحة ومحل تقدير كافة الدوائر المتعاملة معها ولعلنا نستعير تأكيدا على أهمية هذه السياسة من حديث لجلالة السلطان قابوس أدلى به لجريدة البلاد السعودية[٢]حين قال :

« إذا كان لي ان أقول بالحقيقة فانني أقول أن طريقتنا هي طريقة الصراحة ونحن هنا في جميع معاملاتنا نتوخى ألا نلف وندور وأن نكون صريحين ولو أن هذه الصراحة أحيانا تجلب لنا بعض المتاعب . . وأعتقد أن الانسان يجب أن يكون مخلصا في قوله وعمله . . . ربما من واقعنا ومن التجارب التي مرت بنا قد جعلتنا نتخذ هذا الاتجاه » .

(١) راجع د. عبدالرحمن اسماعيل الصالحي ، « اتجاهات سياسة مصر العربية في الثمانينات » مجلة دراسات عربية (العدد ٩ ، يوليو ١٩٩٠) ، ص ٤٥ .
(٢) جريدة البلاد السعودية ، ٧ يناير ١٩٨٧ .

وأيا كانت السياسة التي تنتهجها عمان والسياسة التي تنتهجها مصر فإن الدولتين لم تجمعهما أزمة تجميد العرب لعلاقاتهم مع مصر ، وان كانت هذه الازمة أو هذا الموقف أكد على الاصالة العربية العمانية وأوضح جدية وجيد سياستها وتوجهاتها العربية ، فما بين مصر وسلطنة عمان لا يعد مجرد علاقات تجمع بلدين عربيين ، كما انه لا يعد تعاونا أو تنسيقا مشتركا ولكنه توافق ارادات وتطابق سياسات بالدرجة الأولى وتأكيد على أواصر علاقات راسخة . وقد وصل أمر تطابق السياسات بين الدولتين الى حد توحد المواقف والتوجهات ومن ثم القرارات وذلك ليس بأمر مستقر فيكفي أن تشير الى أن أول سفارة أقامتها عمان الحديثة كانت بمصر عام ١٩٧١ ويعد ذلك انعكاسا وتعبيرا عن امتزاج بين حضارتين قديمتين ازدهرتا منذ الحضارة العمانية القديمة التي كانت مواكبة للعصور الفرعونية في مصر .

ولقد امتد الدور العماني في اعمال توجهاته العربية في عهد جلالة السلطان قابوس بعد توقف لفترات طويلة فكانت دفعته قوية لتنمية العلاقات على أسس موضوعية وتجلت في موقفه من رفض قطع العلاقات مع مصر وذلك يؤكد ايمان عمان بموقف مصر واقراره وهو أمر سيتعدى قواعد وعرف المجالات الدبلوماسية[1] ويتعدى زخرف القول وبريق الكلمة ليتعدى الجانب التطبيقي والعملي والذي ثبت على مرور عشر سنوات انه موقف شجاع وعلمي وعملي وقد تخطى به حواجز المكان والزمان لادراك أفضل وقرار أصوب . والواقع أن العلاقات المصرية العمانية لم تتوقف عند هذا الحد وهو حد اعلان عمان تمسكها بعلاقاتها مع مصر بل كانت هناك ديناميكية مستمرة تجلت في مواقف عديدة لعمان تجاه مصر ،

(١) مجلة أكتوبر القاهرية ، عدد ٦٥٦ ، ٢٦ مايو ١٩٨٩ .

وظهرت صورتها في عديد من الزيارات المتبادلة بين رئيسي الدولتين مصر وعمان وما بين مسقط والقاهرة ، وتجلت مظاهرها أيضا في عديد من التصريحات لكبار مسئولي الدولتين .

ولقد كان التفاعل المصري العماني على أشده خلال ما أسموه فترة القطيعة العربية لمصر رغم أن الموقف المصري كان واضحا في هذا الشأن ذلك أن عزلة مصر مسألة غير واردة لدى الفكر المصري الرسمي والشعبي فامكانيات العزل غير متاحة ، ذلك أن عناصر الوجود المصري في العالم العربي ثابتة راسخة كما أن التعارضات العربية المصرية ليست ذات مرتكزات استراتيجية وانما هي تعارضات تكتيكية مؤقتة ، ولقد عبر فخامة الرئيس المصري محمد حسني مبارك عن ذلك بقوله :[1]

« اننا جميعا عرب شئنا أو أبينا وان مصر دولة عربية لها آمالها المشتركة مع أمتها العربية . . وعودة مصر للعالم العربي عودة حتمية » .[2]

وقد أوضح الرئيس مبارك أن القطيعة العربية ليست كاملة ، ودلل بوجود زيارات وصلات كثيرة بين المصريين والعرب ، كما أعلن ان سياسة مصر في هذا الشأن قائمة على التروي ، وعلى تمسك مصر بارتباطاتها القانونية الدولية وان قرار مصر في هذا الاطار أمر خارج مجال المراجعة ، وعلى ضوء هذه القوانين فإن العرب يمكنهم تقويم سياستهم مرة أخرى .[3]

---

(١) تصريحات الرئيس مبارك في المؤتمر الصحفي عقب اللقاء الذي تم بينه وبين المستشار النمساوي كرايسكي ، فبراير ١٩٨٢ .

(٢) حديث الرئيس مبارك الى صحيفة السياسة الكويتية في ١٩٨٢/٣/١٤ .

(٣) راجع : أحاديث الرئيس مبارك إلى وفد المراسلين المعتمدين بالأمم المتحدة في ١٩٨١/١٢/١٣ ، والى صحيفة نيويورك تايمز الامريكية في ١٩٨١/١٠/٢٠ ، والى جريدة الاهرام القاهرية في ١٩٨١/١٠/٢٣ والى مجلة المصور في ١٩٨١/١٠/٣٠ .

وان كان هذا رأي مصر وتفاعلاتها تجاه موقف عربي فإن رأي عمان لم يكن بعيدا عن هذه التـأكيدات التي استندت اليها مصر ، ولعل استعراض ما ذكره معالي وزير الاعلام في السلطنة العماني منذ أكثر من خمسة أعوام في هذا الشأن يؤكد ما ذهبنا اليه ، ففي نوفمبر ١٩٨٥ وبالتحديد في احتفالات العيد الوطني الخامس عشر لعمان ، وفي المؤتمر الصحفي الذي ضم أكثر من مائتي اعلامي من مختلف أنحاء العالم ، كان هناك عديد من الأسئلة حول موقف العرب من مصر وعودتها للعرب ، وفي الاجابة عن هذا السيل من الاسئلة ، تحدث وزير الاعلام العماني قائلا :

« انني قبـل أي شيء أسجل حقيقة ، هي أن حكومة جلالة السلطان قابوس والشعب العماني كله ينظر إلى مصر حكومة وشعبا على أنها الأخ والرائد الكبير لهذه الأمة العربية ، وأن خروج مصر المقنن من الساحة العربية أحدث خللا كبيرا في الحركة التوازنية في الجسد العربي هذه حقيقة تلتزم بها حكومة جلالـة السلطان قابـوس ، وتسعى دائما لكي تحلق مصر في سربهـا ولكي ينعم سربها العربي بتحليقها فيه . . . ان مصر الشقيقة تربطها علاقات وثيقة ومستمرة ومتصلة مع أشقائها العرب على أكثر من صعيد وعلى أكثر من مستوى ، وانه ليس هناك مبرر لأي تدخل أو وساطة من أي نوع ، لأن القنوات سالكة والاتصالات قائمة ».

وفي اطار الاحتفالات العمانية المشار اليها ، فإن فخامة الرئيس محمد حسني مبارك الذي شارك جلالة السلطان قابوس احتفالات بلاده لمدة ثلاثة أيام ، عقد

۲۹ اجتماعا ، ولم يبحث في اياها مسألة عودة العلاقات المصرية العربية ، بل صرح في حديث له مع ولي عهد السعودية ونائب رئيس وزرائها الامير عبدالله بن عبدالعزيز قائلا :

« عودة العلاقات المصرية العربية هذا موضوع لا أقبل الحديث فيه ، لا كرئيس فقط ، ولكن أيضا كمواطن مصري ، فمصر أبدا لا يمكن أن تستجدي عودة علاقاتها ، وعلى الذين قطعوا هذه العلاقات أن يقرروا وحدهم ، أما مصر فانها لم ولن تتقاعس عن دورها تجاه القضية الفلسطينية ولا قضايا أمتها العربية » . [1]

ويؤكد جلالة السلطان قابوس بنفسه على دور مصر وعلى سياستها وعلى أن مصر لا تنسى مصلحة الأمة العربية ، فيقول في حديث لجلالته أدلى به الى جريدة الاهرام القاهرية في ۲۰ يناير ١٩٨٥ ردا على سؤال يؤكد ثبوت صدق رؤية جلالة السلطان قابوس وبعد نظره فيما يتعلق بعدم وجود بدائل ممكنة لاختيار السلام الذي اختارته مصر ويستفسر السائل عن العوامل التي حكمت موقف عمان تجاه مصر وهل مازالت قائمة ، فيقول جلالة السلطان قابوس :

« نعم هذه العوامل مازالت قائمة حتى الآن . . اننا نعتقد أن مصر الشقيقة قد اتخذت المواقف التي اتخذتها عن اقتناع وفهم ودراسة وبلا شك فإن هذه المواقف كانت في صالح الشعب المصري . . وفي صالح الأمة العربية . . ونحن لا نشك في أن

---

(١) مجلة أكتوبر القاهرية ، عدد ٤٧٤ ، ١٩٨٥/١١/٢٤م .

مصر لا تنسى مصلحة الأمة العربية ، ولم تدع مصلحتها تطغى على مصلحة الأمة العربية . وقد ثبت بالدليل أنه يمكن بالمفاوضات وبالطرق السلمية أن تتوصل الأطراف المختلفة الى حلول أفضل من الحلول التي يمكن التوصل اليها بالنار والبارود وهي الحلول التي تزهق الأرواح وتنفق وتضيع الأموال » .

وفي رد على سؤال آخر يقول جلالة السلطان « **وبلا مجاملة فاني أقول اننا لا نستغنى عن مصر وأن مصر لا تستغنى أيضا عن أشقائها** » .[1]

وذلك يواكب ما ذكره الرئيس المصري محمد حسني مبارك في نفس الخصوصية والذي صرح بقوله :

« **ان اختلفنا الآن فاننا أقرب لبعض من حبل الوريد . . . فمصر في النهاية دولة عربية** » .[1]

وللحقيقة لم تكن مصر ساعية وراء عودة العلاقات مع العرب رغم ايمانها بعروبتها وارتباطها بأشقائها الا أن الكرامة المصرية ومعطيات الثقل الحضاري لمصر كانت تمنع استجداء عودة العلاقات كما عبر عن ذلك الرئيس المصري محمد حسني مبارك وكانت عمان تدرك ذلك جيدا ولذا عندما سئل جلالة السلطان قابوس عن التوجهات الايجابية العربية والجهود العمانية الممثلة في لقاءات جلالة السلطان مع عديد من القادة العرب ، كان رد جلالته :[2]

---

(١) المرجع السابق .

(١) حديث الرئيس مبارك لمجلة السياسة الكويتية ، نشر بجريدة الاهرام القاهرية ، ١٩٨٢/٣/١٥ .

(٢) راجع الحديث الذي أدلى به جلالة السلطان قابوس بن سعيد الى رئيس تحرير مجلة المصور ، القاهرة ، ٩ يناير ١٩٨٧ .

« أستطيع أن أقول ان العقدة التي استحكمت طويلا في أمر العلاقات المصرية العربية قد زالت تماما . . والحق ان لدى العرب جميعا شعورا بالرضا تجاه الاختبارات السياسية للرئيس مبارك ، لم أسمع انتقادا واحدا من أي جانب عربي على اختيارات الرجل السياسية خصوصا في المجال العربي . والحق أيضا ان الرئيس مبارك تصرف بعقلانية شديدة ، عندما لم يضع قضية عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية العربية على المحك ، ولم يجعل منها قضية أساسية ، لقد كان لذلك مردوده الهائل لدى الأطراف الأخرى » .

والحقيقة ان معضلة القطيعة العربية المصرية باتت في وقت ما ليست في خيار عودة مصر للعرب أو عودة العرب لمصر ، بل قضية الخيار أن تكون مصر أو لا تكون .[1]

وترجمة لهذا الفكر فإن مصر لم تتخل عن واجباتها تجاه العرب رغم تمسكها بالتزاماتها التعاقدية ، وقد أعلنت مصر أكثر من مرة أنها تتعامل مع العرب من منطلق الالتزام القومي ومن خلال مفهوم حتمية المصير والقدر ، وأن أية تقاطعات أو تعارضات بين رؤية مصر وبين رؤية العرب هي تقاطعات تكتيكية مؤقتة وليست استراتيجية .[2]

وان كانت مصر قد أعلنت أنها لن تستجدي عودة العلاقات ايمانا منها

---

(١) د. بطرس بطرس غالي ، « الدبلوماسية المصرية في عهد مبارك ٨١-٨٤ » مجلة السياسة الدولية (عدد ٧٨ ، أكتوبر ١٩٨٤) ، ص ٥ .

(٢) . . . . « الدبلوماسية المصرية بين عام نطويه وعام نستشرفه » مجلة السياسة الدولية (عدد ٧٩ ، يناير ١٩٨٥ ، ص ٥ .)

بدورها الحضاري وثقلها العربي وتوجهاتها العربية الصادقة واستراتيجيتها الثابتة الا أنها في نفس الوقت لم تغلق الباب أمام العرب وأمام عودة العلاقات ، وفي ذلك يقول الرئيس مبارك :

« لقد جمدوا العلاقات معنا . . . اننا لم نبدأ . . . وهم الذين بدأوا . . . لذا يجب أن تأتي المبادرة من جانبهم » .[1]

ولقد نشطت الاتصالات المصرية العمانية طوال فترة القطيعة العربية ذلك أن مصر لم تتخل عن توجهاتها العربية ولم تتقاعس عمان عن دورها العربي في عديد من القضايا المطروحة على الساحة العربية ، ففي **١٩٨٦/٣/٢٤** تبادل الرئيس مبارك وجلالة السلطان قابوس الرسائل أثناء زيارة وزير خارجية عمان للقاهرة ، وتعلقت الرسائل بالأوضاع المتفجرة في الخليج ، كما تمت مباحثات بين الرئيس مبارك وجلالة السلطان قابوس في القاهرة في ٧ يوليو **١٩٨٦** كاستمرار للمشاورات المتبادلة بين البلدين حول القضايا العربية والدولية المشتركة[2]وهكذا كانت الكثافة الايجابية هي سمة العلاقات المصرية العمانية ، انطلاقا من وجود علاقات دبلوماسية بين الدولتين ، ومن ثم كان هناك تنسيق سياسي واقتصادي وتعاون في شتى المجالات ، فزار الرئيس مبارك مسقط في **١٩٨٧/٩/١١** كما تم توقيع اتفاقية للتعاون في مجال الخدمات الجوية بين البلدين في **١٩٨٧/٢/٢٨** .[3]

ولم يتوقف التحرك الدبلوماسي والاتصالات المكثفة بين مسقط والقاهرة فالزيارات وتبادل الرسائل مستمرة بين الطرفين في اطار الاهتمام بالقضايا العربية ،

---

(١) حديث الرئيس مبارك الى مجلة نيوزويك الامريكية ، ١٩٨١/١٠/١١ .

(٢) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٨٦ ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٤٥٨ .

(٣) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٨٧ ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٣٩٢ .

فقد صرح الرئيس مبارك بعد عودته للقاهرة في ٣١ يناير ١٩٨٧ من زيارته التي قام بها لمسقط وأبوظبي أن مصر لن تتخلى عن الدول العربية في الخليج وهي تواجه المخاطر من استمرار الحرب العراقية الايرانية وكذلك الاتفاق على السعي لخلق موقف عربي منسق للتوصل الى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية .[١]

ويؤكـد الرئيس مبارك على نفس المعنى وانه لابد أن يكون للعرب كلمة واحدة حتى يصبحوا قوة لها تأثيرها في العالم ، وذلك أثناء زيارته لقطر والتي توجه منها للبحرين ثم الى سلطنة عمان حيث اجتمع في قصر « العلم » بمسقط بجلالة السلطان قابوس وجرت المحادثات الرسمية بينهما واقتصرت الجلسة عليهما .[٢]

وعلى الجانب الآخر كانت مصر تحتفل دوما بمهرجاناتها العربية بزيارات القادة والزعماء العرب اليها في اطار تنسيق السياسات وتبادل الرأي في محاولة لحل المشكـلات العـربية القائمة ، فخلال شهر مايو عام ١٩٨٩ ، استقبل الرئيس مبارك بمصر الشيخ عيسى بن سلمان أمير البحرين ، كما استقبل الشيخ خليفة بن زايد وبحث معـه العلاقات المشتركة بين مصر والامارات واختتمت المهرجانات العربية في مصر بزيارة جلالة السلطان قابوس[٣]ولم تكن الزيارات المتبادلة بين زعيمي مصر وعمان محل اهتمام البلدين فحسب ، بل كانت محل الدوائر العربية قاطبة .

ولا نقول ان عمان كانت حلقة وصل ، فالوصال قائم ولكن كانت حلقة تفصيد وتنسيق في اطار تقوية وتدعيم العمل العربي المشترك ، ولقد علقت احدى

---

(١) جريدة الاهرام القاهرية ، ١٩٨٧/٢/١ .
(٢) جريدة الاهرام القاهرية ، ١٩٨٨/١/١٤ .
(٣) مجلة أكتوبر القاهرية ، العدد ٦٥٦ ، ١٩٨٩/٢/٢١ .

المجلات الكويتية[1] على زيارة جلالة السلطان قابوس لمصر خلال شهر مايو ١٩٨٩ بقولها : (ان الزيارة تعبير وتأكيد للعلاقات النموذجية في تاريخ الشعبين المصري والعماني وانها تكتسب أهمية خاصة لاسيما انها تأتي قبل انعقاد القمة العربية الطارئة في الدار البيضاء بالمغرب) ، وأعربت المجلة عن تأييد سلطنة عمان لعودة مصر الى جامعة الدول العربية حتى تتبوأ المكانة اللائقة بها ولتكون سندا قويا لامتها .

ولقد التقى جلالة السلطان قابوس برؤساء تحرير الصحف المصرية بعد جلسة المباحثات الرسمية مع الرئيس مبارك وقبل مغادرته القاهرة الى الدار البيضاء لحضور القمة العربية الطارئة حيث أعرب جلالته عن سعادته لأن مصر تستعيد دورها الهام على الساحة العربية ، وأكد أن القمة الطارئة انطلاقة جديدة للأمة العربية في توجهاتها نحو تضامنها وتحقيق المزيد من الاخاء . وقد وجه جلالة السلطان قابوس الشكر للرئيس حسني مبارك والشعب المصري على الحفاوة البالغة التي قوبل بها وقال جلالته :[2]

« انني أشعر بسعادة خاصة هذه المرة لأنني أزور مصر وهي على أعتاب استعادة دورها مرة أخرى كاملا على الساحة العربية التي غابت عنها مصر للأسف فترة لظروف مرت بالأمة العربية » .

وقـــال :

---

(١) نشرت هذا التعليق مجلة المجالس الكويتية .

(٢) الاهرام الاقتصادي ، العدد ١٠٦٣ ، ١٩٨٩/٥/٢٩ ص ١٠-١١ .

« اننا نحمد الله أن الأمة العربية قد عادت إلى صوابها وأتمنى أن تكون القمة الطارئة هي قمة انطلاقة جديدة بالنسبة للأمة العربية في توجهاتها نحو تضامنها وتحقيق المزيد من الاخاء والرؤية المشتركة العقلانية الواقعية بعيدا عن العواطف والغموض والتشتت في الأفكار وسوف نلتقي بالأخ الرئيس حسني مبارك مرة أخرى في المملكة المغربية وسوف نرحب به مع باقي الأخوة العرب الآخرين » .[1]

واختتم جلالة السلطان قابوس تصريحاته مؤكدا رغبة الجميع في أن يعيشوا في سلام في هذه المنطقة من العالم .

وللحقيقة فإن احتفاء مصر بالسلطان قابوس ليست مسألة عابرة وان شكر السلطان للرئيس مبارك والشعب المصري على حفاوتهما البالغة به ، فإن المشاعر المصرية حكومة وشعبا لتؤكد أن مواقف الرجال مع مصر ومع الأمة العربية تستأهل ليست الحفاوة فحسب بل التمجيد والفخار فرغم المشاغل الداخلية في كل من البلدين المتعلقة بالبقاء والتنمية وهما بعدان هامان للغاية الا أن انشغالهما لم يمنعهما من تكريس الجهد لامتهما العربية ولعل اهتماماتهما أثناء زيارة جلالة السلطان قابوس تعكس هذه المعاني .

فقد صرح معالي عبدالعزيز الرواس بن محمد وزير الاعلام العماني[2] بأن من بين القضايا التي بحثها الرئيس مبارك والسلطان قابوس دعم التضامن العربي ، والقضية الفلسطينية التي تعتبر لب النزاع في الشرق الأوسط ، ووسائل دعم

---

(١) جريدة الاهرام القاهرية ، ١٩٨٩/٥/٢٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

الجهود المبذولة لعقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط بحضور كافة الأطراف المعنية (جاء ذلك في مايو ١٩٨٩) ، كما تدارس الزعيمان المحنة اللبنانية من كافة جوانبها ، وفي نفس المعنى صرح السيد صفوت الشريف وزير الاعلام المصري بأن مباحثات الرئيس والسلطان تناولت اجتماع القمة العربية الطارىء (في الدار البيضاء) وتنسيق المواقف تجاه كل القضايا العربية مع بحث سبل اقرار السلام العادل والدائم في منطقة الخليج ، كما بحثا مستقبل العلاقات المصرية العمانية ووسائل تدعيم وتوفيق آفاق التعاون بينهما في مختلف المجالات .

وفي نفس الوقت عقد الوفدان المصري والعماني على المستوى الوزاري اجتماعات لبحث سبل تعزيز التعاون الفني والثقافي والاعلامي بين البلدين .

وفي الواقع لم تنته بعد الاتصالات المصرية العمانية الوثيقة والروابط الصلبة المتماسكة ، وإن كانت فترة الدراسة حددت ببعد زمني وهو (٧٩-١٩٨٩) فمع اقتراب نهاية هذه الفترة لعودة مصر للعرب وعودة العرب لمصر ، وصل جلالة السلطان قابوس الى مصر في الخامس من أغسطس عام ١٩٨٩ واستغرقت زيارته لمصر ثلاثة أيام أجرى مباحثات مع الرئيس حسني مبارك تناولت آخر تطورات الوضع في الشرق الأوسط وما وصلت اليه القضية الفلسطينية ، والموقف في لبنان ، ومدى التعاون العربي في كل المجالات من أجل ابراز الشخصية العربية ، والتعاون والتنسيق بين التجمعات العربية الثلاثة بالاضافة الى القضايا الافريقية ونتائج اجتماع القمة الافريقية في أديس أبابا والتي عرضها الرئيس المصري حسني مبارك على جلالة السلطان قابوس ، ومدى الدور المصري الريادي في افريقيا والجهود المصرية المبذولة للوصول إلى حلول منطقية وعملية للمشكلات الافريقية وبحث الرئيس وجلالة السلطان على وجه الخصوص العلاقات الثنائية المتطورة

والمـزدهـرة بين مصر وعمان في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وسبيل تطوير هذا التعاون لصالح الشعبين والأمة العربية .

وقد وصف جلالة السلطان قابوس أن المباحثات كانت طيبة ومثمرة للغاية وشملت العلاقات الثنائية وأكدت التفاهم الكامل بين البلدين .(١)

وقد تناولت هذه المباحثات عديدا من الجوانب خاصة فيما يتعلق بتدعيم وتطوير مجالات التعاون بين البلدين ، فإن التعاون والتنسيق لم يشمل النواحي السياسية كما قد تبادر للذهن للوهلة الأولى ، وانما هو تعاون امتد لكل المجالات فقد شهدت العاصمة العمانية مسقط تعاونا كبيرا بين المرأة المصرية والمرأة العمانية وذلك من منطلقين .

الأول : هو تأكيد العلاقات الطيبة بصفة عامة بين البلدين وزعيميهما .

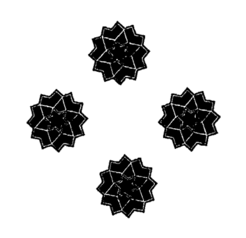
والثـاني : نتيجـة للاتصالات الشخصية العميقة بين المصريات المقيمات بعمان والعمانيات من ناحية أخرى ، وكانت آخر مظاهر هذا التعاون قيام سيدات السفـارة المصرية باقـامة أمسية مصرية في مقر جمعية المرأة العمانية مع تخصيص الأمسية لصالح مشروعات الجمعية في رعاية الأطفال المعوقين .(١)

ولم يكن خط التعاون التعليمي والثقافي أقل من التعاون الاجتماعي فالجالية المصرية بسلطنة عمان لها من الحجم ما يفوق حجم أية جالية عربية أخرى حيث يربـو عدد المعلمـين على سبعـة آلاف معلم ومعلمـة ، وللحقيقة فإن توفير كل احتياجات السلطنة من المعلمين هدف أساسي لوزارة التربية والتعليم .(٢)

---

(١) جريدة الاهرام القاهرية ، ١٩٨٩/٨/٨ .
(٢) جريدة الاهرام القاهرية ، ١٩٨٩/٢/٢٣ .
(٣) « مع المسؤول عن سبعة آلاف معلم مصري » ، مجلة العقيدة ، العدد ٦٠١ ، ٣٠ يناير ١٩٨٦ ، عمان ، ص ٢١-٢٥ .

ومـازالت وستـظل ان شاء الله وسـائـل الاتصال ووسائل تدعيم وتوثيق العلاقات المصرية العمانية قائمة وعاملة بكفاءة واقتدار ولعل زيارة الرئيس مبارك لمسقط في ١٠ مايو **١٩٩٠** تؤكد الحرص الدائم على توسيع دائرة تعاون مصر مع عمان .[٣]



(١) جريدة الاهرام القاهرية ، ١٩٩٠/٥/١١ .

نظرة مستقبلية للعلاقات المصرية ـ العمانية

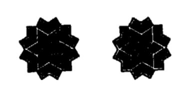
ان الحديث عن المستقبل مسألة تحيط بها المحاذير والمخاطر الا أن الدراسات المستقبلية باتت من الأمور شبه المستقرة أكاديميا وفي مجال التطبيق . وان كان ذلك لا يقلل من أن الحديث عن استشرافات المستقبل ليس بالأمر السهل الهين ، بل انه في الحقيقة محفوف بالكثير من الضوابط حتى لا يحدث خلط بين الرغبات والأماني والواقع المتاح أوبين القائم والمنشود ومن ثم فانه لا بد من التعرف على محددات الواقع ومرتكزاته .

وواضح منذ بداية الدراسة حتى هذه السطور أن هناك مرتكزات ودعامات قوية تاريخية وجغرافية وقومية وحضارية تعد متكآت أساسية ودعامات قوية ترتكز عليها محاور التعاون والتنسيق بل لا أكون مغاليا بالقول بالتكامل بين عمان ومصر .

فعلاقة مصر وعمان علاقة قدر ومصير وايمان مصر بأصالة عامة ويمواقفها الشجاعة وبايمانها بعروبتها وبصراحة دبلوماسيتها وبأعمالها للمنطق والحق وبتجاوزاتها عن الأمور الشكلية الزائفة وعلى الجانب الآخر ايمان عمان بأن مصر جزء من العالم العربي بل قلبه ليس من منطلق التعالي الزائف أو النزعة الاقليمية القطرية الضيقة ولكن يمنطق الشقيق الأكبر ومسئولياته التاريخية الواجبة . هذا الايمان المصري والعماني وهذه العلاقات القدرية يمكن أن تفرز تعاونا جادا وتطويرا في العلاقات مع وضع ضوابط نجاح اذا جاز هذا التعبير من أبرزها المصارحة والمكاشفة والتنسيق والتخطيط على أسس علمية والاستفادة من التجارب السابقة والمتغيرات الدولية المتلاحقة ووضعها في الاعتبار ووضع هامش لتحريات المستقبل بمتغيراته بصياغة تحكمها ضوابط العقل والمنطق أكثر من دوافع الحماس الممتزج بالعاطفة .

والمستقبل على ضوء ضوابط المنطق والعقلانية يشير إلى وجود المناخ المناسب والمرتكزات الأساسية لخلق تعاون شامل في مجالات عدة ، ووضع تصور أمني كامل في كل مجالات الأمن سواء العسكري أو الاجتماعي أو الثقافي والعلمي والتكنولوجي .

ولا يخالج الباحث شك في أن استمرارية التطوير في مسيرة وديناميكية العلاقات المصرية العمانية بهذا المستوى الجيد الذي تسير عليه يؤكد أن النتائج ستكون طيبة لصالح الشعبين في اطار الروابط الأخوية والانسانية والعربية . وان كان الباحث قد استهل حديثه في هذا الجزء باستشراف المستقبل للعلاقات المصرية العمانية فإنه يحدوه الأمل لأن يعدل تعبيره ليكون استشراق المستقبل وهو استشراق مضيء بالقطع .



التعقيــب علــى البحــث

بقلم : أحمد بن سليمان الكندي

مدير عام المديرية العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الداخلية

الحمد لله رب االعالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد .

أود بادىء ذي بدء أن أسجل شكري وتقديري البالغين لمن شرفني بالدعوة للمثول أمامكم والمشاركة في هذا اللقاء العلمي الرفيع ، وانني ومن هذا المرفق اسجل بكل امتنان باسمي وباسم المهتمين بالثقافة في هذا البلد الأصيل كل تقدير وعرفان لوزارة التراث القومي والثقافة على دورها البارز في تحريك وتنشيط الثقافة في عمان بمختلف الوسائل ، وأخص بالشكر صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد . وزير التراث القومي والثقافة ولا اجدني في حاجة الى ذكر ما تقوم به هذه الوزارة الموقرة من انشطة في هذا المجال فهي غنية عن الذكر ، وقد توجت هذه الجهود بانشاء المنتدى الأدبي الذي بدأ نشاطه منذ عامين بكل حيوية وفاعلية .

وان هذه الندوة هي احدى مناشطه الثقافية . ولقد سررت كثيرا اذ دعيت لها لما لمصر الشقيقة في نفسي من تقدير وما تربطني بها من أواصر ، ولما لي فيها من ذكريات .

ان قواسم مشتركة عديدة تربط بين البلدين الشقيقين وكان بودي ان تتعرض الندوة لكل هذه الوشائج والقواسم . حيث لاحظت أن الأبحاث المطروحة لم تتعرض لها كلها نظرا الى العناوين الواردة في البرنامج .

وارجو أن يكون الاخوة الباحثون قد تعرضوا لكثي منها في ثنايا بحوثهم أو

يتعرضون لها في المناقشة والمداخلات .

ويؤسفني انني لم اطلع على البحوث كلها الا هذا البحث الذي كلفت بالتعقيب عليه ، وكان بودي أن توزع البحوث على المشاركين قبل وقت كاف ليتمكن هؤلاء الاخوة المهتمون من قراءتها ومناقشتها .

وفي اطار العلاقات العمانية المصرية أود أن اشير الى أن الله سبحانه قد شاء أن يلتقي البلدان في أشياء قد تكون من باب الصدفة المحضة فالى جانب ما ذكر في البحث الذي عرض الآن من أن يوم ٢٣ يوليو كان قاسما مشتركا بين البلدين في التاريخ الحديث فانني أعيد الى الاذهان : ان القائد الاسلامي عمرو بن العاص فاتح مصر هو الذي يعتبر فاتح عمان لرسول الله ﷺ ، مع الفارق بين الفتحين فهنا كان سلميا وهناك عسكريا .

والآن مع البحث الذي كلفت بالتعقيب عليه . . وهو الذي اعده والقاه الاستاذ الدكتور عبدالرحمن اسماعيل الصالحي عن خصوصية العلاقات المصرية العمانية في الفترة ما بين ٧٩-٨٩ ، وانني اشكر الاستاذ الكريم على بحثه القيم وقبل أن أصل الى البحث أود أن أشير الى الخصوصية في هذه الفترة موضوع البحث حيث تأتي هذه الخصوصية عندما بقيت عمان الدولة العربية الوحيدة من بين الدول العربية تحتفظ بالعلاقات الرسمية بين الحكومتين واشدد على التعبير بالرسمية لأنني أود أن اثبت بأن العلاقة بين الشعب العربي المسلم في قطرين مختلفين لا تقاس بالتمثيل الدبلوماسي بل ان ذلك التمثيل وسيلة من وسائل تعميق تلك العلاقة .

وهذه الفترة التي اختارها الباحث تتسم بأهمية لأبناء كلا البلدين فهي بالنسبة لمصر عامل تدليل على واقعية السياسة العمانية وعلى أصالة العمانيين ، وهي

للعمانيين عامل اعتزاز بأنهم يجسدون مبدأ هاما من المبادىء التي يؤمنون بها .

أما بالنسبة للبحث فانني قد اطلعت عليه ، ويشرفني أن أكون المعقب عليه فهو بحث اتصف بالمنهجية العلمية الى حد كبير حيث بدأ بالمقدمة ثم قسم البحث الى فصول ، وفي المقدمة بين عمق العلاقة بين عمان ومصر ، وحدد فيها ملامح البحث أو عناصره .

حيث أشار في المقدمة ص (٢) بأنه سيلقي الضوء في بحثه على عروبة مصر وعمان وتوجهاتها العربية ، وديناميكية العلاقات بينهما خلال فترة الدراسة والنظرة المستقبلية لهذه العلاقة ، وضوابط تنميتها الى الأفضل دائما .

وهذه الملامح هي التي حولها الى فصول فيما بعد .

واستشهد الباحث في ثنايا بحثه بكثير من الأقوال والتصريحات لكبار المسؤولين في البلدين وعلى رأسهم حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم وفخامة الرئيس حسني مبارك باعتبار ان هذه الأقوال هي المنهج الذي سارت عليه العلاقة بين البلدين ، وقد أجاد الباحث في معالجته لهذا الموضوع وأعذره على انه نهج في معالجته الى الأسلوب الانشائي لعله لطبيعة الموضوع أو لقلة المصادر والمعلومات حوله ، وهو الأمر الذي اضطره الى الاسهاب كثيرا في القضايا التاريخية لكلا البلدين ، وكان هذا الاسهاب على حساب الموضوع الأصلي الذي خصص له البحث ، حيث لم ينل الموضوع الا نصيبا ضئيلا من العناية في عدة أسطر .

وكان حريًا بالاستاذ الدكتور الباحث أن يحلل تحليلا علميا ومنطقيا للعوامل التي جعلت عمان تنفرد عن غيرها من الدول في محافظتها على العلاقة مع مصر خلال تلك الفترة موضوع البحث ، على انه كان بامكانه أن يستضيء كثيرا بتلك

الكلمات المضيئة التي أوردها الباحث في الصفحة ٢٠ من البحث . وهي لصاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله ، وفي اعتقادي انه لو اقتصر على تحليل الكلمات لاغنته ، حيث كان بامكانه استخلاص العديد من العوامل التي دفعت عمان الى الابقـاء على علاقتها مع مصر . فالمتأمل في تلك الكلمات يجدها مليئة بالأفكار الدسمة .

هذا وبعد استعراضي السريع لهذا البحث . . أود أن يسمح لي الاستاذ الدكتور الباحث أن أقف معه بعض الوقفات الاخرى ، منها ان الباحث الكريم عنـدمـا تحدث عن الثقل الحضاري لمصر العربية أخذ يدافع دفاعا شديدا عن عروبة مصر ، فقد أشار الى وجود حواجز زمنية عاقت مصر عن ممارسة دور عربي فعـال معقبا على ذلك : « ان ذلك لا يعطي انطباعا عن بعد مصر عن المسألة العربية . . . » وواصل بعد ذلك دفاعه عن عروبة مصر ورغم انه لم يحدد نوع الحـواجز التي يعنيها فانه استطرد في الدفاع ، وهو بذلك ينفي شيئا غير موجود أساسا وكأنه بنفيه هذا يريد أن يثبته .

والحقيقـة ان مصر في قلب « المسألة » العربية ، وان كنت في حاجة الى توضيح ـ من قبـل البـاحث ـ عما يقصـده بالمسألة العربية . . هل يعني المسألة الفلسطينية والموقف من العدو المشترك ؟ أم انه يقصد بها الوحدة العربية ، وفي كلتا الحالتين فإن مصر هي في قلب الاحداث فبالنسبة للأولى كانت مصر ولا تزال على رأس الدول العربية المتصدية لهذه القضية ، وقد قدمت في سبيل ذلك من التضحيات ما لم يقدمه غيرها .

ولا يخفى انها تعتبر أهـم دولة من دول المواجهة ، وقد خاضت حروبا عديدة مع الكيان الاسرائيلي لصالح القضية ، وان كانت الثانية فان مصر هي الأم الرؤوم

التي جمعت العرب منذ أول وهلة حيث احتضنت الجامعة العربية ، وذلك بغض النظر عن الأسباب التي أدت الى قيام الجامعة ، الا ان قيامها ـ أي الجامعة ـ كان خطوة ايجابية في طريق الوحدة العربية التي يمكن ـ لو أحسن استغلالها ـ أن تكون خطوة في طريق الوحدة الشاملة الحقيقية . ولا أحد ينكر ما لمصر من دور في هذا المضمار ، ونحن على ثقة بأن مصر هي قلب الوطن العربي ، ولذلك استهدفت من قبل القوى المعادية للأمة العربية والاسلامية ، وعندما يصاب القلب لا شك ان الجسم يصاب كله ، فقد استهدفت مصر سياسيا وعسكريا وفكريا وثقافيا ، وكل ما يقع في مصر ينعكس على الأمة العربية سلبا كان أو ايجابا .

ومن هذه الوقفات التي أقفها مع الاستاذ الدكتور هي انني اختلف معه في تعبيره بقوله : ان الارتباط والاهتمام والاتصال لمصر بالمنطقة العربية ارتباط قديم (ص ٣٠) فهو بهذا كأنه يتحدث عن دولة غير عربية وكان لها ارتباط بالمنطقة العربية وليكن هذا الارتباط اقتصاديا أو سياسيا أو غير ذلك ، فيكف نسمي ذلك التواصل الكامل ارتباطا قديما ، أليس ارتباطا مصيريا أم انه يريد أن يجعل ما بين مصر والمنطقة العربية مجرد ارتباط قديم أو علاقة . في نظري ان مصر والعرب شيء واحد . ولا نستطيع فصل الجزء عن الكل .

وان الذي أخشاه من مثل هذه التعبيرات هو اثارة تلك . . . التي تهدف الى اخراج مصر عن جسمها باعتبار ما كانت عليه قبل الاسلام فمصر المسلمة العربية . وقد تكرر هذا التعبير في أكثر من صفحة ومن هذه الوقفات : ما أشار اليه الباحث الكريم من دور لمصر في كونها أول الدول العربية التي واكبت النهضة الأوروبية وعملت على نقل المعارف الى الوطن العربي . بعيدا عن استغلال ذلك بتيارات تبشيرية .

وفي الحقيقة ان هذا لا يدعو الى الفخر على الاطلاق فإن مواكبة النهضة الأوروبية لم تكن الا شكلية أولا وهـذا هو الواضح منها نحن لا زلنا في مؤخرة الركب علميا ، ولم نواكب اولئك الا في الانحلال الفكري والاخلاقي لا غير ، على انه إذا لم يكن هناك استغلال تبشيري من خلال نقل المعارف الأوروبية الى الوطن العربي عن طريق مصر على حد تعبير الباحث فإن الحملات التبشيرية قد عرفت أساسا كيف تستغل ذلك النقل لصالحها ، وقد صرح قادة تلك الحملات وفي القاهرة بالذات انه يكفي أن يخرج المسلم عن اسلامه ، وعندئذ ليكن نصرانيا أو يهوديا أو شيوعيا أو لا شيء ، وهذا ما حصل .

ومن الوقفات أيضا ان الباحث الكريم أشار في ص ١٥ في معرض حديثه عن تجميد العلاقات العربية المصرية عام ٧٩ إلى مؤتمر بغداد لوزراء الخارجية والاقتصاد ، وأقول هذه الملاحظة وأطلب من الأخوة المهتمين بالسياسة والاعلام ان يصححوا لي فهمي ان كنت قد أخطأت حيث اعتقد بأن المؤتمر الذي قرر المقاطعة هو مؤتمر قمة وليس مؤتمر وزراء خارجية ، وأخيرا هناك بعض الملاحظات الشكلية :

١ - في ص ٤ خطأ نحوي : ان الارتباط المصري العربي ارتباط وثيق وليس (ارتباطا وثيقا) .

٢ - في نفس الصفحة في السطر الأخير « كانت بمثابة معونا والصحيح بمثابة (معين) .

٣ - في ص ٩ تحدث عن الموقع الجغرافي لعمان وقال « ان هذا الموقع يضع البلاد كحارس على (باب المندب) فلعله يقصد مضيق هرمز .

٤ - في ص ١١ قال وقد جاء مجيء السلطان قابوس في ٢٤ يوليو والصحيح ٢٣ يوليو ١٩٧٠م .

٥ - وفي ص ١٢ قال بمناسبة احتفال السلطنة بالعيد الوطني العشرين في ١٨/١/٩٠ والحقيقة ١٨/١١/٩٠ ولعله خطأ مطبعي .

٦ - وفي ص ١٤ قال عندما رفضت عمان تجميد أو قطع علاقاتها في عام ٧١ والصحيح ٧٩ ولعله أيضا خطأ مطبعي .

هذا واكرر اعتذاري للباحث الكريم وللأخوة المشاركين وشكري لمنظمي الندوة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



المناقشات والمداخلات

أولا : تعليق الاستاذ الدكتور عبدالرحمن اسماعيل الصالحي

على ما جاء في تعقيب الباحث أحمد بن سليمان الكندي مدير عام المديرية العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الداخلية .

توجه الاستاذ الدكتور عبدالرحمن اسماعيل الصالحي بالشكر لما بذله الباحث أحمد بن سليمان الكندي في تعقيبه على ورقة بحثه وقال معلقا على هذا التعقيب :

التعقيب اثرى البحث ، وجاء ليدلل على قراءة جادة له ، تناولته تناولا متكاملا ، بحيث لم يترك المعقب الفاضل شاردة ولا واردة الا أتى عليها ، ولا أخفي انه اتيحت لي فرصة الاطلاع على التعيب قبل أن القي ملخص بحثي ، وليس في ذلك غضاضة على الاطلاق ، وهذا نظام الندوة ، ولا يحجب لكم فكرا أن تدلوا به ، ولا يحجب ـ لا أقول ـ دفاعا ولكن توضيح أمور قد تكون مرت ، .فالتعقيب ـ ولا أقولها من منطلق التعصب للرأي ـ اتسم بالسرد في أمور قد جعلته يكاد يخرج عن حيز ومحدودية البحث ، وهذا ـ أكرر ـ من منطلق اعتقادي ان الخلاف في وجهة النظر لا يفسد للود قضية . فلأسمح لنفسي أن أتوقف قليلا عند بعض النقاط التي أثارها الفاضل الباحث الشيخ أحمد بن سليمان الكندي في التعقيب حيث أشار الى أن الباحث (أسهب كثيرا في القضايا التاريخية) وحقيقة لم أفهم المقصود من قول المعقب الفاضل (القضايا التاريخية) .

البحث الذي شاركت فيه عبارة عن (٣٠) صفحة فيه (١٨) صفحة جاءت لتتحدث عن السياسة العمانية والمصرية وارتباطها بمحددات معينة ، وبعوامل مشتركة ، وبديناميكية هذه السياسة ، واعتقد أن هذا في صلب الموضوع ، فلم نكن مقلين ولا مغالين .

وجاء في التعقيب (كان هناك اسهاب وكان التحليل طفيفا) وفي موقع آخر يقول : (ان الباحث حلل تحليلا علميا ومنطقيا) ، وأنا أكتفي بهذه الجزئية على أن التحليل كان علميا .

- مسألة انني أتحدث عن عروبة مصر فان قراءتي للتعقيب - ولا اخفي عليكم - أفادتني كثيرا لأنها أغنت عن الدخول في الحديث عن عروبة مصر باعتبارها من الثوابت التي لا تحتاج الى برهان ولا تفصيل ولا لتأكيد ، ولكن عملا بقوله تعالى : **﴿وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾** .

- احترام مصر لمسألة عربية ويسأل المعقب الفاضل عن المسألة ، هل هي الوحدة العربية أو القضية الفلسطينية ، كما شدد على قضية نقل المعارف وضرورتها ، واختتم فأشار إلى بعض الأخطاء التي وردت نتيجة للكتابة أو الطباعة ومن الأخطاء منوها بأن مساحة سلطنة عمان (٣٠٠) ألف كم وهي أكبر دولة ، واتراجع عما ورد في البحث لأصحح « بأنها من أكبر دول الخليج مساحة » وليست (أكبر دول الخليج مساحة) .

مداخلة هلال بن محمد العامري :

كانت مداخلة هلال بن محمد العامري مشرف عام المركز الثقافي التابع لوزارة التراث القومي والثقافة بصلالة/مشرف المنتدى الأدبي/مشرف المعارض الثقافية توضيحا لمفهوم (التعقيب) وأنه سلم للباحثين ليستضيئوا به وان كان مسار البحث مغايرا ، فالتعقيب - في وجهة نظر العامري - باختلافه واتفاقه هو اضاءة جديدة للبحث ، ورفد مسار النقاش ، ان كان هذا النقاش ايجابيا ، مؤكدا « ان اختلاف وجهات النظر ظاهرة صحية للخروج بقناعة تجمعنا بعد هذه

الندوة ، لان العبرة من الندوة هي في النتيجة » ، وان ما أردناه هو أن نطلق العنان لصيغة ديمقراطية تتيح للكل ان يعبر عن رأيه ، وليس هناك مصادرة لأي رأي أو أي فكر يقال ، وأرجو الا تؤخذ الأمور بشيء من الحساسية حيثما يدافع الباحث عن ورقة بحثه ، والمعقب عن قناعات معينة كان قد كتبها للرد على البحث ، ولا تؤخذ على الباحث على الاطلاق ، وانما هي وجهة نظر ستصب في النهاية الى وجهات نظر مختلفة نخرج منها بقناعات تؤدي بنا الى نتيجة نهائية .

مداخلة سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس

في مداخلته أثار الباحث سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس الى نقاط يمكن ايجازها بما يلي :

الأولى : يطالب فيها بتغيير العنوان ليصبح (خصوصية العلاقات السياسية المصرية العمانية) بدلا من (خصوصية العلاقات المصرية العمانية) .

الثانية : وفيها يتوقف الهاشمي عندما أورده الاستاذ الدكتور الباحث في ورقة بحثه ص ١١ بأن (الامام أحمد بن سعيد) « تولى الحكم عام ١٧٤٩ م ، والذي يعتبر مؤسس أسرة آل بوسعيد التي تأسست سنة ١٧٤١ م » معقبا : « وهذا يوحي بأن هنالك أساسية أخرى » ، مضيفا « وعلى العموم فقد أثار هذه النقطة الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ /عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق في (ص٤) من بحثه ، وانني كنت قد اشتغلت على هذه الفترة في دراستي ، ولا يسعني الا أن أؤكد بطلان رأي القائلين : بأن « أحمد بن سعيد أسس الدولة عام ١٧٤١ بل ان هذا خطأ ، نقله المؤرخون من كتاب بادجر الذي ترجم كتاب (الفتح المبين) ونقله المؤرخون العرب بكامله .

أما الكتب والمصادر العمانية فإنها تشير إلى أن سنة ١١٥٦ هـ الموافق سنة ١٧٤١ م كان تاريخ خروج الفرس من عمان ، ووفاة الامام سلطان بن مرشد وأن سنة ١٧٤٤ هو التاريخ الذي حكم فيه أحمد بن سعيد ساحل الباطنة دون داخلية عمان حيث بويع الامام بلعرب بن حمير اليعربي في نزوى سنة ١١٥٧ هـ سنة ١٧٤٧ م ، ولكن لم تطل امامته حتى بويع الامام أحمد بن سعيد في التاريخ المذكور » .

أحمد بن حمد الناصري

يتساءل حول مستقبل العلاقات العربية .

الاستاذ الدكتور عبدالرحمن اسماعيل الصالحي

في اجابته على تداخلات المناقشين يتفق مع هلال بن محمد العامري في وجهة نظره حول مفهوم (التعقيب) وانه وجهة نظر وليس تقييما .

وينتقل لسؤال أحمد بن حمد الناصري حول مستقبل العلاقات العربية فيقول : « ان العرب يملكون القدرة المالية والبشرية ومخزونا هائلا من الثروات المعدنية ، ولكن أين هو الحد الأدنى من الاجماع العربي ؟ » .

مضيفا : « هذه هي القضية ، مرتكزات السياسة الامنية ، والأمن القومي العربي لابد أن تنبع من ذات العرب أنفسهم طبقا لمتطلبات المرحلة القادمة ، ولابد من تصفية الجو العربي أولا » .

أما سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس فلقد أفادني كثيرا من المعلومات التي أوردها في مداخلته .

الحفل الختامي للندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمــة معـالـي

السيد سلطان بن حمد السمار

محافظ مسقط وراعي الحفل

الحمـد لله الـذي هدانـا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على رسول الله الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه وسلم .

أيها الحفل الكريم . .

في نهاية هذه الندوة المباركة التي ان دلت نتائج أبحاثها فانما تدل على عمق العلاقات الوشيجه بين البلدين الشقيقين الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ على مختلف مراحله والتي أثبتت فيما لا يدع مجالا لأي شك في تلاحم وتعاون الشعبين العظيمين في سلطنة عمان وجمهورية مصر العربية في جميع المجالات التي تزداد نموا وازدهارا يوما بعد يوم في ظل القيادتين الرائدتين لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله وأخيه فخامة الرئيس محمد حسني مبارك .

ولا يسعني في هذه المنـاسبة الكريمة الا أن اقدم جزيل الشكر لصاحب لسمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة وجميع المشرفين على اعداد هذه الندوة والتحضير لها ، مما أدى إلى نجاحها الباهر وتحقيق الأغراض المرجوة من اقامتها الا وهي التعريف بمدى متانة وقوة العلاقات العمانية المصرية التي اثبتت انها ليست وليدة يوم وليلة بل انها علاقات ازلية بين شعبين عربيين لهما جذور حضارية وأصالة عربية امتدت توجهاتها عبر آسيا وافريقيا والعالم

كله في تنسيق وتماثل وتمازج يدعو للارتياح والاعجاب .

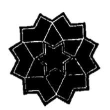
كما لا يسعني الا أن أقـدم شكري الجزيل لجميع الأساتذة المشاركين في الندوة على ما قدموه من بحوث قيمة ستكون مرجعا لكل من يريد أن يتعرف على ما يميز العلاقات العمانية المصرية من ترابط وتواؤم وتآخٍ على مدى التاريخ لأنها علاقـة اسـتراتيجية وليست مرحلية علاقة ثمرة أمور طبيعية أوجدها الله ونتيجة مصالح مشتركة صنعها الشعبان في مصر وعمان وعمل دائم نرجو له الاستمرار والازدهار مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

(صدق الله العظيم)

وفقنا الله جميعا لما يدعم هذه العلاقات ويوطدها لصالح الشعبين الشقيقين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــة ســـعادة

سالم بن محمد الغيلاني

رئيس المنتدى الأدبي/أمين عام الندوة

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

معالي السيد سلطان بن حمد السمار راعي ندوتنا هذه ، أيها الحضور الكريم . . أصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي المشاركين والمعقبين ومن شارك في هذه الندوة في المناقشات الجادة الجيدة الهادفة البناءة من العمانيين . . أشكركم جل الشكر على متابعتكم فعاليات هذه الندوة . كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الاخوة المشاركين من أبناء مصر العروبة على ما قدموه من بحوث ودراسات قيمة أثرت الندوة وأثارت الكثير من الاضافات التي استفدنا منها كثيرا وأخص بالـذكر الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق بجمهورية مصر العربية لما قام به من جهود يشكر عليها منذ بداية فكرة اقامة هذه الندوة عام ١٩٨٩ م .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى رئيس وأعضاء لجنة الاعداد والتحضير لجهودهم الجبارة في الاعداد والتنظيم الذي ساهم مساهمة كبيرة في نجاح سير عمل الندوة سيراً جيداً خلال أيام انعقادها الثلاثة وقبل ذلك .

اكرر شكري للباحثين من القطرين الشقيقين لبحوثهم الجادة والمستفيضة والتي تشير كل الدلائل والمؤشرات على نجاحها ، وانها حققت الأهداف المرجوة من انعقادها ، وجسدت بالفعل والقول والدليل والبرهان على عمق الروابط التاريخية بين البلدين الشقيقين جمهورية

مصر العربية وسلطنة عمان ، واننا نتطلع أن يكون هذا اللقاء العلمي التاريخي الاخوي بداية سلسلة من اللقاءات الثقافية بيننا مما يدفعنا إلى المزيد من عقد مثل هذه الندوات .

معالي السيد راعي الحفل . . أيها الجمع الفاضل . .

لقد جسدت ندوة العلاقات العمانية المصرية التاريخية بما سلطته من الأضواء على حقبات تاريخية موغلة في عمق التاريخ بين حضارتي شعبين عريقين ، وبما أشارت اليه من تلاحم ثقافي وصلات حضارية مزدهرة ، نعم لقد جسدت هذه الندوة عراقة وأصالة القطرين ودورهما الريادي والحضاري بالمنطقة بما يدعم الثوابت الثقافية بيننا ويجعلنا نتطلع إلى دعم مستقبل هذه العلاقات وتوطيد أواصرها لما فيه خير القطرين الشقيقين .

واننا ونحن نختتم فعاليات هذه الندوة لنرجو الله أن يمد في عمر قائدي البلدين مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم وفخامة أخيه الرئيس محمد حسني مبارك . كما لا يفوتني هنا وباسمكم أيها الاخوة أن أتوجه بالشكر الجزيل لصاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد الذي بارك وتابع ووجه لضمان نجاح سير عمل هذه الندوة واقترح للاخوة المشاركين والمعدين لهذه الندوة أن نرفع لسموه برقية شكر وتقدير بهذه المناسبة .

أشكركم جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



كلمة الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ

عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق

أمين عام الندوة المساعد

معالي السيد محافظ مسقط . . أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نجتمع هذا المساء بعد ثلاثة أيام من العمل العلمي الجاد ناقشنا خلال جلسات متعددة مجموعة من البحوث العلمية القيمة ، وسبقت هذه الأيام شهور من الاعداد والتحضير بين مسقط والزقازيق حتى انتهينا إلى حفلنا الختامي لنستعرض نتائج جهود طويلة بذلت من قبل الباحثين والمنظمين للندوة .

ويسعدني ونحن نختتم فعاليات ندوة العلاقات العمانية المصرية أن أتقدم بالاصالة عن نفسي كباحث وبصفتي أمينا عاما مساعدا للندوة ورئيسا للوفد المصري المشارك في الندوة أن أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان لصاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله راعي نهضة عمان المعاصرة وموجه السياسة الخارجية الحكيمة للسلطنة وفي مقدمتها توطيد العلاقات والصلات المتعددة مع مصر بالتشاور مع شقيقه الرئيس محمد حسني مبارك .

كما أتقدم بالشكر والعرفان للشعب العماني الشقيق العربي المسلم في أصالته وحضارته حيث عشنا بينهم في جو من المحبة والاخوة وحسن المعشر وسوف ننقل لاخوتهم في مصر هذا الانطباع عن الاخوة العربية والاسلامية التي أحاطنا بها أبناء

عمان الاشقاء .

وأتقدم بالشكر والثناء لصاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة على رعايته للنشاط الثقافي وخاصة ما كان متعلقا بالصلات الثقافية مع علماء مصر بما يؤكد عمق الصلة بين الشعبين الشقيقين .

وأتقدم بالشكر لمعالي السيد سلطان بن حمد السمار محافظ مسقط على رعايته لهذه الندوة في حفل الافتتاح وحفل الختام ، حيث ان هذه الرعاية أظهرت متانة الصلات التاريخية بين الشعبين الشقيقين يجسدها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه في عمان وفي مصر معا .

وأتقدم بالشكر لقادة الفكر والثقافة في عمان ومصر الذين أسهموا ببحوثهم وتعقيباتهم ومناقشاتهم التي أثرت جلسات الندوة وعمقت الصلات بين شعبي البلدين وخاصة في المجالات الثقافية المتنوعة .

وأتقدم بالشكر إلى العاملين بوزارة التراث القومي والثقافة والمنتدى الأدبي الذين بذلوا جهدا كبيرا في الاعداد والتحضير والمتابعة لهذه الندوة وفي مقدمتهم سعادة السفير سالم بن محمد الغيلاني وسعادة الشيخ عبدالله بن صخر العامري وبقية الزملاء المنتسبين للوزارة وللمنتدى ولوزارات الاعلام والتربية والتعليم .

وأتقـدم بالشكـر إلى رجال الاعلام من سلطنة عمان ومن جمهورية مصر العربية على جهودهم المبكرة واللاحقة لمتابعة أخبار وفعاليات الندوة ، والذين لولا جهودهم هذه لظلت الندوة حبيسة قاعة الجلسات ولما كان لها صداها على المستوى

المحلي والعربي والعالمي .

أيها الحفل الكريم . .

كلمة لابد أن تقال في هذا المقام . . لقد نجحت الندوة بفضل تضافر جهود مشتركة تستند إلى رغبة مخلصة من جانب المسئولين والباحثين والعاملين في كل من سلطنة عمان ومصر ، فالحمد لله ، ولذلك أرجو أن تكون هذه الندوة بداية لنشاط علمي ثقافي منظم ومثمر بين كلية الآداب بجامعة الزقازيق التي أتشرف بعمادتها وبين وزارة التراث القومي والثقافة لما فيه خير العلم والمعرفة ولمصلحة أبناء الأمة العربية الواحدة خاصة أبناء شعبي السلطنة الناهضة وجمهورية مصر العربية .

وفي ختام كلمتي لابد أن أشير إلى حقيقة هامة هي مسك الختام ، ذلك انه ما كان لهذه الندوة أن تقام على هذا المستوى العلمي الرائع لولا مباركة كل من الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية والمسئولين في الحكومة المصرية ، فقد لقينا التشجيع والمساندة من السيد الرئيس مبارك عندما عرضنا على سيادته الفكرة ، وباركها السيد الدكتور عاطف صدقي رئيس مجلس الوزراء المصري والسيد الدكتور أحمد عصمت عبدالمجيد نائب رئيس الوزارء ووزير الخارجية المصري وكل ذلك في اطار حرص السيد الرئيس ورجال حكومته على تدعيم الصلات بين القطرين العربيين الشقيقين عمان ومصر .

كما ان نجاح عقد هذه الندوة في رحاب سلطنة عمان يعود في المقام الأول إلى توجيهات حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله والذي يعمل على تعميق الصلات مع شقيقه الرئيس مبارك وبين الشعبين الشقيقين العماني والمصري .

ولـذلـك أقـترح ارسـال برقيتي شكر وتقدير للزعيمين العربيين السلطان قابوس بن سعيد والرئيس محمد حسني مبارك .

ولا يسعني بصفتي أمينا عاما مساعدا للندوة ورئيسا للوفد المصري في هذه الندوة إلا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان والتأييد للسلطان قابوس بن سعيد وللرئيس محمد حسني مبارك على سياستهما الحكيمة ليس فقط على المستوى الثنائي فهو معروف بل وأيضا على المستوى العربي والاسلامي بالدعوة إلى التضامن العربي والاسـلامي ، وكـذلك على المستوى العالمي بالتمسك بالسلام العالمي ورفاهية الشعوب وهي سياسة حكيمة واعية للزعيمين العربيين ، ندعو الله لهما بالتوفيق والسداد لما فيه خير الشعبين الشقيقين والأمة العربية والاسلامية وخير العالم أجمع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



(البيـان الختـامـي)
لندوة العلاقات العمانية المصرية التاريخية
٢ ـ ٤ مارس ١٩٩١ م

عقدت في الفترة من ٢ ـ ٤ مارس ١٩٩١ م في فندق الخليج بمسقط ندوة العلاقات العمانية المصرية التي اقيمت باشراف المنتدى الأدبي والتعاون مع كلية الآداب بجامعة الزقازيق بجمهورية مصر العربية .

وقد اشترك في هذه الندوة عدد كبير من المؤرخين من القطرين الشقيقين ، ورعى حفـل الافتتـاح معالي السيد سلطان بن حمد السمار محافظ مسقط والقى معاليه كلمة في الجلسة الافتتاحية للندوة رحب فيها بالحضور وقال معاليه إلى أن المـدونـات التـاريخية تشـير إلى وجود علاقات مزدهرة بين مصر وعمان منذ أقدم العصور ، وأن هذه العلاقات قد وطدت وشائجها بأخوة الاسلام وتلاحم الصف ووحـدة المصـير بين سلطنة عمان الفتية بقيادة حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم وبين الشقيقة جمهورية مصر العربية بقيادة فخامة الرئيس محمد حسني مبارك .

ثم القى سعادة سالم بن محمد الغيلاني رئيس المنتدى الأدبي كلمة ذكر فيها أن الندوة تتناول بالبحث العلاقات المتميزة بين السلطنة ومصر عبر التاريخ .

وعقب الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق بكلمة أخرى بصفته أمينا مساعدا للندوة ورئيسا للوفد المصري المشارك فيها مشيرا إلى أن شعب مصر يقدر لجلالة السلطان المعظم مواقفه الشجاعة مع مصر وشعبها سواء في حرب العاشر من رمضان ام بعدها حين كانت السلطنة هي

الدولة العربية الوحيدة في المشرق العربي التي حافظت على صلاتها الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية مع مصر طوال فترة الثمانينات من هذا القرن .

وبعد جلسة الافتتاح بدأت فعاليات الجلسة الصباحية الأولى (السبت ١٩٩١/٣/٢ م) .

وقد ترأس هذه الجلسة سعادة الشيخ عبدالله بن صخر العامري المستشار بوزارة التراث القومي والثقافة ورئيس لجنة الاعداد والتحضير للندوة ، حيث استعرض الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق بمصر بحثه عن (مصر وعمان في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والنصف الثاني من القرن العشرين ـ دراسة مقارنة) وبعد انتهاء الباحث من استعراض بحثه ، قام الباحث سالم بن محمد العبري بالتعقيب على البحث ، كما قام عدد من الحضور بمناقشة البحث .

وفي الجلسة الصباحية الثانية التي ترأسها الاستاذ سالم بن محمد العبري المستشار بوزارة الاعلام ـ تحدث الباحث عبدالله بن ناصر الحارثي عن (عمان ومصر ودورهما البطولي في التصدي والدفاع عن أرض العروبة والاسلام) .

واعقبت ذلك مناقشة موضوع البحث .

وقد عقدت مساء نفس اليوم جلستان ، ترأست الأولى الدكتوره آمال محمد حسن من كلية البنات بجامعة عين شمس ، وتحدث فيها المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي عن (الفنون المعمارية في كل من مصر وعمان من حيث التشابه والتمازج) ، واعقبت المحاضرة مناقشة الحاضرين .

وتـرأس الجلسـة الثانية الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجـامعـة الزقازيق ، وتحدث فيها الاستاذ الدكتور عبدالرحمن اسماعيل الصالحي استاذ العلوم السياسية ووكيل معهد الكفاية الانتاجية بجامعة الزقازيق عن (خصـوصية العـلاقـات المصرية العمانية) (١٨٧٩-١٩٨٩) وعقب على المحاضرة الشيخ أحمد بن سليمان الكندي مدير عام المديرية العامة للتربية والتعليم بمنطقة الداخلية ثم اشترك عدد من المحاضرين في المناقشة وفي اليوم الثاني للندوة (الأحـد ١٩٩١/٣/٣) ترأس الجلسة الصباحية الأولى الاستاذ الدكتور أحمد السيد محمد الحسيني الاستاذ بكلية الآداب بجامعة عين شمس والقى الاستاذ الـدكتـور شوقي عطا الله الجمـل استـاذ التـاريخ بمعهـد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة بحثا عن (دور مصر وعمان الحضاري في افريقيا) .

وعقب علي البحث الدكتور/ ابراهيم الزين الصغيرون من جامعة السلطان قابوس واشترك عدد من الحاضرين في المناقشة .

وتـرأس الجلسـة الصبـاحية الثـانية ليوم الأحـد الاستـاذ هلال بن محمد العامري المشرف العام للمركز الثقافي بصلالة ومشرف المنتدى الأدبي ، وتحدث الفاضل/ علي بن محسن آل حفيظ مدير دائرة تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم عن :

(عروبة مصر القديمة وعلاقتها بأرض اللبان) وتلت ذلك مناقشة لبعض الحاضرين للبحث . ترأس الجلسة المسائية الأولى الاستاذ عبدالتواب يوسف ، وتحدث في هذه الجلسة الدكتور رجب محمد عبدالحليم الخبير بوزارة الاعلام حول :

(الأزد والمهـرة في مصر ودورهم السياسي والثقـافي حتى نهاية الـدولـة الفاطمية) وقد اشترك بعض الحاضرين في مناقشة المحاضر .

ترأس الجلسـة المسـائية الثـانية المهندس/ سعيد بن محمد الصقلاوي ، وتحدث فيها الاستاذ أحمد السيد محمد الحسيسي عن :

(لمحات مضيئة في مسيرة التاريخ المصري العماني) .

وفي اليوم الثـالث (الاثـنـين ١٩٩١/٣/٤ م) عقدت الجلسة الصباحية الأولى وتـرأسهـا الاستـاذ الدكتور شوقي عطا الله الجمل استاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة وتحدثت فيها الدكتورة آمال محمد حسن مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية البنات بجامعة عين شمس عن :

(موقف المـدرسة المصرية ، والمدرسة العمانية ـ قراءة في منهج التفسير ، والتـأويل بين السيوطي والقلهـاتي) وعقب على الموضوع الشيخ أحمد بن سعود الـسـيابي مدير عام الـشـؤون الاسـلامية بوزارة العـدل والأوقـاف والشؤون الاسلامية ، كما اشترك عدد من الحاضرين في المناقشة .

عقدت الجلسة الصباحية الثانية وترأسها الفاضل/ علي بن محسن آل حفيظ للباحثه : د. سحر السيد محمد عبدالعزيز سالم مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب جامعة الاسكندرية .

وكان موضوع البحث : **دور عمان في تجارة الكارم وصداها في سياسة مصر الخارجية .**

تجدر الاشارة أن الدكتوره سحر تغيبت لظروف خاصة ، ولأن البحث قد

وصل الندوة ولأهميته قام الاستاذ الدكتور أحمد السيد محمد الحسيسي بالقاء البحث نيابة عنها .

أما الجلسة المسائية الأولى : فقد ترأسها سعادة الشيخ عبدالقادر بن سالم الغساني المستشار التربوي بمكتب معالي وزير التربية والتعليم .

والباحث : الفاضل/ سعيد بن محمد الغيلاني من جامعة السلطان قابوس وموضوع البحث (**عمان ومصر في رحلات الرحالين والمستكشفين**) وقد اشترك في المناقشة عدد من الحاضرين .

وترأس الجلسة المسائية الثانية : سعادة الشيخ عبدالله بن صخر العامري المستشار بوزارة التراث القومي والثقافة ورئيس لجنة الاعداد والتحضير للندوة .

وقدم الاستاذ عبدالتواب يوسف بحثا عن (**مصر وعمان علاقة حضارية متميزة عبر التاريخ**) ، وعقب على الموضوع : الدكتور/ محمد صابر عرب من جامعة السلطان قابوس كما اشترك الحاضرون في مناقشة الموضوع .

الجلسة الختامية والتوصيات

ترأس الجلسة سعادة سالم بن محمد الغيلاني مستشار التراث الشعبي بوزارة التراث القومي والثقافة ـ أمين عام الندوة ورئيس المنتدى الأدبي .

والقيت كلمات : معالي السيد سلطان بن حمد السمار ـ محافظ مسقط (راعي الحفل) وسعادة المستشار/ سالم بن محمد الغيلاني أمين عام الندوة ورئيس المنتدى الأدبي وسعادة الدكتور رأفت غنيمي الشيخ أمين عام الندوة المساعد وعميد كلية

الآداب بجامعة الزقازيق ثم ألقي البيان الختامي للندوة .

وأخيرا تليت التوصيات .

وأرسلت برقيات شكر وتأييد لكل من جلالة السلطان قابوس بن سعيد وفخامة والرئيس محمد حسني مبارك .



« توصيات ندوة العلاقات العمانية المصرية التاريخية

والتي انعقدت في مسقط في الفترة من ٢ ـ ٤ مارس ١٩٩١ م

في ضوء البحوث والمناقشات التي دارت في جلسات الندوة توصي الندوة بما يلي : -

أولاً : ضرورة مضاعفة الجهود الشعبية والحكومية في البلاد العربية لتوثيق العلاقات بينها فالأمة العربية في أمس الحاجة اليوم لازالة العوائق التي تحول دون تقوية الروابط بين شعوبها .

ولعل العبء الأكبر في هذا المجال يقع على عاتق المثقفين عامة والمؤرخين بصفة خاصة .

والعلاقات المصرية العمانية تعتبر نموذجاً يحتذى في هذا المجال .

ثانياً : تضافر جهود المؤسسات المختلفة المختصة بنشر التراث العربي من مخطوطات وغيرها لتوضيح الدور الحضاري للأمة العربية في الماضي والعمل على ابراز هذا الدور بشكل أكبر .

ثالثاً : تبادل المطبوعات العلمية بين البلدان العربية وفتح المجال للاستفادة المتبادلة من خبرات الأساتذة العرب وتيسير قبول الطلاب من البلاد العربية في مختلف الجامعات والمعاهد لسد الفراغ في بعض التخصصات .

رابعاً : عقد الندوات الثقافية والعلمية في فترات غير متباعدة وتيسير اشتراك أكبر عدد من الباحثين والمهتمين بموضوعات هذه الندوات على أن توضع توصيات هذه الندوات موضع التنفيذ .

خامساً : اتضح للندوة أن الحاجة ماسة لاجراء عدة دراسات عن قضايا عربية عامة بعضها تحت أنظار الباحثين العمانيين والمصريين برجاء الاهتمام ببحثها والقاء الضوء عليها منها :

(أ) دراسة تاريخ القبائل العربية في مصر وفي عمان .

(ب) دراسة الهجرات العربية القديمة بين مصر وعمان ودلالتها .

(ج) عمل دراسة مقارنة بين اللغة المصرية القديمة ولغات عرب الجنوب للوقوف على أوجه التقارب وأوجه التباعد بينها .

(د) دراسة المدن القديمة في كل من البلدين وتحديد مواقعها الصحيحة .

(هـ) دراسة بعض القضايا الخلافية في التاريخ العربي وتحليلها ونشر نتاج هذه الدراسات .

سادساً : توصي الندوة بطبع البحوث التي قدمت فيها وذلك لأهميتها وحتى تتحقق الفوائد من مثل هذه الندوات العلمية ويعم نفعها .

سابعاً : تؤيد الندوة الجهود الواضحة التي تبذلها حكومتا البلدين ـ عمان ومصر ـ لتدعيم التعاون بينهما في مختلف المجالات وذلك بتوجيه

القائدين العربيين حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم وفخامة الرئيس محمد حسني مبارك .

ثامناً : تشيد الندوة بالدور الذي قامت به وسائل الاعلام في مصر وعمان قبل وأثناء انعقاد جلسات الندوة للتعريف بها والدعوة اليها ، وادراكاً منها لأهمية الاعلام في مواكبة الحركة الثقافية تتطلع الندوة للمزيد من مساندة الاعلام لمثل هذا النشاط الثقافي والعلمي البناء .

تاسعاً : تقترح الندوة التوأمة بين مدينتين احداهما مصرية مثل الزقازيق والأخرى عمانية مثل صحار .

عاشراً : توصي الندوة وزارة التراث القومي والثقافة بتصحيح الخطأ المتعلق بتاريخ ميلاد العالم الاسلامي العماني القلهاتي في كتابه (الكشف والبيان) .

حادي عشر : توصي الندوة وزارة التراث القومي والثقافة باجراء تصحيح للألفاظ والمصطلحات العلمية ومطابقتها بمثيلاتها المستخدمة حتى يكون هناك توحيد وتماثل بالنسبة لهذه المصطلحات .

ثاني عشر : ترى الندوة ضرورة توضيح الدور الثقافي والحضاري العربي ومساهمة العرب في الحضارة العالمية .

ثالث عشر : تؤكد الندوة على أهمية تأصيل الروابط التاريخية بين العرب وأفريقيا عبر عصور التاريخ مع ضرورة بحث وسائل تقوية وتدعيم هذه

الـروابط حيث ان العرب الافارقة يملكون جزءا كبيرا من العالم العربي عامة سواء من حيث المساحة أو السكان .

رابـع عشر : يقترح أن يعنى المنتدى الأدبي باقامة ندوة حول ثقافة الطفل وتربيته في كنف التراث والتاريخ والقيم .

خامس عشر : تقترح الندوة أن تعقد ندوة أخرى بين وزارة التراث القومي والثقافة من ناحية وكلية الآداب بجامعة الزقازيق من ناحية أخرى بعنوان :

« علماء عمان وعلماء مصر في العصرين الاسلامي والحديث » .

يحدد موعدها بالاتفاق بين الطرفين .

والله ولي التوفيق . .

الفهرســـــت

صفحة

ثالثاً :

رابعاً :

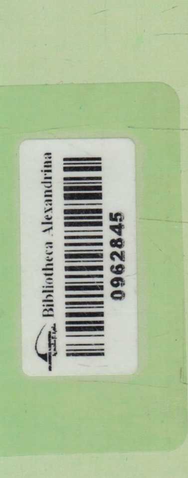
خامساً :

سادساً :

سابعاً :

ثامناً :

رقم الايداع ٩١/١٦٩



شركة مطبعة عمان ومكتبتها المحدودة ش.م.م